

أيام مع الإمام السيد موسى الصدر

السيد محمد الغروي


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

أيام مع الإمام
السيد موسى الصدر

أيام مع الإمام
السيد موسى الصدر

السيد محمد الغروي

دار الرسول الأكرم (ص) دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار الرسول الأكرم (ص)
طباعة - نشر - توزيع

حارة حريك - شارع القسيس - خلف البلدية - ص.ب.: ١١/٨٦٠١ بيروت - لبنان
هاتف: ٠٣/٨١٤٢٩٤ - تلفاكس: ٠١/٥٤١٩٣٠
E-mail: dar_alrasool@hotmail.com

الإهداء

إلى عاشقي الإمام القائد السيد موسى الصدر .

إلى محبيه المتشوقين سلوك دربه السياسي والجهادي والإجتماعي .

إلى الشباب الذين لم يشاهدوه ولم يجالسوه ولم يعرفو عنه شيئاً .

إلى المتعطشين لمعرفة حياة العظماء والقادة الكبار في التاريخ الحديث المعاصر .

إلى أعزّائنا في حزب الله وحركة أمل .

أقدم هذه الباقة الصغيرة من الورود التي اقتطفت من حياة هذا الإمام القائد العظيم .

فإن ما لا يدرك كله لا يترك كلّه .

السيد محمد الغروي
صور - جبل عامل - لبنان
١٠/١١/١٤٢٥ = ٢٢/١٢/٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبدالله وعلى آله الطيبين الأطهار وأصحابه المنتجبين الأخيار .

وبعد . .

الكثير من الإعلاميين والسياسيين والباحثين كتبوا عن الإمام الصدر وتحدثوا عنه ، فمنهم من كتب مقالات عديدة ومنهم من كتب مؤلفات ضخمة ومنهم من اتخذ من الإمام الصدر رسالة لنيل شهادة الماجستير أو الدكتوراه .

وهؤلاء الكُتّاب قد اختلفوا في الزوايا التي انطلقوا منها لدراسة هذا الرجل العظيم فمنهم من تناول خصوص حياته الأخلاقية والاجتماعية ومنهم من انطلق في حياته السياسية اللبنانية والعربية دون شيء آخر ومنهم من اتخذ شخصيته الدينية والعلمية محوراً لحديثه ومنهم من حاول أن يترجم الإمام من كافة جوانبه وأبعاده ومنهم من جمع ما كتب عن يوميات الإمام الصدر في الصحف والجرائد

اللبنانية والعربية والعالمية ، ومنهم . . . .

في الحقيقة والواقع يكون الإمام الصدر : جبلاً شامخاً يسعى كل باحث تسلّق هذا الجبل الأشمّ الصاعد ويبتغي الوصول إلى قمته ، وهرَماً ذا أطراف عديدة ، وزوايا متعددة ، ينشد الجميع الإلمامَ والمعرفة بهذه الأبعاد الإنسانية ، والأوجه الحيّة النشطة التي تركت آثاراً كبيرة ومباركة في الحياة اللبنانية .

إنه جنّة عدن فيها الورود والأزهار والثمار على شتى أنواعها وألوانها وطيباتها ويتمنى أهل الدرس والبحث أن يقتطفوا من هذه الروضة البهية ما يشاهدونه ويدركونه حسب ذوقهم ورؤيتهم ورغبتهم .

لكنني اخترت منحىً آخر في دراستي لهذا الرجل العظيم وتناولت طريقة أخرى لتعريف الناس بهذا القائد العَلَم ، حيث سردت مفردات من عمله وسلوكه وكلماته وأخلاقه و . . من حياته النقية الطيبة في الأيام التي رافقته وشاهدته وعشت معه وسمعت منه في مدينة صور وجبل عامل وبيروت والبقاع في الليل أو في النهار ، منفرداً أو مع الآخرين ما تذكّرته بعد مضي ربع قرن وأكثر فأتيت به ودوّنته من دون زيادة أو نقيصة والله على ما أقول شهيد .

ثم إني قد حذفت بعض الأسماء ، واستبدلتها بالنقاط حيناً ، كما خفّفت أداء الكلمات والتعبير حفاظاً على كرامة البعض حيناً آخر ، ولكن ما أنقله وأذكره هو المرآة الصافية عن الإمام الصدر .

وعقيدتي فيه ما أعلنته منذ القديم من أن الله سبحانه قد منَّ علينا بلطفه ومنّه وكرمه في هذا العصر بثلاثة قادة عظماء لهم دور كبير في صناعة تاريخنا الحديث هم : الإمام الخميني ، والإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، والإمام السيد موسى الصدر وكلهم من تلامذة مدرسة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ومن المتخرجين من الحوزة العلمية في النجف الأشرف أو مدينة قم المقدسة .

لقد سردت هذه المعلومات التي اختزنتها في ذاكرتي أثناء رفقتي للإمام الصدر في فترات زمنية ثلاثة يوجد بين كل منها والآخر فاصل كبير وجعلت لكل فترة مذكراتها الخاصة بها من دون أي ترتيب زمني في سرد المعلومات من تلك الفترة ولكن ضغطت على نفسي وتأملت بكل دقة في الذاكرة لتدوين مذكرات كل فترة في فترتها الخاصة وعدم اختلاط بعضها بالبعض الآخر .

وهذه الفترات الثلاثة هي :

١ ـ ساعات قليلة في يوم جمعة من عام ١٩٦٢ عندما زرت لبنان مع صديقين عالمين جليلين هما الشهيد السيد علي ناشر الإسلام والشيخ إبراهيم رباني القاييني وحصل اللقاء مع الإمام الصدر في المسجد الذي أنشأه المقدس الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين أعلى الله مقامه ثم في بيت صهره على أخته السيد حسين شرف الدين الكائن حينه جنب نادي الإمام الصادق عليه السلام .

٢ ـ زرت لبنان للمرة الثانية أوائل عام ١٩٦٦ للاستجمام والراحة بعد أن مرضت بداء في الصدر وأمرني الطبيب بالابتعاد عن طقس النجف الحارّ الصحراوي لبعض الوقت فأشار علي أستاذي آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر بالذهاب إلى لبنان والاستقرار في مدينة صور لدى ابن عمه الإمام موسى الصدر فكان كما أشار الأستاذ قدس سرّه ، واستغرقت الفترة من أواسط شهر شوال عام ١٣٨٦ الموافق أوائل عام ١٩٦٦ حتى أوائل شهر جمادى الثاني عام ١٣٨٧ الموافق أوائل شهر أيلول من نفس السنة .

وفي هذه الفترة استطعت أن أعيش مع الإمام الصدر وملتصقاً به أكثر من أي وقت آخر فكنت معه جنباً إلى جنب في حلّه وترحاله وفي تجواله على القرى في جبل عامل والبقاع وفي مشاركته في الاحتفالات والندوات

والمؤتمرات التي تنعقد على الأراضي اللبنانية وكنت ألتقي به كثيراً وأتحدث معه كثيراً وأستمع إليه كثيراً وأمشي معه على شاطئ بحر صور صباحاً أو مساءً. لأن بيته كان في صور وعائلته تعيش في صور وأولاده في مدارس صور مضافاً إلى أنه بعد لم يكن هناك المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ولم يؤسس بعد حركة المحرومين وأفواج المقاومة اللبنانية (أمل) وليس له كشافة الرسالة الإسلامية، وكان فارغ البال من المسئوليات والارتباطات السياسية والإجتماعية.

٣ ـ الفترة الثالثة الطويلة تبتدأ من أوائل شهر حزيران عام ١٩٧٥ الموافق أوائل العشر الثاني من جمادى الأولى عام ١٣٩٥ حتى أيام اختطافه وإخفاءه يوم ٣١/ آب/ ١٩٧٨ في ليبيا بأمر من المجرم الديكتاتوري القذافي واستمر تواجدي في صور والحمد لله حتى يومنا هذا عدا أيام احتلال إسرائيل من ١٩٨٢ إلى ١٩٨٥ لجنوب لبنان.

وفي هذه الفترة ازدادت مسؤوليات الإمام وتضاعفت همومه وشجونه وكثرت خصومه وأعداءه وحجب عن أمته وجماهيره خوفاً على حياته من بعض الحركات الوطنية اليسارية أو اليمينية ومن بعض المنظمات الفلسطينية وعملاء الدول العربية وإسرائيل وأميركا، فقلّت زياراتي لسماحته وخفّ لقائي به إلا في حدود العمل والتكليف وفي المجالس الخاصة حيناً والعامة أحياناً كثيرة.

ثم إنني كما أشرت من قبل حاولت أن أجمع مذكرات كل فترة في نفس الفترة وعصرت حالي وشدّدت على ذاكرتي حتى لا يلتبس الأمر في ذلك . وبذلت جهداً كبيراً حتى يكون السرد للمذكرات متسلسلاً زمنياً ولكنني قد أكون فاشلاً في ذلك فأستميح العذر على ذلك من القارئ .

وذكرت كل مذكرة من دون عنوان اقتصرت على فاصل بين مذكرة وأخرى بنجوم ثلاثة وتركت عنوان المذكرة إلى القارئ لكي يعنون بنفسه ما يستنبطه من كلام أو عمل أو موقف للإمام .

وقبل أن أتحدث عن ذكرياتي مع الإمام السيد موسى الصدر في الفترات الثلاثة التي تشرفت بالرفقة معه لا بد وأن أشير أولاً إلى نسب الإمام الصدر وحسبه وصفاته ومعالم حياته بكل إيجاز واختصار . وثانياً إلى المنجزات التي حققها في لبنان في الحقبة القصيرة من حياته حتى نكون أوفياء للرجل ونحافظ على آثاره وأعماله كي لا يُنسى ولا يُسرق من قبل الآخرين في المستقبل القريب أو البعيد .

الإمام الصدر

ينحدر الإمام الصدر من سلالة هاشمية موسوية فهو ابن السيد صدر الدين المرجع الكبير في مدينة قم المقدسة بن السيد إسماعيل بن السيد صدر الدين بن السيد صالح شرف الدين العاملي الذي نزح من بلدته شحور في جبل عامل من جراء ظلم الجزّار وتوجه إلى العراق وانتقل السيد صدر الدين الجد إلى إيران واستقر والده المقدس في مدينة قم وولد فيها الإمام موسى الصدر عام ١٩٢٨ ونشأ في بيت العلم والإيمان وترعرع في أحضان المرجعية والفقاهة وتمتع بمشيئته سبحانه على قدر كبير من الذكاء والفطنة والعقل والوعي والذاكرة والحيوية وقطع أشواطاً كبيرة في الدراسات الحوزوية وأتقن الفقه وأصوله وعلم الحديث والفلسفة في فترة قصيرة وتفوق على أقرانه في العلوم الإسلامية .

كما وأنه تابع الدراسات الحديثة الجامعية في طهران واختار قسم الحقوق والاقتصاد وتخرج حاملاً الإجازة في الاقتصاد ولعلّه من رواد طلبة الحوزة العلمية الدينية في قم المقدسة المنخرطين في جامعة طهران لتعلم الدراسات

المعاصرة الحديثة .

وبعد الانتهاء من الدراسة في الحوزة والجامعة وبلوغه مرتبة سامية في الفقه وأصوله والفلسفة قدم إلى النجف الأشرف ومكث فيها سنتين أو أكثر بقليل وحضر دروس السيد الخوئي قدس سره أصولاً وفقهاً ثم عاد إلى قم وانتهى به المطاف أواخر عام ١٩٥٩ إلى لبنان واستقر في مدينة صور ليقوم بمهام عالم الدين ويحلّ محلّ الإمام الراحل المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين رضوان الله تعالى عليه .

إن الإمام الصدر قد تفرّد بخصائص قلّما تجتمع في شخص واحد ، وإذا توفّرت هذه الصفات في شخص جعلت منه قائداً رشيداً مرموقاً ينقاد إليه الناس ، ويلتفّ من حوله المجتمع وتدين له الأمة بالولاء والوفاء والطاعة . وهذه الخصائص هي :

١ ـ الإيمان . ٢ ـ الفقاهة . ٣ ـ الفلسفة . ٤ ـ العلوم الإسلامية . ٥ ـ الثقافة العامة . ٦ ـ الإخلاص . ٧ ـ الصدق . ٨ ـ البيان العذب . ٩ ـ حسن الخلق . ١٠ ـ الرؤية الثاقبة . ١١ ـ الذكاء الحاد . ١٢ ـ الصبر والصمود . ١٣ ـ دراسة معمقة لما يريد عمله . ١٤ ـ الاستشارة مع الخبير في إنجاز عمل يكتنفه الغموض والظلام . مضافاً على

الهندام الرشيق والمحيا الجميل والابتسامة البريئة على الوجه .

كان الإمام موسى الصدر عالماً في الفقه وأصوله والفلسفة والعقائد والحديث والتفسير . وأخبر آية الله السيد محمود الهاشمي[1] عن أستاذنا الكبير آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدرر بأنه قال خرج ابن عمي السيد موسى الصدر عن النجف الأشرف مجتهداً . كما أن الإمام الصدر كان أستاذاً لامعاً في تدريس الكتب الفقهية والأصولية لمرحلة السطوح في الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة .

وكان مخلصاً في أعماله وأقواله مبتغياً وجه الله لخدمة الإنسان المقهور المحروم . وصادقاً مع ربه ونفسه ومجتمعه بعيداً عن النفاق السياسي والاجتماعي ومتصفاً بالعشرة الفضلى والخلق الحسن والرؤية الثاقبة لمعرفة الناس والقضايا السياسية ومتحلياً بالصبر الجميل عند مداهمة المشاكل الفردية أو الاجتماعية مع إصراره على معالجة المشكلة بكل هدوء .

وشعر آلام المجتمع البائس بكل جوارحه وأعضاءه وتألم

---

(١) الحجة آية الله العظمى السيد محمود الهاشمي من أفضل تلامذة الشهيد السيد محمد باقر الصدر علماً ووعياً وأقربهم إلى عقله وقلبه وفكره ويفتخر ويتشرف هذا اليوم منصب رئاسة القضاة في الجمهورية الإسلامية في إيران بأن يكون هذا الرجل العظيم قد تبوأ سدّته وعلا مقعده ومجلسه .

من كل قلبه وعقله على ما جرى ويجري في جبل عامل وعلى أهله من الظلم والحيف والنهب والخيانة من الساسة الذين يتحدثون باسم الطائفية ويرفعون عناوين وشعارات مغرية وخلابة ويهدفون من ورائها مصالحهم الخاصة الضيقة .

وتمتع الإمام بسرعة الفهم والتلقي والتذكر ، وحداثة الرؤية والتحليل للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية مع المحافظة على الأصالة الإسلامية وثوابته وسعى إلى إخراج الدعوة إلى الدين الإسلامي في أسلوب جديد يتلائم مع التقدم العلمي والإعلامي والتقني .

يضاف على ذلك أنه كان عذب البيان ، حلو اللسان ، صاحب الهندام الرشيق والمحيا الخلاب ، تعلو على وجهه البسمة وعلى سلوكه التواضع والرقة وعلى مجالسه الظرافة والنكت والعقل والدقة والحكمة .

وخلاصة الحديث عن عظمة هذا القائد الكبير تكمن في معرفة :

أولاً : العُقد الشديدة السياسية المهيمنة على المجتمع اللبناني حيث الأحزاب الكثيرة ذات الميول والاتجاهات المختلفة والمنظمات الفلسطينية - آنذاك - المرتبطة كل منها بدولة عربية والتدخلات الأجنبية الشرقية والغربية والنزعة الطائفية والمصالح العشائرية والقبلية وأهواء السياسيين الضيقة وآراء

العلماء و . . كل ذلك جعل من لبنان مسرحاً لتضارب الأهواء وتصارع المصالح وتعقيد العمل والحركة .

ثانياً : الإنجازات العالية والمهمة التي حققها الإمام السيد موسى الصدر في لبنان[1] على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي وتمكنه من التغلغل إلى عمق لبنان ودخوله إلى قلوب اللبنانيين المسلمين والمسيحيين .

فالإمام الصدر الذي انتقل من مجتمع وعادات ومحيط ولغة إلى مجتمع آخر مغاير كلياً للمجتمع الأول في التقاليد واللغة والمحيط واستطاع بفضل الله سبحانه أن يعتمد على مواهبه وقدراته الشخصية من دون أي استعانة أو تدخل شخص أو جهة ، وبنى المجد الكبير لأمته في هذا المجتمع المتصارع المتحرك المعقد ودخل المساجد والكنائس والجامعات والمدارس وعقد المؤتمرات والندوات وقابل الملوك والوزراء والنواب والشخصيات الكبيرة في العالم الإسلامي والعربي والأوروبي ، وتحدث مع كبار الإعلاميين والعلماء في شتى المواضيع المختلفة وحقق النجاح الباهر والإعجاب الكبير لدى الجميع في فترة أقل من عقدين من الزمن[2] هذا بحد ذاته

---

(١) سنأتي على ذكر إنجازات الإمام الكثيرة والنوعية بعد قليل .

(٢) راجع كتاب موسوعة الإمام السيد موسى الصدر باسم (مسيرة الإمام السيد موسى الصدر) في مجلداته الإثنا عشر ودقق النظر في يوميات الإمام وخطبه وأحاديثه .

أكبر شاهد على عظمة وجلالة هذه الشخصية الكبيرة .

وصدق صاحب بن عباد عندما قال :

رأيتـــــه ورأيت النـاس فـي رجـل

والدهر فـي سـاعـة والأرض في دار

وأؤكد وأكرر ما قلت وأقول على رؤوس الأشهاد بأن الله سبحانه أكرمنا في هذا العصر بعظماء ثلاثة قل مثيلهم في التاريخ وهم :

الإمام الخميني . والإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر . والإمام موسى الصدر .

وأتناول في ترجمته فقط أولويات انشغالاته واهتماماته الثلاثة : إسرائيل وفلسطين والجنوب والتي تعبر عن عمق رؤيته السياسية المحلية والإقليمية والدولية لكي نتعرف قليلاً على مدى إخلاص وانصهار هذا الرجل العظيم في بوتقة مصالح الأمة دون الانتباه إلى مصالحه الشخصية أو الطائفية .

الإمام الصدر وإسرائيل(١)

أدرك الإمام الصدر أن مشروع الدولة الإسرائيلية وزرعها عنوة وقهراً في منطقة الشرق الأوسط وعلى مقربة من آبار البترول يكون لأجل الفتنة والاضطراب والحرب والقتل والدمار والتشريد والتهجير ونهب الثروات والهيمنة على المنطقة ونشر الفساد والانحراف والتبعية والتخلف . . وكل ما يحول دون الاستقرار والتقدم والرفاه في هذه المنطقة .

وعلى هذا الأساس صرّح الإمام الصدر بأن إسرائيل شر مطلق وأن التعامل معها حرام .

وقال في ٦ ـ ١٢ ـ ١٩٦٩ في كلية المقاصد الإسلامية في صيدا «إن الحكم الإسرائيلي هو حكم نادر وليس له مثيل في العالم ، ما هي حدود إسرائيل؟ ليس هناك في المحافل الدولية ما يظهر تحديد حدود إسرائيل لأنها دولة

(١) القضية الفلسطينية والجنوب من الهموم الرئيسية للإمام التي شغلته خاصة في العقد الثاني من حياته في لبنان .

توسعية تغتنم الفرصة بعد الفرصة لكي تنقض على أراضي غيرها وتتوسع على حساب جيرانها» وتابع يقول «إنهم يتوسلون بكل شيء بإذابة الخُلق، بإشاعة الفساد، بتحريف المبادئ الدينية من أجل الوصول إلى غايتهم»(١) .

وقال الإمام الصدر في ٣٠ ـ ٨ ـ ١٩٧٠ في حوار صحفي (فإسرائيل كما نعرف تعتدي على منطقة جنوب لبنان بالقصف والتجاوز وقتل المواطنين وتشريدهم وهذه الاعتداءات تتكرر يومياً مما خلق مشكلات إنسانية واجتماعية وسياسية(٢) .

وقال الإمام الصدر في قصر الأونيسكو في بيروت في ٦ ـ ١٠ ـ ١٩٧٤ (نحن كشعب بإمكاننا أن نقول واثقين من المستقبل بأنه يجب إزالة إسرائيل من الوجود فإسرائيل بهيئتها الحاضرة عنصر عدواني ووجودها يخالف المسيرة الإنسانية ويعكس التحرك الأساسي للحضارة الإنسانية فلذلك لا مقام لها معنا ولا لها بيننا مكان)(٣) .

وقال سماحته في حوار مع مجلة اليقظة الكويتية في ١٣ ـ ١ ـ ١٩٧٥ (إن إسرائيل هي العدو للعرب

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص٦٤ .
(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص ٤٧٢ .
(٣) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص٣٤٣ .

وللمسلمين وللمسيحيين وللإنسانية ولله سبحانه وتعالى ولا أعتقد أن في التاريخ يمكن للإنسان أن يجد موقفاً أوضح مما يجب اتخاذه إزاء إسرائيل ولعل الذين يتمنون الشهادة في سبيل الله لا يمكنهم أن يبحثوا عن موقف أشرف من هذا الموقف)[١] .

وقال في حسينية بلدة كونين في ٢٦ ـ ١ ـ ١٩٧٥ مخاطباً المجتمعين الذين فاقوا ٢٥٠٠ شخصاً من كونين والبلدات المجاورة (كونوا فدائيين إذا التقيتم العدو الإسرائيلي استعملوا أظافركم وسلاحكم مهما كان وضيعاً انظروا إلى البوذيين كيف ينتحرون في فدائهم)[٢] .

هذه هي خلاصة رأي الإمام الصدر بكل إخلاص وصدق في هذه الدويلة العنصرية الصهيونية والذي يدركه كل باحث موضوعي للإمام أو مرافق وصديق لسماحته في أيام قليلة .

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٥ ص١٤٣ .

(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٥ ص١٩٢ .

الإمام الصدر والقضية الفلسطينية

سعى الإمام الصدر ليلاً ونهاراً في الحضر والسفر في المؤتمرات والندوات والمحاضرات وخطب الجمعة وغيرها إلى بيان أن القضية الفلسطينية أشرف قضية وأشرف موضوع . وكان يدعم الفلسطينيين بالمال والبيان وفي الحضر والمهجر وفي لقاءاته مع الشخصيات الكبيرة مثل الملوك والأمراء ورؤساء الجمهوريات والوزراء . قال الإمام في حوار صحافي مع مجلة «الصياد» البيروتية بتاريخ ٥ ـ ٦ ـ ١٩٦٩ : «لقد قلت وأكرر القول بأننا دعاة دعم المقاومة الفلسطينية وعاملون في سبيل هذا الهدف في مختلف أشكاله وأساليبه ، كما وأننا نريد أوثق التعاون مع الدول العربية الشقيقة ليكون هذا التعاون في مصلحة قضيتنا الكبرى ومصلحة لبنان في آن واحد»(١) .

وقال سماحته تحت عنوان الخطر الصهيوني والعمل الفدائي في لبنان في حواره مع مجلة «الحوادث» اللبنانية في ١٠ ـ ١٠ ـ ١٩٦٩ : «أما فلسطين نفسها فهي في المحافل

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص ١٣٤ .

الدولية منسية إطلاقاً وليس هناك مجرد سعي لأجل تحريرها وعليه لا نجد مهما تعمقنا في قضية فلسطين حلاً آخر غير المقاومة الفلسطينية»[1].

وقال أيضاً في حوار لجريدة «المحرر» البيروتية في ٢١ ـ ٣ ـ ١٩٧٠ : «سبق أن قلت إن العمل الفدائي هو الحل الوحيد لمشكلة فلسطين المحتلة حيث أن البحث عن الحل السياسي سلبياً أو إيجابياً يدور حول الأراضي العربية ما عدا فلسطين أما فلسطين فقد أصبحت في الأوساط العالمية أمراً قد انتهى ولا علاج لها إلا المقاومة من الفلسطينيين أنفسهم. لذلك فعلى كل فرد أو شعب أو حكومة تقديم ما يمكن من المساعدة لهؤلاء الذين هم طلائع هذه الأمة وقد التزموا بالموت فلا يبقى تجاههم أي تحفظ»[2].

وخاطب الإمام الفلسطينيين في مؤسسة جبل عامل المهنية في البرج الشمالي في الاحتفال الذي أقيم لمناسبة الذكرى السنوية العاشرة للثورة الفلسطينية قائلاً : «الثورة الفلسطينية علّمت الشعب في الجنوب ولبنان أن الطريق تبدأ بإطلاق النار وحمل السلاح والتصدي للعدو بالموت في سبيل الأرض والوطن لا بالشعارات والأحاديث.

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص٢٠٦.

(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص ٣٤٩.

ثم قال : «كما كانت القدس قبلة العالم فالثورة الفلسطينية أصبحت قبلة الثوار وأقدسها»[1] . وقال الإمام في خطاب له في مقر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في ١٦ ـ ٦ ـ ١٩٧٥ : «ونقول إن الثورة الفلسطينية هي الطريق إلى الأرض المقدسة وهي الشعلة المقدسة التي أوقدها الله تعالى لحماية خلقه ولكرامة هذه الأمة وللقضاء على أعدائه وأعداء الإنسان . وأنها أمانة الله في عنقنا نحميها ونصونها وننمّيها ونصرف في سبيلها الغالي من الأرواح والرخيص من جهودنا المتواضعة»[2] .

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٥ ص ١١ .
(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٥ ص ٣٤٨ .

الإمام الصدر والجنوب

عرف الإمام موسى الصدر بأن جبل عامل (لبنان الجنوبي) معرَّض للأخطار والمؤامرات فهناك إحتمالات كل واحد منها أسوأ من الآخر وهي :

الأول : تقسيم لبنان ودول الجوار إلى دويلات طائفية : مسيحية ودرزية وسنية وشيعية ثم ينطلق هذا التقسيم ويسري إلى سوريا وتتوزع إلى دولة العلويين والسنّة المسلمين وإلى مصر لكي تقوم دولة الأقباط ودولة الإسلام ثم إلى العراق لقيام دولة كردية ودولة شيعية ودولة سنية فتكون المنطقة المجاورة لإسرائيل دويلات صغيرة وضعيفة ومحتاجة وتخرج إسرائيل إلى المنطقة دولة قوية وغنية ومهيمنة على قرارات المنطقة وتعيش في منتهى الأمان لأن دول الجوار الصغيرة متناحرة ومتخاصمة فيما بينها ولا تجد الفرصة للتفكير فيما قامت به إسرائيل من إحتلال أرض فلسطين وتشريد أهلها ومحاربتها .

الثاني : تقسيم لبنان خاصة إلى دويلة شيعية في الجنوب ودويلة درزية في الجبل ودويلة مسيحية ودويلة سنية

وتفتيت التلاحم اللبناني لبيان خطأ تصور من يقول لا بد من إقامة دولة إسرائيلية يعيش المسلمون والمسيحيون واليهود في تلاحم وتعايش وتآخي .

الثالث : التهجير والتوطين : حيث يقصف بعض عملاء إسرائيل بحجة الحرب مع إسرائيل شمال الأراضي المحتلة لإعطاء الذريعة والمبرر لقصف إسرائيل جبل عامل وتهجير أهلها إلى شمال نهر الليطاني ثم تغزو إسرائيل لبنان وتحتل جبل عامل ويتم التفاوض بين إسرائيل ولبنان والدول العربية لإسكان الفلسطينيين في جبل عامل وخلق الفتنة بين الشيعة والعالم الفلسطيني ومن ثَمَّ ترتاح إسرائيل في الأراضي المحتلة من الناحية الشمالية .

الرابع : التهجير والمفاوضات النهائية لحل قضية الشرق الأوسط : ويتحقق هذا الهدف عند قصف المستوطنات في شمال فلسطين على يد الفلسطينيين أو الأحزاب الوطنية اللبنانية ورد إسرائيل على هذا القصف بكل شراسة فتدمر الحجر والشجر وتبيد البيوت والمزارع وتشرد الناجين من الأهالي إلى خارج جبل عامل ويتم بكل سهولة احتلال إسرائيل لهذه المنطقة ثم لا تسمح إسرائيل لأهل جبل عامل بالعودة إلى بيوتهم وأراضيهم حتى تنتهي المفاوضات النهائية في قضية الشرق الأوسط ويكون أبناء الجنوب مشردين

ومهجرين وبعيدين عن وطنهم حتى اليوم الموعود الذي لا يرى في الأفق أبداً .

فأمام هذه الاحتمالات الخطيرة المطروحة على الساحة السياسية اللبنانية وبعض الدول العربية كان الإمام الصدر يقوم بتحرك واسع وجولات سريعة في لبنان وخارجه حتى يدفع الخطر الداهم على جبل عامل ولبنان والمنطقة .

وكان مما يزيد في مصداقية الاحتمالات المذكورة ما كان يشاهد الإمام الصدر الشعارات المرفوعة من : (اليوم بيروت وغداً فلسطين) أو (طريق القدس يمر من جونيه) . أو التلاحم التام بين بعض الفصائل الفلسطينية وبعض الأحزاب الوطنية في قتال المسيحيين ومطاردتهم حتى عيون السيمان وعينطورة . أو تفريغ البواخر المليئة بالسلاح في ميناء صور تحت عيون إسرائيل . أو السعي الحثيث من قبل بعض الشخصيات الوطنية لقيام الإدارة المدنية في مقابل إحياء الدوائر الرسمية التي كان ينادي بها الإمام الصدر .

هذه العناوين والحركات والمساعي أثارت الشكوك والشبهات بالإضافة إلى ما كان يرد الإمام الصدر من التقارير والمجلات وما يتسرب إليه مما يتداول في الغرف المظلمة المغلقة مما كان يخشى الكثير على مستقبل جبل عامل خاصة ولبنان عامة .

كان يقول متألماً من أعماق وجوده :

لماذا تذهب بعض المنظمات الفلسطينية إلى منطقة الجبل وتثير المخاوف لدى المسيحيين على مصيرهم؟ لماذا يرفع شعار اليوم بيروت وغداً فلسطين؟ أو طريق القدس يمر من جونيه؟

لماذا تتورط بعض الفصائل الفلسطينية في أحضان بعض الأحزاب اليسارية اللبنانية وتتحالف معها وتكون مشاركة في انتقام بعض اليساريين من خصومهم التاريخيين؟

أليس كل ذلك خدمات مجانية للعدو الإسرائيلي؟ وتدنيس لأقدس قضية وأشرف هدف وأسمى جهاد عرفه التاريخ الإسلامي؟

كل هذه الأمور مضافاً على إهمال الدولة اللبنانية للجنوب والدفاع عن أهله والوقوف أمام اعتداءات إسرائيل المتكررة ، كانت تعصر قلب الإمام الصدر وتدفعه لتأسيس حركة أمل العسكرية كما نشير ، والتحرك لدى سوريا ورؤساء الدول العربية التي بيدها القرار ، واللقاء بقادة الأحزب والمنظمات الفلسطينية والإستغاثة والصراخ في المحاضرات والندوات والمؤتمرات واللقاءات لكي تفشل المؤامرات الخبيثة وتتحطم الأحلام الإسرائيلية وتزول الآمال

التي تطوف برؤوس بعض كبار الأحزاب اللبنانية والفلسطينية .

واستطاع الإمام بفضل الله وبقدراته وإخلاصه وحكمته وحنكته أن يحقق ما يبتغيه ويُفشل المؤامرات التي كانت تحاك هنا وهناك ضد جبل عامل ولبنان .

من هنا شاهدنا بعض الأحزاب اليمينية واليسارية اللبنانية منها والفلسطينية حاربوا الإمام وكالوا له التهم ونعتوه بالعمالة والخيانة مع علم هذه الجهة التي تتهم الإمام وتصفه بما تسوِّغ له نفسه أن الإمام الصدر أنبل وأفضل وأخلص إنسان للوطن وللقضية الفلسطينية .

وفي هذا السياق ننقل بعض الكلمات التي وردت في أحاديث الإمام الصدر وندواته ومقابلاته .

قال سماحته في كلية المقاصد الإسلامية في صيدا يوم الخميس ٦/ ١٢/ ١٩٦٩ في محاضرة بعنوان (الجنوب في خط النار) : أوضح في البداية أن اختياري لعنوان الجنوب في خط النار وليس في خط المواجهة «لأن الجنوب حقاً في معركة حتمية مع العدو الإسرائيلي» وقال : لست رجلاً عسكرياً حتى أخوض في النواحي العسكرية ولست برجل سياسة حتى أوجِّه السياسة ولكنني كرجل دين أتناول

الموضوع من زاويته الدينية أو بالأحرى زاويته الإنسانية . إن الجنوب في خط النار وهذا ليس بحاجة إلى البحث والتحليل ، لأن الموضوع واضح كوضوح الشمس . والمطلع على طبيعة تكوين الدولة الصهيونية يلاحظ ذلك .

وأضاف الإمام الصدر : أن الحكم الإسرائيلي هو حكم نادر وليس له مثيل في العالم . ما هي حدود إسرائيل؟ ليس هناك في المحافل الدولية ما يظهر تحديد حدود إسرائيل لأنها دولة توسعية تغتنم الفرصة بعد الفرصة لكي تنقضّ على أراضي غيرها وتتوسع على حساب جيرانها .

وتابع يقول : إنهم يتوسلون بكل شيء بإذابة الخلق بإشاعة الفساد ، بتحريف المبادئ الدينية من أجل الوصول إلى غايتهم . إن الاعتداء على جنوب لبنان أمر محتم لسببين ـ أولاً : العامل الجغرافي : الجنوب يشكل منطقة استراتيجية مهمة . وثانياً : المياه ، لأن إسرائيل تعتبر احتلال الجنوب أمراً أسهل بالنسبة إليها من مشروع ريّ النقب . هذا يؤكد أن الجنوب في خط النار ، والأنكى من ذلك أن ليس هناك من وسائل دفاعية بأيدي أبناء الجنوب ولا هناك عوامل اقتصادية تعينهم في محنتهم . ولا يمكننا أن نكسب عاطفة الإسرائيليين ، نحن مقدمون على فترة عصيبة سوداء ، ولذا أقول بإخلاص إن إمكانية تجنب القتال صعبة جداً طالما أن

هذه الفترة قادمة ، هل نحن على استعداد للمواجهة؟ كلا لأن الإسرائيليين قتلوا الكثير من المدنيين للإرهاب في الضفة الغربية ، في دير ياسين في غزة وغيرها . أم النزوح؟ فالنزوح يعقد المشكلة ولا يحلها إن خسارة الأرواح هي أقل بكثير من خسارة النزوح لأن النزوح يثبِّت الاستعمار ولذلك فعلينا الصمود وهو الحل الأمثل ، وأضاف الإمام الصدر : هذا هو واجبنا المباشر يا أبناء الجنوب وعلينا أن نستعد قبل أن تسبقنا المحنة . أمامنا التجربة الفلسطينية . لقد خرج الفلسطينيون من ديارهم وانتظروا العودة ولم يعد إليهم أي بصيص رجاء بالعودة إلا حينما أخذوا يتسلحون ويتدربون ويقيمون المعسكرات ويقاتلون العدو الإسرائيلي أينما كان . عندئذ دخلوا المحافل الدولية ودخلت قضيتهم الضمير العالمي؟

وأضاف الإمام الصدر : لماذا لا نستعد ابتداء من اليوم؟ ذلك لا يعني أن الواجب كله ملقى على عاتق الشعب بل على السلطة أيضاً فهي ملزمة بتدريب الشعب وبتسليحه ، بإقامة الملاجئ وغيرها . واجب علينا أن نستعد قبل أن تأتي المحنة السوداء . واجب علينا أن نبحث المسائل المصيرية بصورة جدية أن لا تحول مناقشاتنا السياسية إلى مناقشات فارغة . واجب علينا أن نلاحظ المشاكل بعين العقل والمنطق ، هل نحن تدربنا على السلاح؟ هل نحن أصبحنا مستعدين للقتال؟ لا . . . وبذلك واجب علينا أن نتدرب ونبني

الملاجئ ونتسلح ونحول كل قرية لبنانية إلى قلعة حصينة لمواجهة العدو الشرس . وأكد الإمام : واجب علينا أن نستعد نفسياً واجتماعياً واقتصادياً ، عسكرياً وسياسياً وذلك هو الطريق الوحيد لمواجهة العدو الغاشم ولاستباق المحنة قبل أن تلفنا وتغمرنا[1] .

وقال سماحته في جملة ما قال في برنامج تلفزيوني لبناني استضافه الأستاذ عادل مالك في ٢١ ـ ٦ ـ ١٩٦٩ (الخطر الخارجي الذي تقصده أي الخطر الصهيوني لا يمكن الاستهانة به لأنه ربما أخطر خطر في العالم)[2] وأضاف : بالنسبة للخطر الخارجي وأمام هذا الخطر لنا كلمة واحدة : كلمة الصمود حتى الموت . الصمود المطلق إذا كان لنا وسائل الدفاع ندافع ، إذا ما كان لنا وسائل الدفاع نموت ، وموتنا ربما لا يمنع من الإحتلال لكن تسجيل موقف . أولادنا شعبنا في المستقبل يشعرون أن أباءهم ماتوا . وهذا هو السبيل الوحيد لبقاء هذا البلد ولبقاء أي بلد آخر . ولهذا فإن الكلمة الوحيدة لدرء الخطر الخارجي هو الصمود . الصمود هو سلاح مطلق لا علاج له إطلاقاً .

وعند ذلك ، بعد اتخاذ هذا المبدأ ، علينا أن نهيئ

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص ٦٤ ـ ٦٥ .

(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص ١٥٢ .

وسائل الصمود، ووسائل الصمود هي التسلح بالأسلحة الحديثة الدفاعية، هي تكوين مجتمع جدّ كما قلت، ربما تحسين الوضع الاجتماعي في المناطق المهددة، لأنه بالفعل الوضع في هذه المناطق لم يتحسن، والإهمال في هذا لا يجوز في هذه الفترة العصيبة من التاريخ. كل يوم له ألف حساب[1].

وخاطب سماحة الإمام النواب في البرلمان النيابي اللبناني وحمَّلهم المسؤولية في رسالته التي بعثها إليهم في ٣ ـ ١٢ ـ ١٩٦٩ قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة النائب الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

يسرّني أن أبلغكم مع التحيات الأخوية الصادقة هذا النداء الحار المقترن بالأمل والثقة في أحرج ساعات الوطن المصيرية، وهو صدى لصوت ضميركم، وتعبير عن الإحساس بالمسؤولية التاريخية الجسيمة التي وضعت على عاتقكم، سائلاً المولى جلّ وعلا تأييدكم وتسديد خطواتكم.

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص ١٥٣.

لقد كلفني المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى أن أوجه إليكم صورة مختصرة عن وضع منطقة الجنوب ولبقائها ومطالبهم ، وهي مطالب كل لبناني واع وكل عربي مخلص ، إنها مطلب حق .

لقد كان الجنوب منذ تأسيس معسكر العدو بشكل دولة إسرائيل ، منطقة القلق ، وذلك لوجود الأطماع التاريخية والعسكرية والاقتصادية التي ظهرت للجميع ، وهذا القلق كان ولا يزال يؤثر في وضع الجنوب النفسي والاقتصادي والاجتماعي مما يجعل أبناءه لا يتمكنون من تحمل الأعباء وحدهم دون مشاركة مواطنيهم في مختلف المناطق اللبنانية ودون رعاية رسمية خاصة .

ثم جاء دور المقاومة الفلسطينية المقدسة ، وتصاعدها المستمر ، واتفاقيات القاهرة التي جعلت دعم المقاومة واجباً وطنياً ، بعد أن كان رسالة دينية ومبدأ قومياً .

ومن الطبيعي أن الوضع الجديد هذا يضاعف المسؤوليات لأبناء الجنوب ويطالبهم بالمزيد من التضحيات ، حيث يزيد في تهديدات العدو وتصرفاته الانتقامية العصيبة . ولا أتصور أن ترك الجنوبيين وحدهم في الميدان في مختلف الأوضاع الدفاعية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، يخدم سوى مصلحة العدو .

ولا يمكن أن يحل المشكلة مواساة الجنوب بالعواطف وبعض المساعدات الجزئية ، بينما أبناء الجنوب يقفون على خطوط النار ويشعرون أن أرواحهم وحياتهم وكرامتهم ومستقبل أبنائهم معرضة للاعتداء وللتجاوز في كل آن . إن هذا ظلم فاضح ، وتبعيض خطير ، إنه الاستسلام للقضاء بصورة تدريجية ، والموت بالأقساط .

لذلك فإنني أطالبكم مطالبة أخ مخلص لأخيه في ساعة المحنة ، مشاركة أبناء الجنوب بكل ما للكلمة من معنى ، في مختلف المجالات وبكل الطاقات وتحديد المواقف على أساسها في وقت الاستشارات الوزارية حينما تدعون للمشاركة في الحكومة ، في تحضير البيان الوزاري ، في وقت طرح الثقة ، في دراسة الموازنة والمصادقة عليها ، وفي تحضير المشاريع والوسائل المتنوعة الكفيلة لجعل الجنوب سداً منيعاً أمام أطماع العدو وتعدياته .

أيها الأخ العزيز ، إن لبنان دون منطقة الجنوب أسطورة ، وأن لبنان مع جنوب ضعيف جسم مشلول ، وأن لبنان دون قوة الجنوب مغامرة تاريخية . إن الجنوب القوي سياج لبنان واللبنانيين ، وسلاح العرب والحق ، ومصلحة عاجلة وعميقة لكل إنسان في الشرق وفي كل مكان .

بانتظار موقفكم ورأيكم أتمنى لكم التوفيق والنجاح في

أداء الأمانة والسلام[1] .

وقال الإمام في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية في ٢٧ ـ ١١ ـ ١٩٧٤ .

متحدثاً أمام الطلاب بقوله : أحاول الابتعاد عن التجريدات والتحليلات الغيبية والعقائدية لكي أضع أمامكم الحقيقة المجردة المكشوفة الملموسة . ومضى قائلاً : «إن توسل السلبية لتحقيق المطالب لم يزل وقريباً بإذن الله . ونحن مع العنف لا كهدف بل كوسيلة فالعدالة وصيانة الكرامة والوطن هي أهدافنا إذا تمكنا من الوصول إليها بالنصيحة والمحاضرات كان به وإلا فسنضطر للعنف فالعنف رغم خروجه على القوانين والأنظمة فإن له نظاماً خاصاً وقانوناً خاصاً وأوقاتاً خاصة ، وسوف أكون بإذن الله بكل ما أملك من طاقة إلى جانب تحقيق هذه الأهداف» .

وأضاف : لا أريد أن أكشف سراً بأن قطعة من لبنان قطعة كبيرة من أرض الوطن لا يدافع عنها وهي معرضة لخطر وهي واقعة تحت الخطر كل يوم فبإمكان كل إنسان من لبنان أن ينتقل ليلة واحدة ومتى أراد إلى الجنوب ليعرف ذلك» .

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص٢٢٢ .

وأضاف : «أما في المستقبل فنخشى أن يفقد لبنان جنوبه أو يفقد رأسه وذلك في الصراع الدائر بين العرب وإسرائيل بعد أن أثبت العرب قدرتهم ونشاطهم ونجاحهم وامتلاكهم لمقومات القوة في هذا العصر . في البترول والمال والسياسة حيث أصبحوا قوة لا يمكن للعالم تجاهلها . . وهناك أيضاً إسرائيل المرتبطة بالعالم بألف وسيلة ووسيلة .

والعالم المتضايق من هذا الحرج ، يخشى أن يجد حلاً للمشكلة بتقديم الجنوب ضحية وقرباناً للعلاج . ما الذي يمنع ذلك؟ فعندما يشتد الصراع وتتأزم الأوضاع والحرج يزعج الراسمين لخرائط العالم ، عندما يجدون أنفسهم في مأزق ، ما الذي يمنع من أن يأخذوا جنوب لبنان ويقدموه حلاً للمشكلة؟» .

وتابع الإمام الصدر متسائلاً : «ماذا يقف بوجه المطامع الإسرائيلية وفي وجه التآمر الدولي ، هل العلاقات والصداقات الدولية؟ وبالأمس شاهدنا تجربتنا في معاملة الولايات المتحدة الصديق الكبير (حسب زعمهم) لوفدنا الذاهب إلى نيويورك . أكدت هذه التجربة أن ليس هناك أية ضمانة . كيف نعتمد على الصداقات الدولية وهي بطبيعتها متطورة متغيرة ، والمواقف الدولية من الثورة الفلسطينية دليل واضح على ذلك؟»(١) .

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٤ ص ٣٦٧ .

لقد قال لي الرئيس جمال عبد الناصر (إن جنوب لبنان يختلف بوضعه عن سيناء في حال فقد الجنوب يصبح من المستحيل استرداده)[1] .

وقال الإمام في محاضرة في كلية بيروت الجامعية في ٢١/ ١١/ ١٩٧٤ بعد انتقاله إلى الحوار العالمي والصراع بين الدول الكبرى والدول العربية وإسرائيل، يخشى أن يدفع لبنان ثمن هذا الصراع فنصبح لاجئين مشردين كإخواننا الفلسطينيين[2] .

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج ص .
(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٤ ص ٣٦٥ .

إنجازات الإمام الصدر في لبنان

وفد الإمام الصدر بعد رحيل المقدس الإمام شرف الدين في الثامن من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٧٧ الموافق لثلاثين كانون الأول سنة ١٩٥٧ ، من مدينة قم المقدسة إلى مدينة صور الكريمة أواخر عام ١٩٥٩ ليملأ الفراغ الذي تركه الإمام الراحل ، واستمر في لبنان حتى يوم ٣١ ـ آب ـ ١٩٧٩ المشؤوم هذا اليوم الذي اختطفه جلاوزة المجرم معمر القذافي . وفي هذين العقدين من الزمن أنجز سماحة الإمام الصدر في لبنان لوحده ومن دون أن يستعين بأحد أو يساعده أحد أو جهة أو مجموعة أو عائلة أو زعيم ، أنجز هذا الرجل العظيم من المؤسسات التربوية والصحية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية ما يعدّ شبه المستحيل خاصة بالنسبة إلى رجل ينتقل من محيط علمي بحت من الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة إلى ساحة لبنان التي تعج بالتناقضات السياسية والاجتماعية والثقافية وتتحرك مثل حركة الرمال في الصحراء والأمواج في البحار . وهذه الإنجازات هي :

١ ـ مؤسسة جبل عامل المهنية:

شيد الإمام الصدر في باكورة أعماله مدرسة مهنية في البرج الشمالي القريب على مدينة صور عام ١٩٦٣ على أرض مساحتها (١٦٦٠١) متراً مربعاً في بداية الأمر ثم أضيفت إليها قطعة أخرى وأصبح المجموع سبع وعشرين دونماً . وكان الهدف هو جمع أولاد جبل عامل وخاصة أبناء القرى الحدودية مع فلسطين المحتلة وعلى الأخص أولاد الشهداء الذين قتلوا من جرّاء القصف الإسرائيلي واستقبالهم في هذه المؤسسة التربوية المهنية لتعليمهم الإسلام وحرفة تنفعهم لتأمين حياتهم ومعيشتهم .

وافتتح الإمام المؤسسة في بداية السنة من العام الدراسي ١٩٦٩ وكان عدد الطلاب المسجلين سبعين طالباً وفيها فروع : إلكترونيات ، ميكانيك الآليات ، إلكترونيك نجارة ، حدادة .

وفي هذا اليوم تحتضن سبعمئة طالباً يدرسون الفروع العلمية المهنية والصناعية المذكورة والتالية من المحاسبة ، كمبيوتر ، برمجة كمبيوتر .

٢ ـ مدرسة التمريض:

أنشأ الإمام الصدر في ١/ ١٠/ ١٩٦٩ مدرسة

التمريض لخصوص الفتيات ذات الدراسة الأكاديمية الحديثة وتأهيلهن للعمل في المستشفيات الخاصة والحكومية ، وللدراسات العليا لمن تسمح لها الظروف في متابعة الدراسة كي تنال الشهادات العالية الجامعية . وبدأت الدراسة فيه في التاريخ المذكور وقد ضم في السنة الأولى اثنتا عشر طالبة لبنانية وفلسطينية في شقة مستأجرة لهذا الغرض في مدينة صور وأصبحت اليوم هذه المدرسة ضمن مؤسسات الإمام الصدر التي تكون تحت إشراف السيدة الفاضلة رباب الصدر شرف الدين شقيقة الإمام الصدر .

وتعد هذه المدرسة من المدارس الناجحة في لبنان من ناحية الدراسة والنظام والنجاح .

٣ ـ بيت الفتاة:

يحتضن هذا المعهد خصوص الفتيات اللائي يرغبن تعلّم الحِرَف اليدوية والأشغال المهنية مثل الخياطة والتدريب المنزلي وبعض الأشغال اليدوية في البيوت ويعرض أعمالهن سنوياً في المعارض لبيعها وينفق أثمانها لمصلحة المعهد والفتيات .

وتم تأسيس هذا المعهد في شقة مستأجرة في صور ابتدأ مع اثني عشر طالبة عام ١٩٦٤ وأصبحت هذه المؤسسة

هذا اليوم ضمن مؤسسات الإمام الصدر التي ترعاها أخت الإمام السيدة رباب الصدر شرف الدين وإشتملت على تعليم : تزيين نسائي ، أمانة سر ، خدمة فندقية ، خدمة صحية ، تنشيط اجتماعي .

٤ ـ مدرسة الهدى:

تشتمل هذه المدرسة على فرع الحضانة وصف أول ابتدائي للبنات وهي نصف داخلي . وقد تأسست هذه المدرسة مع بيت الفتاة عام ١٩٦٤ للفقراء والمحتاجين . ودخلت بعد إخفاء الإمام الصدر تحت رعاية مؤسسات الإمام الصدر تحت إشراف السيدة الفاضلة رباب الصدر شرف الدين ، وتحتوي هذا اليوم على أربعة عشر صفاً وثلاثمائة وخمسة وعشرون زهرة وكلهم ما دون السادسة من العمر .

٥ ـ معهد الدراسات الإسلامية في صور:

أسس سماحة الإمام السيد موسى الصدر عام ١٩٦٤ (معهد الدراسات الإسلامية) لتدريس العلوم الإسلامية على ضوء منهج الدراسات الإسلامية الموجودة في حوزة النجف الأشرف وقم المقدسة مع قدر من التعديل والتطوير فعلى جانب تدريس العلوم العربية من النحو والصرف والبلاغة وعلمي الفقة وأصوله والمنطق ، يُدرس علم الفلسفة وعلم الكلام (العقائد) والأدب العربي والتاريخ الإسلامي واللغة

الأجنبية ونصوص للحفظ من القرآن الكريم ونهج البلاغة .

وأول شقة استأجرت للمعهد هو بيت المرحوم السيد جعفر صفي الدين الكائن على الشارع العام من جهة مدخل البلد الشمالي باتجاه السوق . ثم انتقل إلى بناية بحسون فوق بنك جمال في صور كما سمعت من الناس ثم شيد سماحته بناية ذات طوابق ثلاثة فوق نبي إسماعيل على ساحل البحر من جهة القبلة .

وفي الأعوام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ كان المعهد محجة للطلاب الأفريقيين القادمين إلى لبنان لتعلم العلوم الإسلامية وكان الإمام مسروراً بهم مشجعاً إياهم وفي بعض السنين بلغ عدد الطلاب الوافدين من أفريقيا أكثر من عشرين طالباً .

ولكن احتدام المعارك في لبنان واشتداد الفتنة في بيروت فرقت طلاب المعهد فمنهم من عاد إلى بلده ومنهم من هاجر إلى السعودية ومنهم من استمر في بعض المعاهد الإسلامية في لبنان .

وقد صدر في حينه بيانٌ عن رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ورئيس معهد الدراسات الإسلامية في صور الإمام موسى الصدر يقول فيه :

١ ـ إن معهد الدراسات الإسلامية في صور تأسس بناء على قانون تنظيم شؤون الطائفة الإسلامية الشيعية الصادر عن مجلس النواب في ١٩/ ١٢/ ١٩٦٧ .

٢ ـ وأقرّت الهيئة الشرعية في المجلس أسسه وأقسامه وبرامجه وكافة شؤونه الإدارية والثقافية والتربوية ، وبلّغت وزارة التربية الوطنية بمقتضى علم وخبر فور تأسيسه في الشهر التاسع من ١٩٦٨ .

٣ ـ أقسام الدراسة في المعهد ثلاثة : المتوسطة والثانوية ، الجامعية ، ماجستير .

٤ ـ مدة الدراسة في القسم الأول ست سنوات مع سنة تحضيرية لغير العرب ، وفي القسم الجامعي أربع سنوات وفي قسم الماجستير سنتان .

٥ ـ السنة الدراسية ٣٢ أسبوعاً وكل أسبوع خمسة أيام .

٦ ـ جدول المواد الدراسية وساعاتها خلال السنة (الجدول مذكور بالتفصيل في كتاب المسيرة ج١ ص ٤٥٣) .

٧ ـ على الطالب في قسمي الجامعي والماجستير تخصيص عشر ساعات أسبوعياً بالمباحثة مع بعض زملائه لمراجعة دروس الأساتذة ومناقشتها .

٨ ـ على الطالب في قسم الماجستير تقديم رسالتين كل سنة حول أحد المواضيع الخمسة (الفقه، أصول الفقه، الحديث، علوم القرآن، الفلسفة) تشتمل على أبحاث مفيدة لا تقل عن ستمائة سطراً.

٩ ـ ينال الطالب شهاداته الثلاث من معهد الدراسات الإسلامية بعد امتحانات خطية وشفهية وبعد إقرار مجلس إدارة المعهد حسن سلوكه.

ثم بنى الإمام الصدر بناية لمعهد الدراسات الإسلامية في طرف من الحرش في بيروت على غرار ما هو موجود في صور وإبتغى من وراء ذلك التمهيد لتأسيس جامعة إسلامية رسمية بعد الحصول على الرخصة من حكومة لبنان.

ولكن إخفاء الإمام الصدر والأيام الصعبة التي هبّت على لبنان أخّرت المشاريع. وعندما انقشع الظلام عن لبنان بادر المقدس الشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بفتح المبنى تحت اسم معهد الشهيدين للدراسات الحوزوية وكانت الدراسة مستمرة حتى بعد وفاته ١٠/ ١/ ٢٠٠١ ولكن الحركة العلمية في المعهد بعد رحيله خفَّت وعدد طلاب المعهد قد تضائل.

٦ ـ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى:

يسمح النظام الطائفي اللبناني لكل دين ومذهب أن يؤسس مجلساً أعلى يتولى إدارة الشؤون الدينية للطائفة المتواجدة على الأراضي اللبنانية وقد حصلت الطوائف الكريمة المسيحية اللبنانية التي ينوف عددها على العشرة، على اعتراف رسمي بمجالسها العليا الدينية.

كما وأن كلاً من طائفتي الدروز والمسلمين السنة نالوا حقوقهم الرسمية ورتبوا لأنفسهم دار مشيخة العقل ودار الإفتاء.

وعندما سعى الإمام الصدر في سبيل تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى اعترض بعض وجهاء وعلماء المسلمين السنّة واتهموه بأنه يريد التفرقة وتمزيق الوحدة الإسلامية، فاقترح الإمام على المعترضين من المسلمين السنّة البديل عن تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بتأليف أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى بالتساوي والمناصفة بين السنّة والشيعة وأن يكون المفتي دورياً بين الطائفتين ولكنهم رفضوا التسليم للاقتراح وأرادوا أن يكون التفوق والامتياز في أعضاء المجلس الإسلامي وتعيين المفتي من الطائفة السنيّة الكريمة.

فبعد اليأس من حصول انعطاف لدى كبار القوم باتجاه

إخوانهم من مسلمي الشيعة والتعامل معهم على أساس العدل والإنصاف مضى الإمام الصدر في مطالبة الدولة اللبنانية تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى إسوة بكافة الطوائف الأخرى في لبنان ومن المعلوم أن المسلمين الشيعة بكافة شرائحهم في كل المناطق وخاصة رئيس المجلس النيابي آنذاك المرحوم صبري حمادة، دعموا رغبة الإمام وطلبه وتم في ٢٥/ ١٢/ ١٩٦٧ الاعتراف الرسمي بمسلمي الشيعة في لبنان وأصبح الإمام الصدر رئيساً للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان في ٢٣/ ٥/ ١٩٦٩.

وينبغي أن نذكر بأن مدة رئاسة المجلس الأعلى لكل طائفة حتى الممات أو العجز أو صدور ما ينافي المقام ولكن الإمام الصدر فتح الباب أمام الآخرين فجعل مدة ولاية رئيس المجلس الشيعي الأعلى ست سنوات يمكن تجديدها[١].

وفي تاريخ ٢٥/ ١١/ ١٩٧٤ عدلت هذه المادة بإجماع من الهيئتين الشرعية والتنفيذية وجعلت مدة ولاية رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى تستمر حتى إتمامه الخامسة والستين من العمر ولا يعفى من منصبه إلا لدواع صحية أو لأسباب خطيرة تقدرها الهيئات الشرعية والتنفيذية[٢].

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج١ ص ٣٤٨.

(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٥ ص ٢٥٧.

٧ ـ بث الأذان وخطبة الجمعة من الإذاعة:

بعدما حصل المسلمون الشيعة على اعتراف رسمي لإدارة شؤون الطائفة بأنفسهم طلب الإمام الصدر أن يبث المسلمون الشيعة أدعية السَحْر وأذان الصبح من شهر رمضان المبارك من الإذاعة اللبنانية في حين أن المسلمين السنّة يقيمون أذان المغرب من شهر رمضان المبارك .

وطلب أن يكون بث خطبة صلاة الجمعة دورياً بين السنّة والشيعة ففي أسبوع تبث صلاة الجمعة مع الخطبتين لمسلمي السنّة مباشرة من الإذاعة الرسمية وفي أسبوع آخر تبث الصلاة مع الخطبة للشيعة .

٨ ـ يوم عاشوراء عطلة رسمية:

يحدد المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى يوم العاشر من محرم يوم استشهاد أبي عبدالله الحسين عليه السلام في أرض كربلاء وتعلنه الدولة عطلة رسمية في كافة الدوائر الرسمية اللبنانية وعلى جميع الأراضي اللبنانية .

٩ ـ تطوير جمعية البر والإحسان:

أسس الإمام المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين في عام ١٩٤٨ جمعية البر والإحسان لمدينة صور وبنى حسينية سمّاها (نادي الإمام الصادق عليه السلام) وجعل

من أهداف هذه الجمعية رعاية شؤون الفقراء في صور وجوارها . وعندما استقر الإمام الصدر في مدينة صور أحدث عام ١٩٦١ تطوراً نوعياً في أنشطة الجمعية ، ومنع التسكع والتسول في الطرقات والأسواق بعد أن مسح العوائل الفقيرة في البلد وقدم لهم في كل شهر ما يكفيهم من المؤن الغذائية .

ولكن هذه النشاطات قد تلاشت مع الوقت لعدم متابعة الناس تقديم المساعدات للجمعية وانشغال الإمام بأمور أخرى لم تسمح له بالإستمرار المباشر لجمع المساعدات وتوزيعها على الفقراء .

١٠ ـ شراء قطعة أرض للتمريض:

اشترى الإمام الصدر قطعة أرض مساحتها أربعة عشر دونماً في خراج العباسية قرب صور ، وسجلت باسم جمعية البر والإحسان وكان الهدف هو بناء مدرسة للتمريض تخص الفتيات ولا تزال الأرض مملوكة للجمعية ولم يشيّد عليها شيء .

١١ ـ شراء قطعة أرض لبناء كلية الزراعة عليها:

اشترى الإمام قطعة أرض في حدود ألف دونم في منطقة بعلبك تسمى باللبوة لبناء كلية الزراعة عليها . ولكن بعض المجاورين للأرض اعتدوا عليها وقطعوا مساحات

شاسعة منها، كما أن جمعاً من أهل تلك المنطقة قدموا وثائق ومستندات للمقدس سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين يثبتون له بأن قطعة من الأرض تعود إليهم فحكم رحمه الله بذلك. وبعد فترة رأيته رضوان الله تعالى نادماً على حكمه متحيراً ماذا يفعل تجاه تصرف الجماعة في قطعة الأرض بحكمه؟ وكان ناوياً أن يعوض عن تلك القطعة ما يحصل معه إبراء لذمته، وأما الباقي من حدود ألف دونم فهو ما يقارب ستمئة دونم فقط في يد حركة أمل والمجلس الإسلامي الشيعي ومهيّاً للإستغلال والإستثمار زراعياً وإقتصادياً.

١٢ ـ مدينة الزهراء:

اشترى الإمام الصدر مبنىً في خلدة على المدخل الجنوبي للعاصمة بيروت، مؤلفاً من طابق سفلي وطابق أرضي وسبعة طوابق علوية في ١٧ ـ ٧ ـ ١٩٧٧ وتكون مساحته سبعة آلاف ومئة وتسع وعشرين متراً بـ مليونين ومئة وعشرين ألف ليرة لبنانية لإقامة مؤسسات تربوية وسمى سماحته المبنى بـ«مدينة الزهراء عليها السلام» ولكنه اتخذ المبنى بشكل موقت مركزاً للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بعدما حصلت الحروب في العاصمة وانقسمت إلى شطرين الغربية والشرقية وأصبح وصول المسلم إلى الحازمية

مقر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى محفوفاً بالمخاطر .

وكان قسم من الثمن ما تركه السيد شريعتمدارى لدى سماحته من المال بعدما أتى به ممثلوه إلى لبنان لمساعدة إخوانهم في التبعة لترميم بيوتهم وإعادة المهجرين إلى حياتهم وعندما عرفوا بأن القضية اللبنانية لا تنحل في غضون يوم وآخر تركوا المال لدى الإمام الصدر حتى يصرف عليهم عندما يستتب الأمر . وعندما علم أنصار السيد شريعتمداري بأن الإمام قد دفع المال المودع عنده في شراء المبنى في خلدة اغتاظوا كثيراً واعترضوا على دفع المال جزءاً من ثمن المبنى ، فذهب الإمام إلى أفريقيا لجمع المال وتسديد ثمن المبنى وإعادة ما أودع لديه إلى السيد شريعتمداري . ولكن إسرائيل قد احتلت الجنوب حتى مشارف البرج الشمالي من أرض جبل عامل وعاد الإمام من أفريقيا على عجل وقد قيض الله سبحانه مورداً آخر لدفع الثمن ورفع هذا الثقل عن كاهل الإمام حين جاء المرحوم العلامة السيد مهدي نجل المرجع الكبير السيد محمد رضا الگلبايكاني على رأس وفد من قبل مرجعية والده لتفقد أمور المسلمين الشيعة في لبنان بعد تهجيرهم من بيوتهم في النبعة وجاؤوا إلى الإمام الصدر واستمعوا إليه حول ما يجري من الفتنة الداخلية ودفعوا ثمن المبنى في خلدة كله أو جلّه وعادوا إلى قم المقدسة .

وظلت صورة المرجع الكبير السيد محمد رضا الگلبايكاني معلقة على مدخل المبنى لفترة من الزمن .

١٣ ـ جامعة قبا:

قرر بعض العلماء والأساتذة والمحسنين في إيران مثل الشهيد مطهري والشهيد مفتح والمرحوم المهندس بازرگان والشيخ رفسنجاني و . . . بناء جامعة إسلامية متطورة تلبي حاجات المسلمين وتعلّم الشباب العلوم العصرية مع الإسلام واختاروا لها اسم (جامعة قبا) تيمناً وتبركاً باسم جامع قبا(١) الذي أسسه رسول الله صلى الله عليه وآله عند وصوله إلى هذا المحل في طريقه إلى المدينة المنورة وجاؤوا إلى لبنان للبحث مع الدولة والإستطلاع لتشييد مثل هذه المؤسسة العلمية ، ولما عرف الإمام الصدر نيتهم أقنعهم بأن لبنان من أفضل الأماكن والبلدان لهذه العملية فوافقوه وأدخلوه عضواً في هذه اللجنة المشرفة على هذا المشروع التعليمي التربوي واشتروا أرضاً كبيرة في منطقة الوردانية ـ الجيّة قرب صيدا مساحتها عشرات الدونمات .

ولكن توالت الأحداث في بيروت وتصاعدت الثورة في إيران واختطف الإمام الصدر وانتصرت الثورة الإسلامية

---

(١) أول جامع في الإسلام بعد هجرة الرسول من مكة بناه صلوات الله وسلامه عليه على مشارف المدينة في مكان يسمى بقبا .

فأرجأ مشروع بناء الجامعة .

ويوجد اليوم خلاف بين السفارة الإيرانية في بيروت من جهة والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى من جهة أخرى في مسألة الولاية على الأرض للبدء في البناء وتنفيذ المشروع الكبير .

١٤ ـ مبرة الإمام الخوئي:

افتتحت لأول مرة في تاريخ لبنان وتحت إشراف عالم فقيه مجاهد الإمام الصدر وبإذن من المرجعية الإمام الخوئي مؤسسة تحتضن في منطقة صفير من ضاحية بيروت الجنوبية الأيتام وذوي الحالات الصعبة الاجتماعية وكان كل ذلك إثر المساعي الشخصية للإمام الصدر .

ولأول مرة أدخلت مصطلح (المبرة) في هذه المؤسسات بدلاً عن الميتم الذي كان متداولاً لدى المسلمين في كل مكان وهو يحمل في طياته اليتم والحرمان وجرح الشعور والإحساس بالنقص فاستعاضه الإمام بكلمة أخرى فيه الخير والإحسان وهو المبرة الخالية من تلك الحساسية .

١٥ ـ روضة الشهيدين:

كان المسلمون الشيعة القاطنون في ضاحية بيروت في حي الشياح والغبيري يعانون من عدم وجود مدفن خاص

بهم وكان على الطرف الغربي الشمالي منها حرشاً كبيراً مساحته أكثر من خمسين دونماً للدولة فأمر الإمام الصدر، المؤمن الصالح الشيخ سلمان الخليل ابن المنطقة ووجيهها بالبدء في الدفن وعدم الرضوخ لمنع الدولة وإحالة المعترض على رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

يقول الشيخ سلمان الخليل: في أوائل نيسان عام ١٩٧٥ إستشهد شابان هما السيد مهدي هاشم والسيد مصطفى هاشم من رُبِّ ثلاثين بالقنص من المسلحين في المنطقة الشرقية من بيروت. فبعد تغسيلهما وتكفينهما والصلاة عليهما ودفنهما في الحرش، بنيت على أطراف الحرش قبوراً وهمية وذهبت إلى الإمام الصدر وأخبرته بذلك فقال مبتهجاً ومسروراً الآن أدخلت السرور في قلبي.

وبعد حادثة عين بنية في ٥/ ٧/ ١٩٧٥واستشهاد أكثر من خمس وعشرين شهيداً في انفجار لغم ضد الدبابات عند تدريب شباب حركة أمل على تفكيك الألغام جاؤوا بقسم من هؤلاء الشهداء ودفنوهم في المقبرة وسميت من حينها مقبرة الشهيدين لأن أول من دفن في ذلك المكان هما الشابان اللذان استشهدا بالقنص من ناحية المنطقة الشرقية من بيروت.

نعم قام المقدس سماحة الشيخ محمد مهدي شمس

الدين باقتطاع قطعة من الأرض المتاخم لدوّار شاتيلا ببناء جامع كبير وضخم ومجلل على نفقة المرحوم آية الله الشيخ احقاقي وسمى بالجامع الصادق عليه السلام كما أنه بنى بيتاً لنفسه قرب الجامع المذكور على أرض الحرش وبنى أيضاً مدرسة ابتدائية باسم مدرسة الضحى، على الجهة الغربية الجنوبية من الحرش.

١٦ ـ المعهد الفني الإسلامي:

بعد مرور فترة وجيزة تبرع المحسن الكبير الحاج صائب النحاس ببناء معهد فني في الجانب الشرقي من الحرش الواقع في منطقتي الشياح والغبيري، إستجابة لرغبة الإمام الصدر، الذي كان مهتماً بتعليم الشباب المستضعفين المحرومين للمهن والحرف العصرية حتى يتمكنوا من دخول سوق العمل في لبنان والأسواق العربية والعالمية ويكتسبوا رزقهم بكل عز وشرف.

ولكن جلاد ليبيا لم يسمح للإمام بتنفيذ طموحاته واختطفه قبل أن يرى ثمار مشاريعه ومخططاته.

نعم تولى المقدس سماحة الحجة الشيخ محمد مهدي شمس الدين بافتتاح المعهد وإدارة شؤونه ومتابعة أعماله.

١٧ ـ بناء الحسينية في روضة الشهيدين:

شيد الإمام بالتعاون مع المحسنين حسينية كبيرة في

وسط روضة الشهيدين لإقامة المجالس الحسينية العاشورائية والمناسبات الدينية والاحتفالات التأبينية أيام الجمعة والأحد .

١٨ ـ الجامعة الإسلامية:

بدأ الإمام الصدر سعيه في الحصول على ترخيص حكومي رسمي لتأسيس جامعة إسلامية في بيروت ، فبعد حصوله على اعتراف من الدولة اللبنانية بالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى سعى الإمام الصدر في سبيل الترخيص للجامعة فطوّر المناهج التعليمية لمعهد الدراسات الإسلامية حتى تكون نواة للجامعة المنشودة حسب ما ذكر في منهاج معهد الدراسات الإسلامية ، واستمر في جهده ومسعاه للحصول على الترخيص .

يقول في حواره مع جريدة «السياسة» الكويتية في ١٤/ ٣/ ١٩٧٤ : لدينا مشروع جامعة إسلامية تضم كليات متعددة تعيد وتوطد مجد العاملين وتقدم مزيداً من الخدمات لأبنائنا في لبنان وفي العالم العربي وتمنح أصدقائنا الأفريقيين وسائل الدراسة العالية[١] .

ولكن النظام الليبي القذافي قد خطف الإمام وترك الأمة من دون قائد جدير ولائق ورشيد وتأخر المشروع فترة

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٤ ص ٢٢٢ .

من الوقت حتى هدأت الأوضاع في لبنان وخمدت نار الفتنة فسعى المقدس الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين في مواصلة طلب الترخيص حتى أنجز ذلك في المرسوم رقم ٨٦٠٠ تاريخ ١٢ حزيران ١٩٩٦ لبعض الفروع ، والمرسوم ١٩٤٨ تاريخ ٢١/ ١٢/ ١٩٩٩ لبعض الفروع العلمية الأخرى .

وإفتتح سماحته الجامعة الإسلامية بفروعها هي : كلية الدراسة الإسلامية ، كلية العلوم السياحية ، كلية الهندسة ذات الاختصاصات الثلاثة هي : تقنيات الهندسة الطبية ، هندسة الكمبيوتر والاتصالات وهندسة المساحة ، المعهد العالي للإدارة ، المعهد الجامعي للتكنولوجيا التطبيقية بفروعها الثلاثة هي العلوم التمريضية ، علوم الحاسب الآلي ، التصميم الغرافي . المعهد العالي للغات والترجمة بأقسامها التالية من الترجمة واللغات وآدابها ومركز اللغات . كلية الحقوق ، كلية العلوم السياسية والإدارية والديبلوماسية وكل هذه الفروع في خلدة في مبنى مدينة الزهراء ولا تزال الجهود مستمرة لتطوير الجامعة ، لتكون مقصداً لطلاب العلم لجميع بلدان العالم .

١٩ ـ حركة المحرومين:

أدرك الإمام موسى الصدر أن النظام الرسمي اللبناني قائم على الطائفية وأن الطوائف الأساسية تملك حزباً سياسياً

ذات شعار أممي تقدمي برّاق يخطف العيون ويفتح القلوب وأن على جانب الحركة السياسية ذراع عسكري قوي مدرّب على الأسلحة ومدجج بالعتاد الحديث وكل هذه الأدوات والآلات في حقيقتها لخدمة الطائفة التي ينتمي إليها ذات الشأن في القيادة من الرئيس وغيره ولمصالحه الخاصة وعائلته . فالحزب التقدمي الاشتراكي يدافع في العمق عن مصالح الطائفة الدرزية وبيت جنبلاط ، وحزب الكتائب يحافظ على مصالح الموارنة المسيحيين في الجبل وآل جميل ، وحزب الوطنيين الأحرار يتولى المحافظة على الموارنة المسيحيين في الشوف والجنوب وآل شمعون ، والأحزاب القومية العربية يهتمون بالمسلمين السنّة والمنظمات الفلسطينية تدعم هذا الحزب أو ذاك أو هما معاً لمصالحها ومصالح المسلمين السنّة في بعض الأحيان .

وأدرك الإمام الصدر أن شباب المسلمين الشيعة ورجالهم موزعون على قواعد الأحزاب من أقصى الأحزاب اليمينية إلى أقصى شمالها من دون أن يكون لهم قرار ذي شأن في ذلك الحزب بل يكونوا الوقود للحزب في الفتن والحروب فترى وتشاهد بكثرة شباب الشيعة في قواعد كل من حزب الأحرار ، والكتائب ، والتقدمي الاشتراكي ، والشيوعيين ، والقوميين ، ومختلف المنظمات الفلسطينية يحاربون ويقاتلون ويبذلون الدم لمصالح الآخرين .

وأدرك أن منطقة جبل عامل (الجنوب من لبنان) المتاخمة للأراضي المحتلة سائبة ومهملة لا تهتم بها الدولة أمنياً ولا عسكرياً ولا تقف في وجه إسرائيل المعتدية ولا تردّ اعتداءاتها المتكررة ولا تفكر في المخاطر المحتملة المحدقة بمنطقة جبل عامل التاريخية الموالية لأهل البيت عليهم السلام منذ نفي عثمان بن عفان للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وإبعاده إلى الشام(١) .

استناداً إلى هذه الأمور الجوهرية أسس الإمام حركة اجتماعية سياسية باسم «حركة المحرومين» وسمى الذراع العسكري لهذه الحركة الشعبية (أَمَلْ) اختصاراً لعنوان (أفواج المقاومة اللبنانية) وتم الإعلان عن ولادتها بعد حادثة عين بنية في بعلبك التي قضى سبع وعشرين فتىً شهيداً لدى تدريبهم على الألغام المتفجرة وأكثر من أربعين جريحاً .

وفي ٣٠/ ٥/ ١٩٧٦ انعقد المؤتمر التأسيسي الأول

---

(١) المعروف لدى أهل جبل عامل أن التشيع في هذه المنطقة جنوب لبنان والموالاة لأهل البيت عليهم السلام قد تم على يد أبي ذر الصحابي الكبير الذي قال عنه رسول الله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر بعدما نفاه عثمان بن عفان من مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الشام عاصمة خلافة معاوية بن أبي سفيان .

لحركة أمل في مؤسسة جبل عامل المهنية برئاسة الإمام السيد موسى الصدر وحضور جميع كوادر الحركة وقد دام المؤتمر ثلاثة أيام(1) وأقروا ميثاق حركة المحرومين وما يلي نصّ الميثاق :

إن جذور حركة المحرومين في لبنان تمتد عبر الزمن وتلازم وجود الإنسان منذ إن كان ، وطموحه نحو حياة أفضل ، تلك الغريزة التي تدفعه للتصدي لكل ما يفسد عليه حياته ولكل ما يجمد مواهبه أو يهدد مستقبله .

لذلك فإنها حلقة من الحركة العامة الممتدة في التاريخ ، وقد قادها الأنبياء والأولياء والمصلحون ودفعها المجاهدون وأغناها الشهداء الخالدون .

وهذا الترابط العميق عبر التاريخ ، يعزز حركة المحرومين في لبنان وينير طريقها ويضمن استمرارها ونجاحها .

وعندما تحاول رسم معالم هذه الحركة في لبنان ، بما للبنان من أبعاد حضارية وبما لهذه الفترة الزمنية الحافلة بالأحداث وما لهذه المنطقة الحساسة من العالم ، التي بدأت تدخل مجدداً في التاريخ من بابه الواسع .

عندما نحاول أن نرسم معالم هذه الحركة نجد التالي :

---

(1) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج7 ص61 .

١ ـ إن هذه الحركة تنطلق من الإيمان بالله بمعناه الحقيقي، لا بمفهومه التجريدي، فإن الإيمان هو الأساس لكافة نشاطاتنا الحياتية وعلاقاتنا الإنسانية وهو الذي يجدد باستمرار عزيمتنا ويزيد طموحنا ويصون سلوكنا.

كما وأنها تعتمد على أساس الإيمان بالإنسان، بوجوده، بحريته، وبكرامته. والحقيقة أن الإيمان بالإنسان هو البعد الأرضي للإيمان بالله، بُعد لا يمكن فصله عن البعد السماوي والينابيع الأصيلة للأديان تؤكد ذلك بإصرار.

٢ ـ أما تراثنا العظيم في لبنان وفي الشرق كله، الحافل بالتجارب الإنسانية الناجحة المشرق بالبطولات والتضحيات، الزاخر بالحضارات والقيم، فهو الذي يرسم الخطوط التفصيلية وينير لنا الطريق ويؤكد أصالتنا ويعطي سبباً واضحاً لوجودنا، وسنداً قاطعاً لمشاركتنا الحضارية، وبنفس الوقت، فإن الاستفادة من التجارب الإنسانية في أقطار الأرض مع الاحتفاظ بالأصالة هي دليل رغبتنا الأكيدة إلى الكمال والتقدم وقناعتنا بوحدة العائلة البشرية وتفاعلها.

٣ ـ إن حركة المحرومين انطلاقاً من هذه المبادئ، تؤمن بالحرية الكاملة للمواطن وتحارب كافة أنواع الظلم من استبداد وإقطاع وتسلط وتصنيف المواطنين، وتعتبر أن نظام الطائفية لم يعط ثماره، وهو الآن يمنع التطور السياسي

ويجمد المؤسسات الوطنية ويصنف المواطنين فيزعزع الوحدة الوطنية .

٤ ـ وترفض الحركة الظلم الاقتصادي وأسبابه من احتكار واستثمار الإنسان لأخيه الإنسان وتحول المواطن إلى المستهلك ، والمجتمع إلى تجمع المستهلكين ، وحصر النشاطات الاقتصادية في أعمال الربا والتحول إلى السوق .

وتعتقد الحركة أن توفير الفرص لجميع المواطنين هو أبسط حقوقهم في الوطن ، وأن العدالة الاجتماعية الشاملة هي أولى واجبات الدولة .

٥ ـ إن حركة المحرومين هي حركة وطنية تتمسك بالسيادة الوطنية وسلامة أرض الوطن وتحارب الاستعمار والاعتداءات والمطامع التي يتعرض لها لبنان .

والحركة هذه تعتبر أن التمسك بالمصالح القومية وتحرير الأرض العربية وحرية أبناء هذه الأمة هي من صميم التزاماتها الوطنية لا تنفصل عنها .

وغني عن القول إن صيانة لبنان الجنوبي والدفاع عن تنميته ، هو جوهر الوطنية وأساسها ، حيث لا يمكن بقاء الوطن بدون الجنوب ، ولا تصور المواطنية بدون الوفاء للجنوب .

٦ ـ وفلسطين، الأرض المقدسة، التي تعرضت ولا تزال لجميع أنواع الظلم، هي في قلب حركتنا وعقلها وأن السعي لتحريرها أولى واجباتها، وأن الوقوف إلى جانب شعبها وصيانة مقاومته والتلاحم معها شرف الحركة وإيمانها.

سيما وأن الصهيونية تشكل الخطر الفعلي والمستقبلي على لبنان، وعلى القيم التي نؤمن بها، وعلى الإنسانية جمعاء وأنها ترى في لبنان، بتعايش الطوائف فيه تحدياً دائماً لها ومنافساً قوياً لكيانها.

٧ ـ إن هذه الحركة لا تصنف المواطنين ولا ترفض التعاون مع الأفراد والفئات الشريفة التي ترغب جميعاً في بناء لبنان أفضل.

إنها ليست حركة طائفية ولا تهدف إلى تحقيق مكاسب فئوية، إنها حركة المحرومين جميعاً، إنها ليست عملاً خيرياً أو موعظة أو توجيهاً، بل هي تتبنى الحاجات وتعيش حرمان المواطنين، وتدرس الحلول وتتحرك فوراً لأجلها وتناضل إلى جانب المحرومين إلى النهاية[١].

٢٠ ـ المقاومة اللبنانية:

تحدثنا قبل قليل عن حركة المحرومين وهي حركة

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج١ ص ٢٥٢ و٢٥٣ و٢٥٤.

سياسية اجتماعية وذكرنا أن الإمام الصدر قد وضع الأسس لحركة مقاومة مسلحة جهادية ضد إسرائيل والصهيونية وسماها بـ«أفواج المقاومة اللبنانية» (أمل) كما تقدم وكان الهدف منها منع الاعتداء والاحتلال الإسرائيلي لأرض جبل عامل ومنع توطين الفلسطينيين في لبنان لأن في ذلك إجهاض للقضية المقدسة الفلسطينية التي يجب أن تتحرك في الطليعة ومن ورائها العالم العربي والإسلامي لتحرير القدس والأراضي الفلسطينية المحتلة . ومنع تقسيم لبنان من قبل عملاء إسرائيل مقدمة لتفتيت الدول العربية والإسلامية وتكون النتيجة هيمنة إسرائيل القوية الآمنة على منطقة الشرق الأوسط .

إن الإمام الصدر أول عالم فقيه رشيد في لبنان يلتفت إلى مخاطر إسرائيل وأطماعها وأحلامها ويتحرك بسرعة قصوى لتأسيس مجموعة كبيرة مقاومين ومسلحين ومدربين من أبناء لبنان معتمدين على أنفسهم ومتحركين بأوامر القائد الإمام الصدر لتتصدى لإسرائيل وتملأ الفراغ الحاصل من إهمال الدولة في جنوب لبنان والمرابطة في الليل والنهار على الثغور .

كان الإمام الصدر بنفسه مباشرة أو بواسطة المرحوم الدكتور مصطفى شمران أو الشباب الآخرين المعتمدين

يشرف على المقاومة وتجهيزهم وتدريبهم وإرسالهم إلى الخطوط الأمامية للوقوف في وجه إسرائيل .

وقد استشهد عدد ليس بقليل على رُبِّ ثلاثين وبنت جبيل و . . . بالقصف والمواجهة في الليل والنهار .

ويتبين مدى اهتمام الإمام الصدر بالمقاومة اللبنانية من خلال أحاديثه ومحاضراته ومؤتمراته التي أتيت على ذكرها في هذا الكتاب وما دوّن وسجّل في حياة الإمام .

٢١ ـ القيادة الإسلامية:

أظهر الإمام للأمة الإسلامية في لبنان أن الإسلام يضطلع بدور بارز قيادي في السياسة والمقاومة العسكرية لتصدّي عدوان إسرائيل من خلال تأسيس حركة المحرومين وأفواج المقاومة اللبنانية (أمل) .

فعندما نقرأ الميثاق الذي وضعه الإمام الصدر بنفسه لحركة المحرومين نرى بكل وضوح أولاً : أن الميثاق يشتمل على بنود تجعل قيادة الحركة ، إسلامية للأمة في الحياة السياسية والعسكرية ، ضد إسرائيل . وثانياً إنه ضد المؤامرات الخبيثة التي تحاك للبنان وللعرب وللمسلمين . وكيف لا يكون كذلك والقائد الإمام الصدر فقيه مجاهد متخرج من مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومن ذرية رسول الله صلى

الله عليه وآله فلا يخطط لمجموعة كبيرة في إطار حركة المحرومين عليها القتال والمواجهة مع العدو من دون أن ترتكز الخطط على الكتاب والسنة حتى تحصل له البراءة أمام الله يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وبعد قيام المجرم القذافي بإخفاء الإمام الصدر حدث تغيير في مسلكية الحركة رغم أن المبادئ والقوانين لم تتغير وضلت توجهها ومقاومتها واتجهت نحو السياسة والوجاهة التي كانت ممقوتة لدى الإمام القائد حيث كانت أولى الأوليات في سلّم الحركة ، التصدي للعدو الصهيوني ومقاومته .

٢٢ ـ كشافة الرسالة الإسلامية:

أسس سماحة الإمام الصدر الكشافة لطلاب المدرسة المهنية في جبل عامل ولكافة شباب الطائفة على أساس القرآن والسنّة وسمّاها بـ«كشافة الرسالة الإسلامية» ليكون نواة رجال جبل عامل وكوادر لحركة المحرومين وعسكريين مدرَّبين في أفواج المقاومة اللبنانية (أمل) وعيون ساهرة وعقول واعية وأيادي قوية في إبعاد كل شر وخبث ومؤامرة عن لبنان وجبل عامل ومسلمي الشيعة في لبنان .

٢٣ ـ مستشفى الزهراء عليها السلام:

من أمنيات الإمام الصدر أن يكون لمسلمي الشيعة في لبنان مستشفى كبيراً مجهزاً بأجهزة صحية وطبية حديثة لائقة بمستوى الطائفة الشيعية في لبنان بمثل ما لمسلمي السنة مستشفى المقاصد وللمسيحيين الموارنة مستشفى جامعة القديس يوسف وللأرثوذكس مستشفى قلب يسوع وهكذا رغم أن شاه إيران أبدى استعداده لتكفل ميزانية المشروع بأسره البالغ أربعين مليون ليرة[1] شرط أن توضع صورته على مدخل المستشفى ولكن الإمام رفض المال المشروط بوضع الصورة .

وإستمر الإمام في مشروعه فأهدت بلدية الغبيري قطعة أرض في منطقة الجناح مساحتها خمسة عشر ألف متر مربع لبناء المستشفى عليها . فطلب سماحته من مكتب هندسي غربي تخطيط المستشفى يحتوي على ٢٥٠ سريراً ، وسعى لإلزام شركة روسية بالتنفيذ وكان يبتسم ويقول إن مشروع مستشفينا غربي التخطيط وشرقي التنفيذ .

وعندما تتابعت الأحداث واحتدمت الفتنة على أرض لبنان أرجئ المشروع وإنصرف الإمام إلى ما هو أعظم وأكبر . وفي خضم القتال والمعارك قدم أطباء بلا حدود من أوروبا

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٤ ص ٣٨ .

وتعاونوا مع الصليب الأحمر الدولي وأقاموا مستشفىً ميدانياً على أرض المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في محلّة الأوزاعي بئرْ حسن وافتتحه الإمام في ٢٩/ ١/ ١٩٧٦ وأعلن أن هذا المستشفى يستقبل جميع المرضى من أي طائفة كانوا ولأي جهة انتموا وسمّاه بـ«مستشفى الزهراء عليها السلام» وفي الأيام التي تلت إخفاء الإمام تبرع المحسنون ومنهم الأخوان الحاج حسن والحاج عباس المكتبيان لبناء جناح للمستشفى .

٢٤ ـ مستوصف الإمام الصدر:

منطقة حي السلم في بيروت الكبرى من المناطق الشعبية الفقيرة التي يسكنها المحتاجون وذوي الدخل المتدني المحدود وهم في الغالب من أقاصي الجنوب والبقاع والشمال وبعلبك ولكن في معظمهم ينتمون إلى المسلمين الموالين لأهل البيت عليهم السلام .

إفتتح لهم الإمام الصدر مستوصفاً واختار أهالي المنطقة اسم الإمام الصدر للمركز واشتهر به (مستوصف الإمام الصدر) .

٢٥ ـ تدريس الدين في المدارس الحكومية:

قرر النظام التعليمي التربوي في لبنان السماح بتدريس الدين في الأسبوع ساعة واحدة أو ساعتين في كل صف

شرط أن أهل الطلاب يتولون دفع راتب معلم الدين .

وعلى هذا الأساس تصدى الإمام الصدر لأول مرة بإرسال مدرسي الدين في المدارس الحكومية في صور ومنطقتها وتولّى دفع الرواتب لهم .

وقامت بعد ذلك جمعية التعليم الديني الإسلامي المستقلة بتأسيس دورات لتأهيل الشباب المثقفين للتعليم الديني وإرسالهم إلى المدارس العامة والخاصة مع دفع رواتبهم وأصبحوا ناجحين جداً في تأدية رسالتهم . كما أن جمعية الرسالة الإسلامية التابعة لحركة المحرومين تتبنى مجموعة أخرى من الشباب المتعلمين لتدريسهم وتدريبهم على نشر الإسلام وتعليمهم للطلاب في المدارس وتتولى إنفاق الرواتب عليهم .

٢٦ ـ إشراك المرأة في صلاة الجماعة:

كان الإمام المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين يأمر النساء المؤمنات بالمشاركة في إقامة الفرائض اليومية جماعة في شرفة واقعة على الجانب الغربي للمسجد في بيت المرحوم الحاج حسين خضرة بعد فتح الشباك المشرف على داخل حرم المسجد لتحقق الاتصال بين المصلين في الجماعة .

ولكن الإمام الصدر سمح لهن في البدء بالدخول إلى

الجامع وأقام لهن صلاة الظهر والعصر من يوم الجمعة جماعة منفصلة عن صلاة الجماعة التي تقام للرجال ، في وقتين متباعدين . وسرعان ما سمح الإمام الصدر بمشاركة المرأة في صلاة الجماعة التي تقام للرجال بعد وضع ستار وحاجب من القماش للفصل بين الرجال والنساء فكان الضلع الشرقي من المسجد المكان المخصص للنساء والطرف الغربي للرجال وكانت خطبة واحدة للرجال والنساء معاً .

٢٧ ـ هيئة نصرة الجنوب:

أسس الإمام الصدر من كبار رجال الدين المسلمين والمسيحيين هيئة نصرة الجنوب للتحرك والسعي الحثيث دون تنفيذ المخاطر الشريرة التي تحدق بالجنوب : من توطين الفلسطينيين أو الضغط على دولة لبنان من خلال تهجير أهل جبل عامل ، أو غير ذلك من المؤامرات ، وذلك لتحقيق أمور ثلاثة تحلم بها الدويلة الصهيونية الغاصبة وهي :

١ ـ تقسيم المياه في جبل عامل بينها وبين إسرائيل .

٢ ـ الاعتراف اللبناني بدولة الاحتلال .

٣ ـ التعاون الأمني مع الحكومة اللبنانية لمنع التسلل وقصف المستوطنات من قبل الأحزاب اللبنانية والمنظمات الفلسطينية .

وهذه الهيئة قد تألفت في ٢٠/ ٥/ ١٩٧٠ للمرة الأولى[١] .

وعندما أصبح بطرس خريش بطريركاً للمسيحيين الموارنة في لبنان أجمع الأعضاء على أن يتولى مار أنطونيوس بطرس خريش رئيساً فخرياً للهيئة وذلك في ٩/ ٢/ ١٩٧٥[٢] .

ومن أولى مهماتها التصدي لكل هذه الاحتمالات الجهنمية والمحافظة على وحدة الأراضي اللبنانية وشعبها من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال وهذه الهيئة تضم مضافاً على الإمام الصدر كلاً من :

١ ـ المطران بولس الخوري راعي الطائفة الأرثوذكسية في مرجعيون .

٢ ـ المطران يوسف الخوري راعي الطائفة المارونية في الجنوب والأراضي المقدسة .

٣ ـ المطران جورج حداد واثناسيوس الشاعر من طائفة الروم الكاثوليك .

٤ ـ البطريرك أنطونيوس خريش .

٥ ـ سماحة الشيخ أحمد الزين القاضي الشرعي

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص ٣٩٠ .

(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٥ ص ٢٧ .

للطائفة السنية في حاصبيا .

٦ ـ الشيخ نجيب قيس قاضي المذهب الدرزي في حاصبيا .

٧ ـ الشيخ عبد الأمير قبلان المفتي الممتاز للمسلمين الشيعة .

٨ ـ القس وديع أنطوان راعي الطائفة الإنجيلية في صيدا[١] .

٢٨ ـ اضراب لبنان مواساةً للجنوب:

لم يشهد لبنان منذ ١٩ سنة إضراباً شاملاً كالإضراب الذي عمَّ مدينة بيروت والضاحيتين الشرقية والجنوبية يوم الثلاثاء ٢٦/ ٥/ ١٩٧٠ بعد أن دعا إليه الإمام الصدر ضد الدولة لموقفها اللامبالاة تجاه الجنوب وأهله الذين يتحملون الويلات من ممارسات إسرائيل[٢] .

إن تجاوب الناس بشكل عام وتلبيتهم لنداء الإمام الصدر في الدعوة إلى الإضراب خير شاهد على إذعان جميع أطياف المجتمع اللبناني وألوانه لقيادة الإمام ومحبوبيته وهيمنته على الشارع اللبناني الواعي الكريم .

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٤ ص ١٠٠ .
(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص ٢٧٩ .

٢٩ ـ مجلس الجنوب:

بعد الإضراب العام الذي دعا إليه الإمام الصدر والذي عمَّ الجنوب وبيروت يوم ٢٦/ ٥/ ١٩٧٠ وبعد إعلانه عن سخطه وغضبه تجاه الإهمال المقصود نحو الجنوب أقرت الدولة مليون ليرة لبنانية لما أسموه باللجنة المركزية للجنوب ثم سموها مجلس الجنوب(١) .

وقد تطور هذا المجلس الجنوبي وأصبح مؤسسة كبيرة تضاهي الوزارة خاصة بآلام جبل عامل ومشاكلها وحاجاتها الناتجة من موقعها الجغرافي المتاخم للأراضي المحتلة فشيدت صروحاً كثيراً من المدارس الإبتدائية والتكميلية والثانوية وساهمت البيوت التي قصفت من قبل إسرائيل في تأهيلها وإعادة بنائها وساعدت الفقراء في الدواء والعلاج ومدّت شبكة مياه الشفة لكثير من القرى النائية المحرومة وعبّدت الطرق مع فتح طرق جديدة لتقريب البلاد وتوفير الوقت والمال على الناس و . .

ونستطيع أن نقول قد أزال مجلس الجنوب الذي أنشأه أو كان الإمام الصدر السبب الرئيسي لتحقيقه بعض آثار الحرمان والفقر من العامليين الذين يعيشون في جوار دولة جائرة ومعتدية وعنصرية .

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص ٢٨٩ .

ففي هذا اليوم نجد الماء والكهرباء والهاتف وشبكة المواصلات متوفرة في معظم قرى جنوب لبنان .

وكل ذلك بفضل الله سبحانه وفضل الإمام الصدر وفضل المقاومة الإسلامية التي حرّرت الأراضي الجنوبية من الإحتلال الإسرائيلي وأوجدت توازن الرعب مع إسرائيل لكبح جماحها في الإعتداء والإحتلال ، وإهتمام الرئيس نبيه بري .

٣٠ ـ جولة الإمام على المغتربين في أفريقيا:

انتشر اللبنانيون العامليون نتيجة الفقر الذي أصابهم ، في أرجاء العالم وخاصة في أفريقيا فذهب الإمام الصدر لأول مرة في حياة العلماء المجاهدين في ٢٦ ـ ١ ـ ١٩٦٧ إلى أفريقيا لتفقد الجالية اللبنانية وشرح ما يجري في الجنوب وتوحيد كلمتهم وحثهم على التعاون مع السلطات الأفريقية فزار أكرا ولاغوس وأبيدجان وكوناكري ودكار وسيراليون وعاد إلى لبنان في ٩/ ٧/ ١٩٦٧ ولقي ترحيباً وحفاوة منقطع النظير من الرسميين الأفريقيين والجماهير الشعبية الأفريقية والجالية اللبنانية المسيحية والمسلمة وكانت له محاضرات ولقاءات في الجامعات والمساجد والكنائس والقاعات ومساعدات للجمعيات الخيرية الأفريقية .

وتركت هذه الجولة أثراً كبيراً جداً في نفوس اللبنانيين

والأفريقيين الرسميين والشعبيين وتلت أيضاً جولات أخرى لبلدان ثانية إفريقية تأوي اللبنانيين العاملين .

٣١ ـ السجاد العجمي:

استقدم الإمام الصدر خبراء اختصاصيون في صناعة السجاد العجمي من إيران لتعليم البنات اللبنانيات في الجنوب على حياكة السجاد العجمي الإيراني وبدأن بالعمل في المؤسسة وفي البيوت . وفي ٦/ ٨/ ١٩٧٢ أهدى الإمام الصدر رئيس الجمهورية أول إنتاج السجاد العجمي في لبنان وكانت سجادة صغيرة عليها رسم الأرزة وعبارة الرئيس فرنجية المشهورة : وطني دائماً على حق[١] .

وقد استدان سماحته لهذا الغرض من بنك التسليف مبلغ ثلاثمئة ألف ليرة لبنانية لتأمين نفقات الآلات المستخدمة في هذه الصناعة كما استورد خبراء من إيران وقال سماحته : هناك ثلاثمئة فتاة لبنانيات يعملن الآن في صناعة السجاد العجمي موزعة بين قرى عدلون وياطر والصرفند وعندما تباع السجادة تأخذ الفتاة خمسين بالمئة من ثمنها كبدل أتعاب[٢] .

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٣ ص١٤٢ .
(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٤ ص٦٢ .

ولكن ارتفاع إجرة اليد العاملة وتوفر العمل الأسهل والأوفر ودقة هذا العمل اليدوي قد حال دون انتشار هذه الحرفة اليدوية في لبنان .

٣٢ ـ لجنة المتابعة:

عقد في ٢٤/ ١٠/ ١٩٦٩ وفي دار الفتوى بمساعي حثيثة للإمام الصدر اجتماع ضم المفتي الشيخ حسن خالد والإمام الصدر والشيخ محمد أبو شقرا والرؤساء صبري حمادة وعادل عسيران وحسين العويني وعبدالله اليافي وإنبثقت لجنة المتابعة المؤلفة من أعضاء هم : الإمام الصدر ، المطران غريغورس حداد ، الشيخ حليم تقي الدين ، الشيخ طه الصابونجي ، المطران افرام جرجور ، الشيخ مختار الجندي المتروبوليت إيليا الصليبي ، المطران يوسف الخوري والشيخ محمود فرحات وأقرت في ١٢/ ١١/ ١٩٦٩ أربع مبادئ هي :

١ ـ الموافقة على العمل الفدائي وتنسيقه مع السلطات اللبنانية دعماً له .

٢ ـ تحصين القرى الأمامية وإعدادها عسكرياً ومعنوياً ومادياً .

٣ ـ المحافظة على الوحدة الوطنية .

٤ ـ العمل في جميع القضايا ضمن نطاق أحكام

الدستور اللبناني[١] .

٣٣ ـ القرية النموذجية:

قام سماحة الإمام السيد موسى الصدر بتهيئة كافة الإستعدادات واللوازم لإقامة قرية نموذجية في العمروسية في إحدى ضواحي العاصمة تخصص لسكان عدد من أصحاب الأكواخ في بعض شوارع العاصمة[٢] وهي مؤلفة من ٤٦٠ شقة[٣] . وقد أنجز هذا المشروع في حينه واستفاد عدد كبير من المحتاجين من هذه الشقق السكنية .

٣٤ ـ إحصاء أوقاف الشيعة في لبنان:

قام المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بأمر من سماحة الإمام بإحصاء الأوقاف الإسلامية الشيعية وتبين أن هناك ٤٦٠٠ عقاراً إذا أحسن استثمارها تنتج ريعاً يوضع في خدمة الطائفة الإسلامية الشيعية لتنفيذ المشاريع التي تحتاجها الطائفة دون الاضطرار للجوء إلى جمع التبرعات عند التفكير في أي مشروع[٤] . وفي هذا اليوم يكون سماحة الشيخ عبد الحليم الزين المسؤول الأول في تنظيم أوقاف

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٢ ص٥٨ .

(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٣ ص١٨ .

(٣ و٤) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٣ ص ٨١ .

الطائفة في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في بيروت .

٣٥ ـ اللقاء مع الملوك والرؤساء:

نشاهد لأول مرة في التاريخ المعاصر عالماً فقيهاً سياسياً مخلصاً للإسلام والوطن يستقبله الملوك والرؤساء في الدول العربية بكل ترحاب وسرور ويتجاوزوا معه الآداب التي تراعى في الاستقبال والجلسات والتوديع ويتحدث معهم حول القضايا المصيرية مثل فلسطين والمؤامرات التي تحاك على المسلمين والتأكيد على الوحدة الإسلامية والتآزر والتعايش والتآخي مع الآخرين فينشرحوا لحديثه ورؤيته ويثقوا به ويصدّقوه في كلامه وتحليله ويتمنوا عليه تكرار الزيارة واللقاء بهم .

زار الإمام الصدر المرحوم الملك فيصل والمرحوم الملك خالد والأمير عبدالله أولاد المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود وزار الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في الإمارات والشيخ جابر آل صباح في الكويت والرئيس جمال عبد الناصر وملك المغرب ورئيس الجمهورية في الجزائر هواري بومدين والرئيس حافظ الأسد والرئيس شارل حلو ثم الرئيس سليمان فرنجية ثم الرئيس الياس سركيس والرئيس ياسر عرفات و . . . واستقبل مئات الوزراء والنواب والشخصيات الرسمية من مختلف العالم .

وهذه اللقاءات والزيارات لا يتيسر إلا لذي حظ عظيم من المواهب والقدرات العلمية والقيادية والشخصية يفرض وجوده عليهم ويلامس عقولهم وقلوبهم ويعتبرونه الرجل الصادق الرشيد الذي لا يريد إلا مصلحة الوطن والمواطنين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وأعراقهم وقومياتهم .

٣٦ ـ المحاضرات في المدارس والكنائس:

تفرد الإمام الصدر في تاريخ لبنان بالشخصية العلمية والثورية والحداثة والحكمة والإخلاص والوطنية لدى جميع الأديان والمذاهب والمستويات العلمية والثقافات فكانت الدعوات توجه إليه لإلقاء محاضرة أو المشاركة في النقاش أو الحضور في الجلسات أو إبداء الرأي أو ما شابه ذلك .

من هذا المنطلق نرى أن سماحته ألقى المحاضرات في الكنائس والدير والمدارس والجامعات والمساجد والقاعات وفي كل المناسبات المسيحية والإسلامية والوطنية والاجتماعية والثقافية والإدارية والعلمية مما ملئ حياته فكراً وعلماً وسياسة .

هذه هي أهم الإنجازات المادية والمعنوية للإمام موسى الصدر على صعيد المسلمين وخاصة مسلمي الشيعة في لبنان .

أما تأثيره الأخلاقي والتربوي والإجتماعي والنفسي

والسياسي والإعلامي في لبنان والعالم العربي فكبير وكثير .

ومن الواضح أن هذه الأعمال والإنجازات من شخص واحد ليس له دعم من عائلة أو زعيم سياسي أو حزب أو مال أو . . وإنما كان إعتماده على الله سبحانه وعلى مواهبه وقدراته منطلقاً غمار المجتمع اللبناني التي تزدحم لديه الحضارات الشرقية والغربية وتتلاطم في ساحته التيارات السياسية والمصالح الدولية والنزعات الطائفية المذهبية ، في مدة قصيرة قياسية بالنسبة إلى منجزاته محققاً نجاحاً باهراً لا يدانيه أحد في العصر الحاضر المعاصر قبل حضور الإمام الخميني رحمه الله على مسرح أحداث العالم ، هذه الإنجازات والنجاحات تدل على عظمة هذا الإنسان وتفوقه على الجميع .

أيام مع الإمام السيد موسى الصدر

الفترة الأولى

في صيف عام ١٩٦٣ زرت لبنان وخاصّة جبل عامل مع الأخوين العالمين العلامة الشهيد السيد على ناشر الإسلام[١] والحجّة الشيخ إبراهيم قائني وذهبنا إلى ياطر وكنا ضيوفاً لدى المختار المرحوم أبو عبدالله حمود وأهالي البلدة الكرام، ثم إلى بيت ليف ونزلنا بيت المرحوم الحاج حسن ملك والأهالي الكرام، واستغرقت زيارتنا لتلك المنطقة أسبوعاً واحداً فكانت سهرات ومحاضرات وجلسات دينية ثقافية والأهالي في البلدتين غمرونا بالحنان والعطف الذي لا يُنسى، وكنا نسمع من الناس المديح والثناء على العالم

---

(١) الشهيد السيد علي ناشر الإسلام من مواليد العراق ومن علماء الحوزة في النجف الأشرف، غادر العراق عنوة من قهر صدام تاركاً وراءه بعض أولاده وعائلته وبيته وكتبه وتوجه إلى إيران ثم سافر إلى سوريا واستقر في منطقة اللاذقية وفي زيارة له إلى مقام السيدة زينب عليها السلام بات ليلته في مكتب السيد القائد خامنئي في منطقة الحجّيرة فوجد عند الصباح مذبوحاً في ظروف غامضة وكانت هذه الحادثة عام ١٩٩٨ .

الكبير الإمام موسى الصدر الذي حلّ محلّ المقدس الإمام الراحل السيد عبد الحسين شرف الدين فجئنا يوم الجمعة إلى مدينة صور في طريق عودتنا إلى بيروت ثم دمشق ثم النجف الأشرف، والتقينا بسماحته في المسجد الكبير الذي أنشأه الإمام شرف الدين، وصلينا خلفه صلاة الظهر والعصر جماعة واستمعنا إلى خطبته بين الصلاتين ثم بعد الانتهاء أخذنا إلى بيت صهره السيد حسين شرف الدين الكائن آنذاك جنب نادي الإمام الصادق عليه السلام[1] لتناول الغداء فأمر بإحضار الطعام وتجهيز الأكل من المطعم ولدى تناول الغداء دخل علينا شاب وأصرّ على سماحته بالتدخل لدى أهل الفتاة التي يريد الزواج منها لكي يوافقوا عليه ويسهّلوا أمره فأجاب الإمام مبتسماً بأن الأمور مرهونة بأوقاتها ووعده خيراً فتركنا الشاب وهو مرتاح وبعد الفراغ من الأكل والشرب أخبرنا سماحته بأنه سيعود إلى المسجد ثانياً لإقامة الظهر والعصر جماعة مع النساء المؤمنات وإلقاء خطبة بين الصلاتين فودعناه على الفور وخرجنا متوجهين إلى بيروت وكلنا مبهورون بنشاط الإمام الصدر وحيويته وتعلق الناس به.

---

(١) أصبح البيت هذا اليوم مركزاً للمعاقين.

الفترة الثانية

وفي عام ٦٥ ـ ١٩٦٦ أصبت في النجف الأشرف بانحطاط عام في الجسم وداء في الصدر فأشار الطبيب المعالج علي بالسفر إلى خارج العراق للراحة والاستجمام فبعثني سيدي ومولاي الشهيد السيد محمد باقر الصدر إلى لبنان وكتب رسالة إلى ابن عمه الإمام الصدر للاهتمام بنا والاستفادة منا فجئت إلى مدينة صور ودخلت على الإمام الصدر وسلمته الرسالة فأظهر اللطف والأبوة فكنت معه في أيام عديدة، أصطحبه في تنقلاته وأرافقه في حضور الاحتفالات والمناسبات وأتحدث معه بكل حرية وفي كل موضوع وكان سماحته في تلك الأيام خفيف العبأ قليل المسؤولية يسير اللقاء به سهل الزيارة والوصول إليه، يخرج صباحاً من بيته[1] ويأتي إلى معهد الدراسات

(١) كان الإمام مستأجراً بيت المرحوم الحاج حسن بحسون مستقراً فيه لدى وفوده على مدينة صور ثم انتقل إلى الطابق الخامس في بناية الصائغ خلف المدرسة الدينية ثم تحول من مدينة صور إلى بيروت عام١٩٦٩ بعدما انتخب رئيساً للمَجلس الإسلامي الشيعي الأعلى واستقر في الطابق العلوي من المجلس في الحازمية.

الإسلامية[1] ويدرس المكاسب على بعض طلبة المعهد ثم يذهب إلى نادي الإمام الصادق عليه السلام ويجلس لدى الزاوية الشمالية الشرقية والناس يدخلون عليه للقاء به والسلام عليه وعرض مشاكلهم لمعالجتها عنده أو الاستخارة

---

(١) استأجر الطابق الأول من بناية المرحوم السيد جعفر صفي الدين على الطريق العام من البص إلى البلد لجعله معهداً لتدريس الدروس الدينية التي تدرس في حوزات النجف الأشرف وقم المقدسة مع بعض دروس أخرى ومحاضرات عامة لا بد أن يتعلمها عالم الدين مثل الأدب العربي والتاريخ الإسلامي واللغة الإنكليزية والثقافة العامة والفلسفة وعلم الحديث وحفظ آيات العقيدة من القرآن الكريم وحفظ خطب من نهج البلاغة وكان سماحته يرغب في تدريس كتاب التاريخ الإسلامي الذي وضعه والده المرجع الكبير السيد صدر الدين العاملي .

وقد انتقل المعهد بعد ذلك إلى الطابق الأول من بناية بحسون فوق بنك جمال في صور ثم بنى سماحته معهد الدراسات الإسلامية على البحر من جهة الغرب فوق ما يدعى ويعرف بمقام نبي إسماعيل .

وفي عام ٢٠٠٣ هدم المعهد بأسره وشيّد دولة الرئيس نبيه بري بناءً ضخماً مؤلفاً من مسجد وقاعة وغرف كثيرة وسماه بنفس الإسم السابق مضيفاً إليه الإمام الصدر (معهد الإمام الصدر للدراسات الإسلامية) وقد تم البناء والتشييد وسيفتتح في يوم السبت ٧/ ٥/ ٢٠٠٥ هذا المجمع العلمي ليكون فرعاً للجامعة الإسلامية في بيروت .

لديه أو الاستفسار عن مسألة شرعية أو آية مباركة أو طلب إجراء عقد الزواج أو إيقاع الطلاق أو دفع الخُمس إليه أو طلب حاجة منه أو . . . وغير ذلك من الأمور الدينية والاجتماعية وسماحته يستقبل الجميع برحابة صدر وبشاشة وجه ويسعى في أن يكون المُراجع راضياً عنه ومرتاحاً منه .

ثم يترك بعض الأيام النادي عند أذان الظهر متوجهاً إلى المسجد لإقامة صلاتي الظهر والعصر جماعة وبعض الأحيان يطلب مني أو من المرحوم الشيخ محمد عقيل أن نُقيم صلاة الجماعة إذا كان سماحته مشغولاً وغير متمكن من الذهاب إلى المسجد .

وعند العصر غالباً يذهب إلى زيارة الأصدقاء والمشاركة في المناسبات في داخل صور وخارجه قدر ساعة أو ساعتين أو أكثر ثم يعود إلى بيته .

وأيام الجمعة والأحد كان مواظباً على إقامة صلاتي الظهر والعصر جماعة وإلقاء خطبة بين الصلاتين وقد أمر بوضع ساتر من القماش السميك في الطرف الأيسر من المسجد للمؤمنات اللائي يأتين للمشاركة في صلاة الجماعة والاستماع إلى الخطبة ، ولم يكن في هذه الفترة جماعة خاصة بالمؤمنات .

وأما قبل الظهر من يوم الجمعة وبعده وطيلة يوم الأحد فغالباً كان خارج مدينة صور للمشاركة في الاحتفالات التأبينية والمناسبات الاجتماعية والندوات ففي بعض الأحيان كنا نخرج من مدينة صور في الصباح الباكر من يوم الأحد ونعود إليها آخر الليل وكنا نتناول الأكل القليل في داخل السيارة ونحن نقطع الطريق من مناسبة إلى أخرى .

وعلى هذا المنوال بقيت ما يقارب سبعة أشهر في خدمة الإمام ويكون معظم ذكرياتي من رفقة سماحته في هذه الفترة وأستطيع أن أدعي بأنني قطعت شمال لبنان وجنوبه وشرقه وغربه وساحله وجبله وبقاعه وزرت قراه ومدنه في هذه الفترة القصيرة في خدمة الإمام الصدر من لا يقطعه ولا يستطيع أن يقطعه ويسافر إليه معظم اللبنانيين في سنين .

* * *

كنت أمشي مع سماحة الإمام لوحدنا في صباح يوم من الأيام على الشاطئ الجنوبي من بحر مدينة صور وكنت أعرف بأن البيت الذي يسكن فيه يعود للمرحوم الحاج حسن بحسون وسماحته قد استأجر منه فقلت له سيدي لماذا لا تشتري بيتاً لنفسك وعائلتك وتتخلص من عناء الاستئجار

والنقل ومشاكل المالك؟

فقال سماحته كان لي صديق في طهران اسمه السيد مرتضى الجزائري وكان مستأجراً للدار التي يسكن فيه فقيل له لماذا لا تشتري داراً ؛ قال الملكية أمر اعتباري[1] وعليه أقول وأعتبر كل بيوت صور بيتي .

---

(١) الأمر الاعتباري يقابل الأمر العيني مثل الأمور الطبيعية : الأرض ، الهواء ، الشجر ، الماء ، الإنسان إلى آخر ما هناك من الكائنات المخلوقة لله حيث تكون موجودة ومتحققة ومستقلة وغير مرتبطة بالإنسان . في حين أن الأمور الاعتبارية وجودها باعتبار الإنسان فالإنسان يعتبر النقود الرسمية ذات قيمة وإذا اعتبر رئيس الدولة أو اللجنة المشرفة على النقود أن هذه النقود ملغاة تكون تلك النقود مهملة وباطلة . ويعتبر الشرع والقانون عند إجراء صيغة عقد النكاح الأنثى زوجة والذكر زوجاً من دون أن يحدث شيء خارجي وإنما حدث الاعتبار الشرعي والقانوني . وكذلك الملكية أمر اعتباري تحصل لدى الشارع والقانون والعرف بأن الدار أو البضاعة أو . . . ملكاً لزيد بعد أن دفع الثمن للمالك فلم يحصل أمر زائد وإنما اعتبر الشارع والقانون والعرف أن عملية البيع من خلال الألفاظ بعت واشتريت أو الكتابة والتوقيع لدى الدوائر الرسمية توجب حصول الملكية لمن دفع الثمن للمالك الأول .

فالخلاصة أن الأمور الاعتبارية لا تحقق على صعيد الكينونة والخارج شيئاً وإنما هي اعتبارات توجد في الذهن والشرع والقانون وتترتب الآثار القانونية والحقوقيةعلى هذا الأمر الاعتباري الذهني .

نعم لم يمتلك سماحته قطعة أرض ولا بيتاً لنفسه ولا لأولاده لا في بيروت ولا في صور ولا في مكان آخر طيلة حضوره في لبنان بل لم يترك لأهله وولده مالاً وإنما ترك عليهم ديوناً قد بلغت أكثر من مليون ليرة - كان في وقته مبلغاً كبيراً جداً - وحيث أن الإمام قد صرف هذا المبلغ على المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى والمهنية العاملية في صور وحركة أمل. تولى المجلس الإسلامي الشيعي بعد اختطاف سماحته تسديد كافة ديونه وتولى أصدقاء الإمام من شراء بيت لعائلة الإمام في منطقة بئر حسن من بيروت.

* * *

بعد أن شاهدت من سماحته النشاط الدؤوب والحركة المتواصلة من التدريس واستقبال الناس والتنقل من بلد إلى آخر للمشاركة في أحزان الناس وأفراحهم والعمل المتواصل ليلاً ونهاراً من دون هوادة ولا كلل قلت له يوماً لو ترتاح قليلاً في أثناء النهار وتخفف من أعمالك الاجتماعية وتخلد إلى النوم والراحة لكان لسماحتكم أفضل وأحسن.

أجاب سماحته أمامنا الراحة الطويلة والنوم الطويل في القبر واللحد والإنسان عندما يكون حياً يجب أن يتحرك وفي الموت رقود وسكون ونوم.

* * *

كنت برفقة سماحته في كثير من أيام الآحاد فننطلق من صور في سيارته مرسيدس سوداء اللون وسائقه السيد محمد علي زيدان من بلدة طير دبا ونذهب إلى بلدة وفيها مناسبة تأبين ويطلبون من سماحته كلمة فيرقى المنبر ويتحدث ثم ينطلق إلى احتفال ثان في بلدة أخرى ويرقيّ كرسي الخطابة ويتكلم أكثر من نصف ساعة ثم يذهب سماحته إلى مسجد البلد ويصلي الظهر والعصر وقد يتناول الغداء لدى أهل الفقيد ويتحدث مع الحاضرين على مائدة الطعام بأحاديث دينية واجتماعية ثم ننطلق عصراً إلى احتفال ثالث ويرقى المنبر ويكون حديثه في كل مكان يدور حول موضوع جديد وراهن وبعد ذلك ينتقل إلى زيارة قادم من سفر أو صديق أو عيادة مريض فيجتمع بالناس وإذا كان اللقاء عائلياً يسمح للنساء بالحضور في الجلسة مع مراعاتهن للحشمة والوقار والحجاب ويفتح حديثاً شيقاً دينياً ويطلب من الحضور المشاركة في الكلام والسؤال والمناقشة وهكذا.

قلت له سيدي لو أمرت بعض الإخوة أن يهيأوا لك بعض الكتب الصادرة إلى المكتبات حديثاً للقراءة والمراجعة حتى تعيش أفكار الساعة المطروحة في الساحة فأجاب هذا أمر ضروري وأحبه ولكن ماذا أفعل حيث لم أجد الوقت للقراءة والدراسة؟ ثم ذكر إنه استعار من المرجع الكبير السيد الخوئي في زيارة له إلى العراق كتاباً فلسفياً وهو شرح

أصـــول الكافي لملا صـــدرا وأتى به إلى لبنان ، ولكنه مع الأسف لم يجد الوقت لمراجعة هذا الكتاب المستعار من السيد الأستاذ الإمام الخوئي .

* * *

إستأجر الإمام الصدر شقة صغيرة في طابق أرضي في بناية كان يملكها المرحوم أحمد إسماعيل (أبو غياث) في منطقة رأس النبع مقابل معهد ابن سينا في ذلك الوقت لتكون محطة للتواصل مع الناس في بيروت فكان الأصدقاء ينتظرونه هناك لكي يجتمعوا به أو يتركون له رسائل لكي يأخذها من هناك ولم يتركها فارغة بل أسكن فيها ابن أخيه السيد كاظم ابن المقدس آية الله السيد رضا الصدر الذي كان يدرس الاقتصاد في الجامعة الأميركية في بيروت .

كنا في الشقة ذات ليلة فطلب المرحوم أحمد إسماعيل أبو غياث أن يسهر سماحته في بيته فصعدنا إلى الطابق الأخير وصلينا المغرب والعشاء واستأذن المرحوم سماحته بإفساح المجال لحضور عائلته وأخواته في الجلسة وكانت تلك الفترة أيام أربعين الإمام الحسين عليه السلام ، فأجاز الإمام وسألته سيدة حاضرة في الجلسة عن مفهوم أربعين الإمام الحسين فانطلق الإمام الصدر في الحديث عن السيدة زينب عليها السلام ودورها في مقارعة الظالمين وأنها السبب في

إذاعة نبأ استشهاد أخيها الحسين عليه السلام وهدف الشهادة وهي التي فضحت يزيد وأباه معاوية وهي التي هزت عروش الأمويين وأطاحت بهم بمواقفها وخطبها ، ولولاها لانطمست الثورة الحسينية ولشوهت من قبل الإعلام الأموي . وطلب من السيدات الحاضرات اقتناء كتاب بطلة كربلاء للكاتبة المصرية الدكتورة بنت الشاطئ وقرائته لمعرفة الحقيقة التاريخية أكثر .

* * *

من عادة الإمام أنه عندما يمشي مع إخوانه وأصدقاءه في وضح النهار في الشارع وأمام أعين الناس المتجهة صوبه المشدودة إليه ، إذا رأى في طريقه حجراً أو زجاجة مكسورة أو حديدة حادة انحنى وأوقف المجموعة التي تسير معه على خطاه لكي يميط الأذى عن الطريق ويجعله على حافة الطريق أو في مكان بعيد عن الشارع والمعبر ثم يستمر في المشي .

* * *

قال لي الإمام الصدر يوماً عندما كنا نتحدث عن الزعامة والقيادة ونحن في طريقنا إلى النزول من نادي الإمام الصادق عليه السلام والخروج منه . إن القيادة لا ترتبط بخصوص علم الفقه وأصوله بل لا بد من توفر ألف شرط

وشـرط لكي يكون الإنسـان مـؤهلاً لقـيـادة الأمة ومـن تلك الشروط الفقاهة .

ثم ضرب مثالاً حياً قائلاً إن سماحة الشيخ موسى عـزالدين[1] من تلاميـذ المرحـوم الشـيخ النائيني[2] وزمـيل الإمـام الخـوئي فـي الدرس ولعلّه أعلم وأفـقـه مني ولكن الخـصائص الأخرى التي لا بد أن تتـوفـر في الإنسـان على جانب الفقاهة غير موجودة في هذا العالم الجليل فلا يمكن أن يتبوأ مقام القيادة .

* * *

كـان ينعقـد في كل ليلة من ليالي الأسـبوع مـجلس عزاء أبي عبـدالله الحسين عليه السـلام في بيت من بيـوت المؤمنين الوجهـاء المحـترمين في مـدينة صـور وكـان يـحضـر

---

(١) الشيخ موسى عز الدين عالم جليل وحجة في العلم والفقه كان ساكناً في مدينة صور وقد أنشأ فيها مع مساعدة المحسنين مدرسة دينية لا تزال عامرة بالعلم والتقى وكـان معروفاً ومشـهوراً لدى أوسـاط المؤمنين والعلماء في منطقة صـور انـتقل إلى رحـمـة الله في ٤/ ٧/ ١٩٨٠ ووري الثرى في بلدته العباسية .

(٢) الشيخ محـمـد حـسين النائيني من المراجع والأساتذة الكبار في النجف الأشـرف صاحب مدرسـة ومنهج وفكر في علم أصـول الفـقـه . تخـرج من مـدرسـتـه كـبـار المراجع مـثل الإمـام الحكيم والسيد الخوئي وغيرهما .

المجلس نخبة من الكهول والشيوخ من ذوي الصداقة والرفقة أيام الطفولة والفتوة وكان المرحوم الشيخ داوود داوود وهو رجل مؤمن ذو نكت وظرافة ومزح يحضر ويقرأ مجلس العزاء فأمرني الإمام في الأيام الأولى من وصولي إلى مدينة صور أن أحضر هذه المجالس للتعرف على المؤمنين وللتحدث معهم قبل مجلس العزاء في مسائل دينية فقهية أو عقائدية أو تفسيرية وإفادتهم معلومات مفيدة في الدين لا يستغنون عنها .

كما أمرني أن أذهب إلى بيوت أصحاب العزاء للمشاركة والمواساة وأن أتحدث في الحاضرين من المصابين بفقد عزيز والمشاركين لمواساتهم ، كلمة من وحي المناسبة لتذكير الناس بالموت والآخرة وبالتعرف على المجتمع الذي سأستقر فيهم وأمرني أن أشارك في الأسابيع وأتحدث وكان كما رغب وأمر .

* * *

دُعي سماحة الإمام إلى طرابلس في شمال لبنان أوائل شهر محرم عام ١٣٨٦هـ لإلقاء كلمة في حفل أقيمت بمناسبة حلول أول السنة الهجرية ، وأقيم الحفل في مكان كبير لا أذكر إسمه حضره الكثير من الشخصيات السياسية والفكرية والوجهاء واستقبل الإمام لدى دخوله مكان

الاحتفال من قبل أصحاب المجلس بشيء من الحفاوة ثم بدأ الإحتفال وتحدث قبل الإمام الصدر رئيس بعثة الأزهر الشريف العالم المصري سماحة الشيخ فهيم أبو عبيّه المعروف في وقته في أوساط العلماء والمثقفين بالفصاحة والبلاغة وطلاقة اللسان فرأيته متكلماً ومنطيقاً وأديباً ويتصرف بالألفاظ والكلمات كما يلعب الإنسان بالمسبحة الموجودة في يده فانبهر الحاضرون من حديثه واندهش كل ذي لب من قدرته الفائقة على الخطابة وكان التصفيق يطغى على الحفل بين حين وآخر، فوجست الخيفة على الإمام الصدر هذا الرمز العظيم من أنه ماذا يفعل وكيف يكون حديثه وموقفه الخطابي بعد هذا الأديب الأريب؟ وكنت أعيش حالة القلق والاضطراب النفسي وأطلب من الله أن يلطف بنا ولا يصيبنا بالفشل.

وعندما جاء دور الإمام الصدر ودعي إلى المنصة لإلقاء الكلمة استقبل بتصفيق ترحيبي خفيف فقام وذهب نحو المنبر ووقف على كرسي الخطابة وتحدث بلهجته العربية ذات اللكنة الفارسية عن معنى الهجرة وأبعادها وآثارها وقارن بين هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة وهجرة سبطه الإمام الحسين من المدينة إلى مكة وكيف أن هاتين الهجرتين دكتا عروش الظالمين وحررت الناس المكبلين بأغلال الاستثمار والجهل وأخرجتهم من الظلمات إلى النور

وأضاف هجرة الحجاج من بيوتهم إلى الميقات وهجرتهم لملابسهم وزينتهم وخصوصياتهم لدى الميقات متوجهين إلى الكعبة . . . وأبدع في الحديث والكلام فكنت أرى بأن الجموع الحاشدة كانوا معجبين ومذهولين من هذا الحديث الشيق والبيان العذب الحلو وكانوا يصفقون بحرارة ويطيلون التصفيق وعدده كان أضعاف التصفيق لذلك الشيخ الجليل حتى أستطيع أن أقول بأنهم نسوا كلمة الشيخ وأخذ حديث السيد عقولهم وشعورهم . وبعد الانتهاء تمنوا عليه أن يبقى على المنصة ويجيب على الأسئلة وعند الخروج ودّعه الجمهور حتى ركوبه السيارة .

* * *

دُعي سماحته للحضور في احتفال مهيب أقيم في طرابلس مرة أخرى اشترك فيه السياسيون والوجهاء والشخصيات من أطراف لبنان فحضر الإمام وجلس في المقعد الأمامي وجلست في المقعد الخلفي من وراء الإمام وجاء الرئيس المرحوم عبدالله اليافي وكان بينه وبين الإمام شخص واحد جالس على الكرسي فتحدث عريف الاحتفال باسم الجماهير داعياً دولة الرئيس عبدالله اليافي بتلبية المطالب الملحة لهم فانتبه السيد اليافي في أواخر كلمة العريف بأن هناك مطالب قد تليت باسم الجمهور ويجب

عليه أن يقوم ويتحدث عنها وهو لم ينتبه إلى تلك الأمور عند ذكرها وبيانها فالتفت إلى من يجلس إلى يمينه ويساره فكانا مثله شاردي الذهن ثم التفت إلى سماحة الإمام فبين له الإمام المطالب واحدة بعد أخرى فشكره على انتباهه وبيانه له فقام إلى المنبر وتحدّث حول المطالب .

* * *

أمرني سماحته أن أجتمع مع الأستاذ الأديب الكبير حسين حمادة لترجمة كتاب (راه طي شده) الذي وضعه المرحوم المهندس مهدي بازرگان من الفارسية إلى العربية لما وجد سماحته في هذا الكتاب خطاباً جديداً في رسالة الإسلام إلى الشباب وكان يحب جداً أن يتطور خطاب العلماء والمبلغين في دعوتهم إلى الله سبحانه ، فالتقيت مع الأستاذ الكبير في بيته في صور وفي بلدته راشكيدا في البترون وكنت أقرأ الكتاب وأترجمه بالعربية ويصوغ الأستاذ حمادة بالصياغة الأدبية حتى انتهينا من ترجمة الكتاب ولكن الترجمة قد ضاعت وفقدت من عندنا فلا أعرف ولا أتذكر هل أنها ضاعت لدى الإمام عندما قدمناه لسماحته كي يلقي نظرة عليه أو في مكان آخر؟ .

* * *

كان الإمام قد قرر تدريس تفسير القرآن المبين في ليلة

واحدة من الأسبوع هي مساء الجمعة في نادي الإمام الصادق (عليه السلام) لمجموعة من الشباب المثقفين وحضرت ليلة واحدة فوجدته يتحدث لهم عن سبب اختلاف التفاسير الموجودة بأيدينا قائلاً إن الوردة الواحدة لها حيثيات مختلفة وجوانب من الدراسة والبحث فيدرس مجموعة من العلماء الشكل الهندسي لكل ورقة من الوردة ومجموعة أخرى يتناولون تركيبة الوردة ومكوناتها الكيميائية ومجموعة ثالثة تدقق في هندستها الزراعية ومجموعة رابعة تتولى شؤون عطرها ورائحتها الذكية وهكذا .

والقرآن الكريم أيضاً يتناوله مجموعة من العلماء لدراسة الناحية الأدبية والبلاغية ومجموعة أخرى يفسرونه من الناحية الفلسفية وثالثة من الناحية الفقهية ورابعة من الناحية الروائية وهكذا . . .

* * *

كان سائق سيارة الإمام في هذه الفترة (١٩٦٦) السيد محمد علي زيدان من بلدة طير دبا وكانت السيارة مرسيدس أسود اللون من الموديل الحديث وكان سماحته يجلس في الجانب الأيمن من المقعد الخلفي ففي يوم تحدث السائق مع الإمام وقد أدار وجهه نحو الإمام جهة الخلف أثناء السير فقال سماحته بكل لطف وأدب وبشيء من

التأنيب ألم أقل لك لا تلتفت إلى الخلف عندما تتكلم مع الجالس في المقعد الخلفي أثناء قيادة السيارة؟ فبهذه الطريقة المؤدبة نهى سائقه عن تكرار هذا العمل الخطير .

* * *

بعد اغتيال الصحفي الكبير المرحوم كامل مروة صاحب جريدة الحياة الموالية للغرب على يد الحزب القومي الناصري في مكتبه في بيروت في ٢٤/ ٥/ ١٩٦٦ ، حمل السيد محمد علي زيدان سائق سيارة الإمام آنذاك مسدساً ووضعه في السيارة وبعد أيام انتبهت إلى السلاح واستغربت وجوده في سيارة الإمام ولمح سماحته في وجهي معالم الاستغراب والاندهاش فابتدأ الإمام قائلاً إن الأوضاع في لبنان تستدعي الاحتياط إذ من الممكن أن العدو يريد خلط الأوراق وإثارة الفتن في البلد فيعتدى عليَّ كما اعتدوا على الأستاذ كامل مروة فقلت ـ والكلام للإمام ـ للسيد محمد على أن يحمل المسدس ويصطحبه معه من باب الاحتياط والدفاع عن النفس .

* * *

وجهت مدرسة بيت الشباب المسلم الدعوة إلى سماحته لإلقاء كلمة في المدرسة بمناسبة افتتاحها عام ١٩٦٦ الكائنة على مقربة من مقام ومسجد الإمام الأوزاعي في

بيروت فقال الإمام الصدر ونحن في طريقنا إلى الاحتفال : لم أهيأ موضوع الحديث ولم أدر فيم أتكلم؟ فقلت لسماحته قرأت عن الخطيب الشهير الشيخ محمد تقي فلسفي حديثاً حيث قال : هناك روايتان عن رسول الله صلى الله عليه وآله تبينان مدى أهمية العلم والتعلم في الإسلام أوليهما اطلب العلم من المهد إلى اللحد حيث يمثل الامتداد الزماني العمر كله ثانيهما اطلب العلم ولو بالصين حيث يمثل الامتداد المكاني فالإسلام يرفع العوائق الزمانية والمكانية ويأمر بطلب العلم من دون تحديد نوعه أو مكانه أو زمانه ، فاستحسن سماحته هذا الكلام وجاء وقت الخطاب ورقى المنبر وتحدث في الموضوع وأشار إلى مصدر حديثه وأشبع الكلام في ذلك ونجح بامتياز في خطابه ولدى الانتهاء من الكلام نزل عن المنصة وتوجه إلى كرسيّه الذي كان يجلس عليه وإلى جانبه سيدة محترمة كانت جالسة في الصف الأمامي فمدّت يدها لتصافح وتبارك الإمام على خطابه هذا فرفع الإمام الصدر يده اليمنى ووضع على صدره وتشكر بكل لطف من عواطفها .

* * *

توجد بلدتان شيعيتان محاطتان بالقرى المسيحية إحداهما في قضاء الشوف هي جون وثانيهما في قضاء

جزين وهي روم وكان أهاليهما نتيجة عدم وجود عالم نشط فيهم متأثرون بالثقافة المعاصرة في إختيار أسماء أولادهم ولباسهم وأساليب عيشهم فكان يخشى عليهم من الإنحراف والبعد عن مقومات الشخصية الإسلامية ، وكان مهتماً بهذا الأمر حتى قيض الله العالم المتدين سماحة العلامة السيد عيسى الطباطبائي وبعثه إلى بلدة روم وكان الإمام يتردد على القريتين بين حين وآخر ويتفقدهما ويحث أهلهما على الإلتفاف حول السيد الطباطبائي .

* * *

بعد مرور ذكرى أسبوع على اغتيال الصحفي البارز الأستاذ كامل مروة في ٣١/ ٥/ ١٩٦٦ صاحب جريدة الحياة ذات الميول الغربية على يد القوميين الناصريين رغبت عائلة مروة بزعامة أخته السيدة دنيا مروة التي تولّت إدارة الجريدة أن يلتقوا بالإمام الصدر للاسترشاد بنصحه عند زيارتهم رئيس الجمهورية اللبنانية شارل حلو للتشكر من مواساته لهم في العزاء والمصيبة فذهب الإمام إلى بيت مري وكنت في خدمته وصعدنا ربوة حيث كانت بيت المرحوم كامل مروة ودخل على عائلة المرحوم ودار الحديث وانتهى إلى هذا المقطع قائلاً لابن المرحوم جميل : قل للرئيس شارل حلو ليس من عادتنا الغدر وقادتنا الأئمة عليهم السلام منعونا من

ذلك فهذا مسلم بن عقيل عندما زار هاني بن عروة في بيته وهو مريض أخبره هاني بأن عبيد الله بن زياد سيعودني بعد قليل فاختبأ في البيت وأحمل عليه بسيفك واقتله وتريح الناس من ظلمه وتقضي على عدوك وعدو الإمام الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله . فأجاب مسلم بن عقيل ليس من شيمتنا الغدر والاغتيال .

* * *

ألقى الإمام الصدر كلمة قيمة في أسبوع الصحافي الشهيد كامل مروة في بلدته الزرارية أمام جمع كبير من رجال الصحافة والسياسة والناس . حيث قال :

رحمك الله يا أبا جميل ، لقد كنت عبقرياً فذاً في موتك ، بعد أن كنت عبقرياً فذاً في حياتك .

مت وأنت في ساحة الصحافة ، ووقعت صريعاً في محرابها .

إن الصحافة أيها الإخوان محراب لعبادة الله وخدمة الإنسان .

وإذا لم تقم بواجبها فهي مخدع للشيطان وخراب الإنسان ، الصحافة من أهم ميادين الصراع وأدقها ، لأنها هي التي تكون الرأي العام ، وهي التي تساعد على خلق

الثقافة ، وتهيء غذاء الأرواح ، وتخلق مراحل جديدة لتطور الروح ، وهي التي تهذب العاطفة في الجماهير وتوجهها إلى الخير والحق ، والصحافة بمراقبتها وتوجيهها للمجتمع وأعمدة المجتمع بتوجيهها للدولة والحكومة والمؤسسات وبمساهمتها في تنظيم الاقتصاد ، إنما تنظم مجتمع الإنسان ، تنظم بيئة الإنسان ، فهي خادمة للمجتمع والإنسان والفرد معاً وعلى هذا فإنها دعامة من دعامات تكريم الإنسان .

إن الصحفي يستطيع خلق المجتمع الصالح ، فهو حينما ينشر مقالة أو يكتب تعليقاً أو ينشر صورة أو يبرز عنواناً أو يفسر حدثاً فإنما يهدف بعمله إلى توجيه الفرد وتوجيه المجتمع وبإمكانه أن يكون أباً مرشداً مخلصاً ، وموجهاً حكيماً ، كما أن بإمكانه أن يكون خائناً أو مضللاً أو محرفاً للكلام عن موضعه .

الصحافة أيها الأخوان من أهم ميادين الجهادي ، ومن أهم عوامل تكوين الإنساني المدني ، وهذا المقام العظيم للصحفي يفرض عليه واجبات نحو المجتمع ، ويعطيه حقاً على المجتمع . إن واجبه نحو المجتمع أن يخلص في توجيهه وتنويره ونصحه ، ولكن حقه على المجتمع هو أن يعطيه الحرية ، ويصونه ويحميه .

والحرية أيها الاخوة ، هي أفضل وسيلة لتجنيد طاقات

الإنسان كلها ، ولا يستطيع الفرد أن يخدم في مجتمع لا تسوده الحرية ، ولا يستطيع أن ينطلق بطاقاته وينمي مواهبه إذا أعوزته الحرية ، والحرية هي اعتراف بكرامة الإنسان ، وحسن الظن بالإنسان ، بينما عدم الحرية إساءة ظن بالإنسان ، وتقليل من كرامة الإنسان .

الحرية هي حق للصحفي من المجتمع الذي يعيش فيه . إنها خدمة له ليعمل ، وهي خدمة للمجتمع ليعرف كل شيء ، وهي بعكس ما يقال لا تحد أبداً ، لا نهاية لها ، إنها هي الحق ، إنها من الله ، وإذا أردنا أن نحدد الحرية فنقول إنها هي تحرير الغير ، وتحرر من الشهوات ، وتحرر من الناس ، لأن الحرية التي تصطدم بحرية الآخرين عبودية للنفس ، ومتابعة للشهوات . الحرية جهاد ، إنها الجهاد الأكبر الذي عناه النبي الكريم ، إنها جهاد الأجنبي ، وجهاد النفس ، والتحرر من الشهوات ، ليكون رأي الصحفي ناصحاً ، صادقاً ، صافياً ، فحق الصحفي على المجتمع أن يؤمن الحرية له ، ويوفر له الاطمئنان لئلا يقع تحت مغريات وضغط مختلف الألوان .

الصحفي أيها الاخوان لا يهان ، لا يحارب بالضغط ، الصحفي لا يحارب بالفقر ، الصحفي لا يغتال .

الاغتيال أسوأ الأساليب وأفشلها في خدمة الهدف ، أي

هدف كان، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «الإيمان قيد الفتك»، ويقول: «المسلم لا يغدر، مهما كان عوض الغدر». إن مسلم بن عقيل امتنع في الكوفة من اغتيال عبيد الله بن زياد، رغم أنه كان بإمكانه اغتياله في بيت ليس فيه أحد، امتنع مسلم عن الاغتيال، وتحمل مسؤوليات كثيرة ونتائج فظيعة بما فيها قتل الحسين. إن الغاية لا تبرر الاغتيال مهما كانت الغاية عظيمة.

الغدر جريمة في الدين، جريمة عند الضمير، جريمة في منطق السياسات.

الاغتيالات تعكس على المجتمع نتائج خطيرة لا يمكن حصرها، فالخلافة الإسلامية التي كانت رسالة نور ورحمة، وخدمة وتفاعلاً مع الشعب، وتحملاً لكافة المسؤوليات، هذه الخلافة النيرة الموجهة، ضعفت بعد الاغتيالات التي أصيب بها رجالها الكبار، وفي مقدمتهم الإمام علي (عليه السلام) في محرابه، هذه الاغتيالات بدلت وجهة الخلافة عن الطريق السليم.

لقد دخل الخليفة إلى المقصورة واحتجب عن الناس، فتحولت الخلافة إلى ملك عضوض وتحول الحاكم إلى مالك، وتحول بيت مال المسلمين إلى خزانة الحاكم، وتحول الجيش المدافع عن الوطن إلى الحرس الخاص بالحاكم

فالاغتيال يبعد الحاكم، ويبعد القادة، ويبعد المخلصين من الشعب، وفي هذا الاحتجاب يكون الخطر الأساسي على المجتمع، لأن الحاكم لا يطلع الإطلاع المباشر على الناس، ولا يسمع شكواهم، ولا يهدي ضالهم، ولا يقوم معوجهم، فيقع في حاشية يتملقون له، ويصبح سجيناً لهم، ويبتعد عن الذين يمحصون أخطاءه فينحرف ويطغى ويستبد.

هذا الاحتجاب يخلق جواً من الأوهام في نفوس الشعب، فيظنون الحاكم من بضاعة غير بضاعتهم، ويسيئون الظن به، أو يجعلونه صنماً يعبدونه من دون الله، وفي كلا الحالين تكون الثقة معدومة، وفي ذلك تحقير للمواطنين، واعتبار أنهم محكومون، وأن الحاكم هو السيد، وفي كلا الحالين انحراف وجميع هذه المآسي وردت في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك بن الأشتر، حينما منعه من التحجب عن الناس.

الاغتيال، أيها الأخوة، ظاهرة اجتماعية خطرة، لأنها تمنع الشعب من التفاعل مع قادته وهي ظاهرة خطرة لأن المحاكمة والحكم والتنفيذ تكون في يد شخص واحد، قد يكون مخطئاً، فإذا انفتح هذا الباب فلا يمكن للمجتمع أن تسوده العدالة.

وأن من الواجب على حماة المجتمع لو كان في المجتمع

حماة ، أن يعالجوا ظاهرة الاغتيال علاجاً قطعياً جذرياً .

رحمك الله يا أبا جميل .

لقد مت ، ولكن الموت أبداً ليس فناء ، ولا انعداماً ، عند المؤمن تحول من الأرض إلى السماء من المحدودية إلى اللامحدودية ، الموت تحطيم للقيود ، ألسنا نؤمن بالقرآن الكريم الذي يقول : ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم**﴾ فالموت خلق لا انعدام ، ولا حياة إلاّ بعد الموت ، إن ظاهرة الموت ثم الحياة حقيقة التحول والتطور والتكامل ، لا تحول إلاّ مع الموت ، ولا تكامل إلاّ مع ترك الإنسان للمرحلة التي يعيش فيها ، إن تحول الخلايا الجسدية في إنسان إلى الفكرة لا يمكن أن يكون إلا بعد الموت من الحالة الحاضرة ، الموت سبيل الكمال ، الموت مقدمة للتحول ، الموت خلود ، الموت سبيل لانكشاف الحقيقة .

رحمك الله يا أبا جميل ، وأعطى أهلك وذويك وزملاءك ومحبيك ومواطنيك ووطنك الصبر الجميل ، وألهمهم أن يخلقوا من موتك حياة فضلى[١] .

والسلام عليكم .

* * *

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ١٨٨/١ . ومع الأسف لم نحصل على القسم الأول من حديث الإمام التوجيهي الديني .

دعا سماحته الشاعر المسيحي الكبير صاحب الملحمة الغديرية الأستاذ بولس سلامة لإلقاء قصيدة بمناسبة يوم عاشوراء في نادي الإمام الصادق عليه السلام في صور عام ١٩٦٦ فجاء الشاعر الكبير وهو متكأ على ولده أو شخص آخر وجلس على مقربة من الإمام ولدى إلقاء قصيدته قام واستقر على منبر الخطابة وقرأ بعض الأبيات من أشعاره المطبوعة ونزل وجلس لدى الإمام وانتهى الحفل وذهب معظم الناس وبقي القليل من الحضور فقال للإمام أمنيتي الوحيدة في هذا العمر أن أذهب وأزور قبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قبل أن يأخذني الموت، ثم بكى وشاهدت دموعه قد تساقطت والإمام قد وعده خيراً.

وبعد انفضاض المجلس قال لي سماحته إن هذا الشاعر يتمنى زيارة مرقد الإمام علي عليه السلام منذ زمن بعيد وأخبرت بذلك بيت الإمام المرجع السيد محسن الحكيم لاستقباله والاحتفاء به ولكنهم أجابوني بأن استقباله وتمكينه من الدخول على قبر الإمام أمير المؤمنين غير ممكن وغير ميسور في ظل الظروف والتقاليد الراهنة.

وكان الإمام يقول ذلك ويتأسف ويبدي عدم وجود أدلة شرعية معتبرة تمنع من دخول أهل الكتاب على مقامات المعصومين من أهل البيت عليهم السلام.

* * *

أراد سماحته يوماً أن يوقع الطلاق فاستدعى المرحوم الشيخ محمد عقيل والحاج عباس قصير إلى نادي الإمام الصادق وأوقع الطلاق أمامهما كشاهدين عادلين ثم قال لا أفقدني الله إياكما لأنكما عادلان .

* * *

كان الشاب المريض المصاب برجفة في جسمه من جراء حادثة سير ، المرحوم يوسف بحر يدخل على الإمام الصدر في نادي الإمام الصادق عليه السلام ويشارك الآخرين في تناول طرف الحديث لدى محضر الإمام وفي يوم دخل على النادي وبيده كتاب دعاء ضياء الصالحين للمرحوم الحاج صالح الجوهرجي ولما اقترب من الإمام فتح الكتاب وأرى الإمام صفحة فيها طلسم وعليه كلمات غير مقروءة وخطوط معوجة وما شابه ذلك وسأل الإمام ما هذه الكلمات والخطوط والأشكال الهندسية التي تسمى بالطلسم؟ وما فائدة رسمها في كتب الأدعية؟ فمدّ الإمام يده وأخذ كتاب الدعاء والزيارة ومسك تلك الصفحة وجرَّها من داخل الكتاب ومزّقها أمام أعين الناس وأعاد الكتاب إلى صاحبه المرحوم يوسف بحر ولم يتجرأ أحد باعتراض أو استفسار .

ولعل أراد الإمام أن يقول الإسلام بريء من هذه السفاسف والخرافات ولا يجوز للمسلم أن يعتقد بها .

* * *

كنت بخدمة الإمام في السيارة ونحن نتنقل من بلد إلى آخر في الشريط الحدودي المتاخم للأراضي المحتلة للمشاركة في المناسبات والاحتفالات ووصلنا إلى بلدة الناقورة عائدين إلى صور بداية المغرب وإذا بحاجز الجيش قد أغلق المرور من الشريط إلى الداخل وبالعكس وكان هذا القانون حاكماً في ذلك الوقت .

ففوجئ الإمام بذلك ونزل من سيارته وذهب إلى غرفة الضباط والشرطة واستقبلوه بكل احترام وقالوا له إن سيادة المطران يوسف الخوري مطران صور والأراضي المقدسة للطائفة المارونية يحمل بطاقة من الأمن العام اللبناني ملصقة بسيارته تخوله التجول في هذه المنطقة في أي وقت من الليل أو النهار ويجب عليكم أن تحصلوا على هذه الرخصة .

ثم إعتذروا من سماحته على تأخيره وبعد الاتصال بالسلطات المسؤولة والحصول على إذن المرور لسماحته فتحوا له الطريق وودعوه جميعاً بكل أدب واحترام .

* * *

توجه الإمام الصدر في مناسبة دينية مسيحية إلى المطرانية الكاثوليكية في مدينة صور لتهنئة المسيحيين بعيدهم

السعيد (كان من أولويات الإمام في لبنان التآخي والتزاور والمشاركة في المناسبات الحزينة أو السارة مع جميع اللبنانيين المسيحيين والمسلمين على مختلف طوائفهم ومذاهبهم) وكان المطران آنذاك المرحوم جورج حداد فدخل الإمام وهنأ سيادة المطران وجميع الحاضرين مصافحاً الرجال وواضعاً يده على صدره أمام النساء تكريماً لهن، وكانت قاعة المطرانية حاشدة بالمهنئين المسلمين والمسيحيين وكان دخولي على المطرانية لأول مرة في حياتي ولم أعرف شيئاً من أحوالها وعاداتها وتقاليدها فقدموا للحاضرين كوباً صغيراً فيه شراب بلون أحمر قاني فتناول من تناول ورفض البعض الآخر وقدموا لسماحته فرفض وامتنع من لمسه ورفعه وأشار عليَّ بالرفض أيضاً فامتنعت عندما قدموا لي الشراب ولكنني كنت أفكر في هذا الشراب، وأسأل نفسي عن حقيقته؟

ولدى الخروج من المطرانية ابتدأني الإمام قائلاً هذا نبيذ يشربه المسيحيون ويقدمونه للزائرين في المناسبات وهو كما تعرف حرام شربه في الإسلام.

* * *

من عادة الإمام احترام الجميع وخاصة كبار رجال الطوائف والمذاهب الأخرى فكان يحترمهم ويشارك في مناسباتهم معزياً أو مهنئاً ويدعوهم إلى المناسبات المهمة التي

كانت تنعقد في نادي الإمام الصادق عليه السلام، كما كان يستشيرهم في القضايا العامة المرتبطة بالمدينة أو الدولة أو جبل عامل.

من هذا المنطلق أقيمت في نادي الإمام الصادق عليه السلام احتفال حاشد حضره مطارنة صور ولدى انتهاء الحفل ودع الإمام المطارنة فشيعهم وأراد أن يسير معهم حتى الباب ولكنهم رفضوا وأصروا على رجوع الإمام إلى كرسيه فأمرني سماحته باحترامهم ومتابعتهم حتى الباب فقمت بالواجب الأدبي وودعتهم حتى عتبة باب النادي وكان كما رغب الإمام الصدر.

* * *

تحدث معي سماحته يوماً حول ما هو السائد لدى بعض العلماء من أخذ الحق الشرعي وإرجاعه بعنوان الدين ثم يأخذونه ثانياً ويرجعونه وهكذا بزعم أن الحق الشرعي يتحول عبر هذه العملية إلى الدين الخاص في ذمة المؤمن الذي يريد أن يدفع خمس أمواله لإبراء ذمته من الحق الشرعي ويصير مديناً بالدين الخاص لوكيل حاكم الشرع أو نفس المرجع المقلد الحاكم الشرعي إذا تم التداول مع المرجع مباشرة، فكان ينتقد هذه العملية التداولية من شخص إلى

آخر وقال هذه طريقة تقليدية غير قائمة على أساس صحيح وسليم .

* * *

ذهبت في خدمة الإمام إلى منطقة البقاع للمشاركة في تعزية أولاد شخصية كبيرة من عشيرة محترمة في البقاع فرأيت خيمة كبيرة منصوبة والقهوة العربية على جانب الخيمة والناس يدخلون ويخرجون معزياً ومودعاً فلما أطل عليهم سماحته خرجوا لاستقباله وتقبيل أياديه وعندما استقر به المجلس وقدم تعازيه للحاضرين تحدث في موضوع الأذان ومصدره لدى السنّة والشيعة فقال يزعم السنة أن الأذان من طيف رآه عبدالله بن زيد الأنصاري وأقره الرسول صلى الله عليه وآله فعن محمد بن عبدالله بن زيد الأنصاري عن أبيه عبدالله بن زيد قال : لما أمر رسول الله (ص) بالناقوس يعمل ليضرب به للناس لجمعهم للصلاة طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً في يده فقلت له : أتبيع هذا الناقوس؟ قال : وما تصنع به؟ فقلت : ندعوا به إلى الصلاة . قال : أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ فقلت : بلى . فقال : تقول الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله ، حيّ على الصلاة ، حيّ على

الصلاة ، حيّ على الفلاح ، حيّ على الفلاح ، (حي على خير العمل ، حي على خير العمل) الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله (لا إله إلاّ الله)[١] . قال : ثم استأخر عني غير بعيد ، ثم قال : وتقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً سول الله ، حيّ على الصلاة ، حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أصبحت أتيت رسول الله (ص) فأخبرته بما رأيت ، فقال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى ، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به أدنى صوتاً منك ، فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به ، قال : سمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج يجر رداءه ويقول : والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى[٢] .

ويقول الشيعة إن الأذان والإقامة من عند الله سبحانه وأن مشرعهما أوجب الفريضة نفسها ففي الخبر الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال : لما هبط جبرائيل على رسول الله بالأذان أذن جبرائيل وأقام وعندها أمر رسول الله

(١) النص والاجتهاد ص٢٢٦ . ما بين القوسين زيادة حسب أحاديثنا الصحيحة .

(٢) راجع سنن أبي داوود السجستاني وصحيح الترمذي وسنن ابن ماجه .

صلى الله عليه وآله علياً أن يدعو له بلالاً فدعاه فعلّمه رسول الله الأذان وأمره به[1].

* * *

ذهبنا إلى طرابلس لتقديم التعازي بوفاة شخصية محترمة وكان الحضور قليلاً ومع ذلك بدأ سيدنا بالتحدث عن الجوانب المختلفة العلمية الثقافية التي تكتنف القرآن الكريم فكرر ما سمعته منه في تفسيره للقرآن الكريم لشبابه في صور عند حديثه عن سبب اختلاف المفسرين فقال إن مثل القرآن مثل زهرة جميلة شكلها وزكية رائحتها ولطيفة أوراقها وبديعة منظرها و... أن المهندس يتناول تقاطيع أوراق الورد بالدراسة والمهندس الزراعي يدرس سلامة الوردة ونضارتها والعالم الطبيعي يبحث عن مكونات الزهرة الكيماوية والعالم الفيزيائي يدرس تفاعلات الوردة مع محيطها وهكذا.

والقرآن له أبعاد كثيرة يتناول كل مفسر بعداً خاصاً ويتحدث عنه[2].

* * *

(١) (وسائل لشيعة ـ كتاب الصلاة ـ باب من أبواب الأذان والإقامة).

(٢) تكرر ذكر هذا المعنى في زمانين ومكانين وواقعتين ولهذا كررته في هذاا الكتاب.

رقى الإمام الصدر المنبر في نادي الإمام الصادق عليه السلام وأظن أنه كان يوم عاشوراء وجيء بالمؤمن الكريم الحاج مصطفى بحسون وهو شيخ عجوز هرم معروف لدى أهل صور بإيمانه وطهارته وأنه من أيام شبابه وكهله يشجع الناس في المجالس العامةبالصلاة على محمد وآله وعندما أصبح عجوزاً لا ينتبه إلى حديث الخطيب وتكون مشاركته في مجالس أبي عبدالله الحسين عليه السلام للثواب وحسب العادة ، ويدعو الناس للصلاة على محمد فجاؤوا به وأجلسوه في الصف الأمامي وبدأ حسب عادته بدعوة الحاضرين للصلاة على محمد وآل محمد بين حين وآخر ومن دون مناسبة فأراد البعض أن يقوم ويعترض على المؤمن الحاج بحسون ويمنعه عن عادته توجه الإمام وهو على المنبر إلى ذلك الشخص وكافة الحضور وقال اتركوا الحاج مصطفى على طبيعته إنه محترم ولا بد من احترام الجميع له .

* * *

كان الإمام يتحدث في نادي الإمام الصادق عليه السلام أمام حشد كبير من الناس وكان يتلو أحياناً بعض الآية المباركة وينسى صدرها أو ذيلها فكان يسأل المرحوم الشيخ حسن فتني الذي كان حافظاً لمعظم القرآن الكريم بقية الآية المباركة ولا يعتبر السؤال أمام الناس نقصاً أو عيباً عليه .

* * *

في ليلة جمعة أو نهارها حصل خسوف أو كسوف وتحدث الإمام بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الجمعة من أن كسوفاً حصل يوم وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فتقوَّل الناس ظانين أن الكسوف قد حصل لأجل وفاة إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وآله فردّهم الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً إن الكسوف والخسوف آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا ينخسفان لموت أحد .

ثم بين وجوب الإتيان بصلاة الآيات وحصل له التباس في أن عدد ركوع الركعة الأولى هل يكون أكثر من عدد ركوع الركعة الثانية أم لا وإذا بالإمام التفت نحوي وسألني أمام المصلين ما هو عدد الركوع في الركعة الأولى فأجبت أن عدد ركوع الركعة الأولى والثانية بقدر واحد وهو خمس ركوع لا أكثر ولا أقل وأنه ليس مثل عدد قنوت ركعتي صلاة العيدين الفطر والأضحى .

* * *

كان الإمام ظريفاً وصاحب نكت حتى أنه يذكر النكت في خطابه وحديثه للناس ويترك الحضور يضحكون .

كما كان في مجالسه مع الأصدقاء ينكت ويمزح ويضحك ويحب المرح وخاصة في السهرات مع أصدقاءه المقربين .

فكان ينزع جبته وعمامته ويلبس العباءة ويجلس ويخوض في الحديث ويترك المجال أيضاً للآخرين لكي يتحدثوا . وكان يحب المزح ويجعل حديثه ممزوجاً من المزح والجد لكي يكون أوقع في نفس المخاطب وفي جميع الأحوال لم يخرج ولم يسمح لأحد من الحاضرين عن نطاق الأدب والإرشاد والنصيحة والدين والأخلاق .

* * *

إلتفت الإمام إلى سائق السيارة السيد محمد علي زيدان عند وصولنا إلى صيدا ونحن في طريقنا إلى بيروت وطلب منه أن يذهب إلى بيت قاض محترم في المحكمة المدنية من القضاة المدنيين وعندما وصلنا إلى البيت طرق بنفسه الباب ففتحت سيدة الباب ومدّت يدها لكي تصافح الإمام وإذا بالإمام قد وضع يده على صدره مقدراً إياها وملمحاً لها بأنه لا يصافح المرأة الأجنبية وبعد أن جلس الإمام مع القاضي وتحدث معه ، خرجنا وقال لي في الطريق إن سائقي قد جرح بسيارتي شخصاً فألقي عليه القبض واعتقل وملفه موجود عند هذا القاضي ولكنني لم أتحدث معه حول مشكلتي وملف سائقي بل تحدثت معه حول مشكلة شخص آخر أراد مني أن أتكلم مع هذا القاضي وأبين له حقيقة ما تحقق ووقع .

* * *

نقل سماحته أن علاقته مع فخامة رئيس الجمهورية في لبنان شارل حلو على أساس الصداقة والاحترام الأخوي المتبادل ولا تكون ضمن البروتوكول والآداب التي يزور شخص رئيس الجمهورية . فهو يفتح الباب عند توديعي ويخرج حتى الباب الخارجي ويستقبلني مثل استقباله لأفراد أهله وعائلته .

* * *

قال سماحته قلت لفخامة رئيس الجمهورية شارل حلو بعد عرضه لبعض السياسات الأميركية في المنطقة يحتمل أن تعمل أميركا هكذا في العلن وتخطط بالسر والخفاء لأمر آخر فأجاب فخامته إن الساسة في هذا اليوم في معظم مخططاتهم وتوجيهاتهم يعملون في العلن ولا يلتجأون غالباً في هذا اليوم إلى اللف والدوران .

* * *

في عزّ أيام القوميين العرب الناصريين كان الإمام الصدر يعمل لمصلحة لبنان والمسلمين وخاصة المسلمين الشيعة في جبل عامل وكانت أعماله وحركاته قد تلتقي مع مصالح القوميين وقد تختلف عنهم فوجد القوميون شخصية عظيمة ورمزاً كبيراً لطائفة واسعة متواجدة على كل أرض لبنان لا يتعاطف معهم بالشكل الذي يريدون فاتهموه تارة

بالعمالة لإيران وأخرى لإسرائيل وثالثة لأميركا وأنه جاء من إيران لتفريق كلمة المسلمين وتمزيق وحدتهم فلما عرفوا بأن هذه التهم لا تلتصق بالإمام وأن الجماهير تتعلق بشخصيته، وتآمروا عليه بأسلوب دنيء ومنحط حيث أدخلوا على بيته فتاة من صور من عائلة ... تحت ستار لجوئها ببيت الإمام الصدر هرباً من تهديد عائلتها لها بالقتل وبقيت أياماً معدودة في بيت الإمام ثم خرجت وادّعت بأن الإمام قد اعتدى عليها وهتك عرضها وشرفها.

انتشرت هذه الفرية في صور ومنطقتها فترك الإمام الصدر مدينة صور وخرج منها ساخطاً على هذه المؤامرة وسكوت أهل المدينة على طعن مجموعة من الأشرار والحقراء في كرامة رمز الطائفة، فلما عرف أهل جبل عامل سخط الإمام وامتعاضه ذهب كبار القوم في مدينة صور وجاؤوا بالإمام بكل اعتزاز وفخر ثم تهافت الجميع على مدينة صور لأكثر من أسبوعين يأتون من البلاد القريبة والنائية من الجنوب والشمال من بيروت والجبل على مختلف أديانهم ومذاهبهم وانتماءاتهم القومية والحزبية مستنكرين ومنددين لمن يفكر في التطاول على الإمام الصدر، وقدم السياسيون من كل الطوائف زاحفين إلى نادي الإمام الصادق لدعم الإمام والتنديد بهذه الأعمال الخسيسة الدنيئة.

لقد أوفد فخامة رئيس الجمهورية المرحوم شارل حلو محافظ جنوب لبنان السيد هنري لحود إلى مدينة صور ووقف على منبر نادي الإمام الصادق وخاطب الإمام والجماهير بأنني مندوب فخامة رئيس الجمهورية إليكم وقد أمرني أن أكون تحت تصرفكم مستنكراً لما حصل ومندداً للمجموعة التي أرادات الإيقاع بالإمام .

فتعالت الأصوات من كل جانب وهتفوا جميعاً بالروح بالدم نفديك يا إمام وإثر هذا الزحف الشعبي الكبير لدعم الإمام الصدر اضطر رئيس البرلمان السيد كامل الأسعد بعد أن كانت علاقته مع الإمام الصدر في تلك الأيام جافة ، بزيارة الإمام في نادي الإمام الصادق عليه السلام وإعلان دعمه من دون مواربة .

كما قام دولة الرئيس المرحوم صائب سلام في يوم الجمعة ٢٦/ ٨/ ١٩٦٦ بزيارة الإمام الصدر في نادي الإمام الصادق واستنكر التهم والأكاذيب ثم ذهب إلى جامع السنة من مدينة صور لأداء صلاة الجمعة وتم تنسيق بين كبار السنّة والشيعة في صور أن ينتظر المصلون في جامع السنة بعد الخطبتين وصلاة الجمعة حتى ينتهي الإمام من صلاتي الظهر والعصر والخطبة بينهما كي يأتي الإمام الصدر ويتحدث في جامع السنة عن التآخي والوحدة الإسلامية

وكان كما أعدّ له بعد أن اختصر الإمام الخطبة بين الصلاتين وأسرع في أداء الفريضتين فحضر مع المؤمنين المصلين الشيعة إلى جامع القديم السنّة فتحدث السيد رئيس الوزراء صائب سلام مؤيداً للإمام ومندداً بالمجموعات المنحطة ثم قام الإمام الصدر وأكد على وحدة المسلمين ونبذ الفرقة واعتماد رصّ الصفوف أمام العدو المشترك للمسلمين واللبنانيين .

وزحف للإستنكار والتنديد جمع حاشد من بعلبك من رؤساء العشائر والوجهاء برئاسة الموحوم العلامة الشيخ سليمان اليحفوفي نحو نادي الإمام الصادق في صور .

وتحدث العلامة اليحفوفي باسم الجماهير البقاعية والبعلبكية التأييد والدعم المطلق للإمام الصدر الذي هو رمز وحدة المسلمين والوطن .

وبعد فترة وجيزة أعلن الإمام في جبل عامل بأن من الوفاء واللياقة الرد على زيارة أهل بعلبك في مدينة بعلبك في يوم معين فتجمع أهالي القرى والبلدات في جبل عامل في مدينة صور واستغل الإمام الصدر هذا الحشد الجنوبي الزاحف إلى البقاع وبعلبك ووضع كتيباً صغيراً يبين بالأرقام مدى حرمان مسلمي الشيعة في الجنوب والبقاع من المدارس والطرقات والخدمات والطبابة و . . وأسماه بآلامنا وآمالنا ونشرت في الجنوب وبيروت وبعلبك .

انطلق الموكب صباحاً وقدرت بستمئة سيارة في ذلك الوقت وضمت سيارة الإمام مضافاً على سماحته الداعي والمرحوم الشيخ علي شور وفي الطريق ولدى أبواب بيروت رافقتنا درّاجات نارية للدرك والشرطة وقادت المسيرة إلى بعلبك ووصلنا بعد الظهر بساعة تقريباً على مقربة من أبواب بعلبك وشاهدت الحشد الكبير من العشائر والناس على مختلف مذاهبهم وأطيافهم برئاسة الشيخ سليمان اليحفوفي ينتظرون أهل جبل عامل الزاحف نحو بعلبك في رد زيارتهم لجبل عامل .

فترجل الإمام الصدر من السيارة ومشينا معه وأخذوا يطلقون النار في الهواء والإمام منعهم وقال لهم سيأتي يوم نحتاج إلى هذه الرصاصات فلا تهدروها .

وتوجه الإمام ومعه مئات الآلاف من الوافدين نحو الحسينية ورحبوا بالإمام والموكب الزاحف معه ثم قام الإمام وتحدث في الجماهير .

وبعد ذلك قام عريف الحفل بجمع التبرعات لإنهاء بناء الحسينية التي احتضنت الحشد وقد ساهم سماحة الإمام بقدر من المال في المشروع وكان مساعدة عالم دين لبناء أو إتمام مشروع خيري أمراً جديداً وملفتاً جداً .

ثم عاد العامليون إلى بلادهم وقراهم في جبل عامل بعد انتهاء الإحتفال وبقي الإمام ثلاثة أيام ضيفاً على الحاج عواضة ثم عاد بعد ذلك إلى صور واستغل الإمام هذه الحادثة والجماهير المؤيدة والداعمة في سبيل تسريع انتزاع الاعتراف من الحكم والدولة بالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان .

في مسيرة أهالي الجنوب إلى بعلبك رداً لهم على زيارة إخوانهم في بعلبك لمدينة صور تأييداً ودعماً للإمام الصدر كتب الإمام الصدر هذا البيان كما قلنا باسم آلامنا وآمالنا قبل التوجه إلى بعلبك وأعطاه قبل طباعته إلى الأديب الأستاذ حسين حمادة لملاحظته ثم نشره بين الحاضرين وقد استغل الإمام عاطفة الناس تجاهه بعد الفرية ، لمصلحة الطائفة ولبنان الوطن .

وهذا هو البيان الذي ألقي في مؤتمر صحافي بتاريخ ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٦٦ .

حيث قال . . . ولا بد لي من أن أعكس أفكار الجماهير الشعبية على الرأي العام مؤدياً الأمانة التي حملوني إياها بأقوى تعبير وأصرح أداء ، وأبسّط أوضاع الجماهير في شتى مناطقهم وإليكم واقعهم في لبنان :

أولاً: مواطن الشيعة الرئيسية:

أ ـ يقاس التخلف في لبنان، بوجه عام، بنسبة بعد القرية عن العاصمة، لهذا نجد (جبل عامل) في أقصى الجنوب و(بعلبك والهرمل) في أقصى الشمال. نجد هاتين المنطقتين ويقطنهما الشيعة، أكثر المناطق تخلفاً، ويعني هذا أنهم عانوا الحيف أكثر من سواهم في لبنان.

ب ـ خلو القرية من تأمين ضروريات العيش، فتزايد السكان وانعدام المنشئات الاقتصادية أديا إلى الزحف نحو العاصمة، فتمركز أهل الجنوب والبقاع في ضواحي بيروت. وحملوا معهم رواسب تخلفهم، إنهم لم يبلغوا الحياة الإنسانية الكريمة، مع اختلاف حياتهم في المدينة عنها في القرية بكفاف العيش وتأمين المدارس لأبنائهم.

جـ ـ إفريقيا الغربية والبلاد العربية موطن خصب لأبناء الطائفة الشيعية وهم يتمتعون بمستوى اقتصادي مرموق. وقد أفادوا وطنهم برؤوس الأموال، كما أفاد بعض من توصل في الوطن إلى مستوى اقتصادي رفيع بفضل جهده وذكائه ومبادرته. ولكن نسبة هذه الفئة ضئيلة جداً.

ثانياً: مظاهر التخلف المادي عند الشيعة:

ولإعطاء الصورة الحقيقية لمظهر التخلف عند الشيعة،

بعد أن حددنا مواطنهم في لبنان ، لا بد وأن نعتمد الأرقام التالية التي قدمها الخبراء في دراستهم لأوضاع لبنان :

	جبل عامل		بعلبك الهرمل	
المستويات	النسبة	ملاحظة	النسبة	ملاحظة
الصحية	١	تخلف	١, ٣٠	تخلف باتجاه النمو
التجهيز الصحي	٠, ٥٩	تخلف مطبق	٠, ٥٦	تخلف مطبق
الاقتصادية والنقدية	٠, ٩٠	تخلف مطبق	١, ٢٦	تخلف باتجاه النمو
الإنمائي العام	١, ٠٧	تخلف باتجاه النمو	٠, ٥٥	تخلف مطبق
السكنية	١, ٢	تخلف باتجاه النمو	١, ٣٦	تخلف باتجاه النمو
المدرسية	٢, ١٤	نمو باتجاه التقدم	١, ٥٠	تخلف باتجاه النمو
الثقافية	٠, ٠٨	تخلف مطبق	٠, ٢٠	تخلف مطبق
الاجتماعية	١, ٥٠	تخلف باتجاه النمو		تخلف باتجاه النمو

وفي استقصاء أسباب هذا التخلف لا نجد سوى الإهمال من قبل الحكومات المتعاقبة سبباً رئيساً له . وما المحاولات التي حدثت لرفع الطاقات ، وبدافع من شعورهم بالمسؤولية وإحساسهم بضرورة تطوير الأوضاع العامة .

ونعلم أن الطاقات الفردية تبقى محدودة النتائج مفتقرة إلى الخبرة ما لم تنعكس على الدولة ، الأمر الذي لم يكن منه سوى محاولات في السنوات الأخيرة .

هذا بالنسبة للمستوى العام ، أما بالنسبة لإشراك الطائفية الشيعية في مؤسسات الدولة ، فإننا لنجد أن الطائفة الشيعية هي الطائفة الوحيدة في لبنان التي لم تنل حقوقها من المادة ٦ و٦ مكرر . وهناك إحصاءات ، تؤكد ما أقوله وقدمت إلى المسؤولين هذا الحيف والحرمان .

ويحلو للبعض أن يدعي افتقار الشيعة للكفاءات العلمية المطلوبة تبريراً لسبب الحيف ، مع العلم أن إحصاءات قدمت للمسؤولين تثبت إمكانية ملء الشواغر بأصحاب الكفاءات العلمية من حملة الشهادات الجامعية المطلوبة .

كما أن أصحاب هذا القول ، وهم من المسؤولين ، لم يحاولوا التساؤل عن سبب عدم وجود الكفاءات ، ليخلصوا بالنتيجة إلى عدم اهتمام الحكومة بتعميم التعليم .

وإذا أردنا أن نعطي مثلاً واحداً معززاً بالأرقام حول التخلف الثقافي الذي حطمته الطائفة الشيعية بجهودها الخاصة لرأينا قضاء واحداً من هذه المناطق يضم اثني عشر ألف طفل بين السادسة والثانية عشرة يعلمهم واحد وثلاثون مدرساً رسمياً ، أي مدرِّس واحد لكل ٣٨٧ طفلاً وطفلة . (نعم هذه الأرقام كانت لهذا القضاء في ١٩٦٠) .

وبعد ذلك يتساءلون عن أسباب تخلف هذه المناطق .

ثالثاً: مظاهر التخلف المعنوي:

أ ـ إن كثيراً من القرى الشيعية محرومة من التوجيه الديني فلا مسجداً ولا مدرسة ولا مرشداً. هذه الظاهرة تحدث عند سكانها نوعاً من الضياع الروحي يشكل خطراً اجتماعياً داهماً.

ب ـ زحف هؤلاء إلى بيروت ومراكز المحافظات دون توجيه ديني وتهذيب خلقي، يحدث مآس اجتماعية لا أستطيع وصفها.

جـ ـ المؤسسات الثقافية والاجتماعية عند الشيعة ضعيفة للغاية، وتحتاج إلى تنسيق وتعاون. فهي في الوقت الحاضر لا تتمكن أن تجتذب إلا قسماً نادراً من طلابهم، ويبقى القسم الأكبر منهم يدرسون ويتعلمون في سائر المؤسسات الخاصة. ومشكلة المؤسسات الخاصة وطرق توجيهها الديني بالنسبة إلى أبناء طائفة أخرى مشكلة عويصة تخلق الكثير من العقد النفسية والحيرة الروحية.

د ـ الأوقاف الشيعية، على كثرتها، مهملة مع أنها على فرض تنظيمها والسعي في الاستفادة منها تشكل ثروة كبرى لصالح التقدم الاجتماعي في البلاد، ولصالح التربية الخلقية في الأجيال ورفع مستوى الثقافة العامة.

هـ ـ وأخيراً الشعور النفسي بالحرمان وبالضعف عند المواطن الشيعي وخاصة، الموظف، ناتج عن الشعور بعجز الطائفة عن إبراز شخصيتها المتكاملة في مختلف ميادين الحياة بحيث تكون الظهير لأبنائها وموضع اعتزازهم وعوناً لهم في الملمات. الأمر الذي كثيراً ما يخلق عقداً نفسية تخفف الشعور بالمسؤولية وأداء واجب المواطنية الكاملة المتكافئة.

من نتائج هذا الوضع نشأ عند أبناء الطائفة الإسلامية الشيعية بعض النزعات السلبية ومنها:

١) فقدان الثقة بالنفس للإحساس بالتفوق وعدم وحدة الصف.

٢) فقدان الأمل بالدولة وما تخطط وما تنفذ، خاصة أن جميع مخططاتها تكتسب الأسلوب الدعائي، ويكون التنفيذ الجزئي مجرد رفع عتب.

٣) ضعف الثقة برجالات الطائفة من روحانيين وزمنيين لعدم التكاتف فيما يعود على الطائفة بالخير العام،

وهذه النزعة لا نعتبرها أصيلة في نفوس أبناء الطائفة إذ أن عديداً من الشواهد تظهر أصالة الإيجابية في النفوس.

وقد أكون أنا شخصياً مثلاً في ذلك:

فمذ عدت إلى موطن آبائي (لبنان) وبدأت بالمبادرة تلو المبادرة على الصعيد العام ، شعرت بتجاوب شعبي كامل من أبناء الطائفة وأخذ يتزايد مع وضوح النتائج ، وتفهم الأبعاد .

هكذا تلقت الأصالة الذهنية لدى المواطنين تلك المبادرات ، أما بعض الخاصة ممن لا يهضمون الإخلاص والنصحية ، ولا يستطيعون تفسيرها إلا كما يحلو لهم ، أما أولئك فقد شككوا بأنفسهم ونواياهم حين أثاروا الشكوك حولي والافتراءات علي . وربطوا مبادراتي بحركات سياسية محلية أو عربية أو عالمية ، دون رادع من إيمان وعاصم من ضمير . ولا اعتماداً على القرائن والأدلة ، الأمر الذي يخرج الإنسان عن الإنسانية كما يقول «ابن سينا» .

وكنت لا أرى سبباً لهذه الشكوك سوى أني خرجت برجل الدين إلى عالم الحياة والحركة ، ورفعت عنه غبار السنين ، ليسير مع الحياة في تطورها ورقيها منسجماً بذلك مع الفكر الديني الأصيل .

ويظهر أن تجاوب المواطنين معي حمّل المشككين على العدول عن هذا المخطط إلى أسلوب آخر يتناول الخلق الشخصي .

وكانت هذه الأرجوفة أكبر من طاقة الاحتمال ، فثارت

الطائفة الشيعية وكل من يتحسس بالمواطنية من الطوائف الأخرى ، إذ كانت تلتقي مع الحشود العارمة ، وجوه من أنبل من عرفت في لبنان ، إخلاصاً وتفانياً وتجرداً ، يطل من خلالها دائماً وجه الإنسان القائد فخامة رئيس الجمهورية الأستاذ شارل حلو بطلعة ممثله الإداري الحكيم الأستاذ هنري لحود محافظ الجنوب .

هذا الزخم الذي قوبلت فيه الفرية الأخيرة ، لم يكن كذلك لو لم يستقر في النفوس ، الشعور بالغبن من جانب ، والإحساس بأن المقصود لم يكن الشخص بل النوع ، ومن وراء هذا طائفة بأكملها تمثل جزءاً كبيراً من لبنان . بل هي جناحاه . وما حاله إذا هيض الجناحان .

هذا ما يريده الشيعة .

والآن دعوني أنقل الصورة التي عكستها الوفود :

١) إن الاتجاه الشعبي تخطى الأسلوب المتعارف بالتأييد الفردي .

٢) تأصل فكرة التأييد العفوي في أبناء الطائفة لمن يتوسمون فيهم خيراً .

٣) ضرورة وجود جهاز يمثل رغبات أبناء الطائفة و يعمل لتحقيق آمالها ويشعر بمسؤولية تجاه آلامها .

وقد يظن أن الجهاز الديني وعلماء الدين الذين يشكلون ضمير المواطن. يخففون عن الشعب أعباء هذه المحن، ويقومون بهذا الدور، ولكن الواقع أن الجهاز الديني عند الشيعة ليس جهازاً منظماً وموحداً وذلك لأسباب تاريخية ومذهبية ليس هنا موضع ذكرها.

لذلك وأنا أشعر الآن ـ أكثر من أي وقت مضى ـ بعظم المسؤولية، خاصة وأن الجماهير التي أمَّت صور تمثل شيعة لبنان بأكملهم.

ـ فحُبّاً في توحيد الجهود الخيرة وتجنيد القوى والطاقات الإنسانية لرفع مستوى الطائفة الإسلامية الشيعية في لبنان خلقياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً.

ـ ونظراً لأن عملية بناء مجتمع سليم يجب أن ينطلق من صفوفنا ليكوّن منا طائفة إيجابية الأهداف والمرامي والأساليب، منسجمة مع مخططات الإصلاح الرسمية.

ـ ورغبة في تركيز الروح الدينية في وقت يذهلنا أن نجد نسبة المستفيدين من التوجيه الديني عند الشيعة لا يتعدى ٢٪ من مجموع أبناء الطائفة.

ـ ومن أجل إحياء وتنظيم الأوقاف المهملة لمصلحة العامة. وحفاظاً على المؤسسات الثقافية والاجتماعية

الموجودة ، وجهود الجمعيات والأفراد من الهدر والوقوع تحت عجز تنوء بها كواهلهم .

ـ وفي سبيل تبادل التجارب وبث روح التعاون الأخوي الصادق بين أبناء الطائفة وشقيقاتها الطوائف الأخرى ، لتؤدي دورنا الإيجابي في بناء لبنان ، وتنسيق مسؤولية المواطنية المشتركة ، بين مختلف الهيئات والمؤسسات والنشاطات والجمعيات والأفراد التي منها جميعها يتكون هذا الوطن الحبيب لبنان .

ـ ومحافظة على مصالح الطائفة العليا البعيدة عن المصالح الخاصة .

ـ وسعياً وراء رعاية العدل وإحقاق الحق ورفع الظلامات عن جميع المغبونين من المواطنين .

ـ وتدعيماً لوحدة الوطن وتقوية كيانه ودفع عجلة الإصلاح والحضارة اللذين هما من الشيم اللبنانية .

من أجل ذلك كله خرجت بما أستطيع تسميته بالمؤتمرات الشعبية التي احتشدت في صور ، وأنا كثير الاقتناع بضرورة الدعوة إلى بناء جهاز للطائفة الإسلامية الشيعية ، يضمن لها الحفاظ على شؤونها الدينية والإشراف على أوقافها الخيرية ومؤسساتها الخاصة ، وتتولى تنظيمها وإدارتها

بنفسها طبقاً لأحكام الشريعة الغراء والقوانين والأنظمة المستمدة منها بواسطة ممثلين من ذوي الكفاءة وأهل الرأي من أبنائها .

وهذا الأمر ليس بدعاً في الأعمال ، وقد نكون تأخرنا كثيراً في إثارة هذا الموضوع لأننا الطائفة الوحيدة في لبنان التي لا تتمثل رسمياً بمجلس ملي أو شرعي .

لذلك سيكون هذا هو مخططي للعمل على الصعيد الشعبي ، ولي كثير الأمل أن أجد التعاون المرجو على الصعيد الرسمي .

وبهذا ، وهذا فحسب ، نخرج من هذه الأزمة وقد جسدنا آلام الشعب بتحقيق آماله .

وأنا حينما أطرح بكل تواضع وبكل اقتناع هذه الفكرة ، أؤكد أن الكثيرين من رجال الفكر والعلم والسياسة قد رحبوا بها وأيدوها واعتبروها حلاً ناجحاً للمشكلة .

ولكن الاستغلال والمصالح الخاصة ، وقفت في وجه تنفيذ الفكرة منذ سنتين ، وحاولت تشويه الفكرة الدينية والاجتماعية المحضة ، التي هي بعيدة كل البعد عن السياسة ، حاولت تشويه الفكرة وإبرازها بصورة طائفية ، وهي أبعد ما تكون عن الفكرة الطائفية ، بل هي تنظيم لرفع مستوى أبنائنا

تسهيلاً للتعاون وأداء واجباتنا الوطنية والاجتماعية، إسوة بسائر الطوائف اللبنانية الكريمة.

ومن الغريب أن محاولات التشويه هذه صدرت عن رؤوس المتاجرين بالطائفية.

والآن، حينما أطرح هذا الموضوع من جديد، أدعو كافة المواطنين وخاصة أبناء الطائفة الإسلامية الشيعية للتعبير عن آرائهم بالبرقيات والرسائل الموجهة إلى فخامة الرئيس الأول وإلى الحكومة الموقرة وإلى مجلس النواب مطالبين باستصدار قانون بهذا الشأن على غرار المرسوم الاشتراعي رقم (١٨) تاريخ١٣/ ١/ ١٩٥٥ القاضي بتنظيم الطائفة الإسلامية السنية وعلى غرار القانون الصادر بتاريخ ١٣/ ٧/ ٦٢ الذي ينظم الوضع الطائفي للدروز.

راجياً إرسال نسخة من البرقيات والرسائل إلى مكتبي في صور أو بيروت لتدوينها وممارسة حقكم من خلالها.

لا أريد إلا الإصلاح، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب[1].

* * *

(١) (مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ١/ ٢٢٤). وطبع في وقته تحت عنوان (آلامنا وآمالنا).

في بداية السنة الهجرية عام ١٣٨٦هـ استدعى الإمام الصدر خطيباً عراقياً يدعى السيد . . . لقراءة المجالس الحسينية التي تنعقد في نادي الإمام الصادق (عليه السلام) أيام عاشوراء في صور وكان مستوى علمه وثقافته وصوته متوسطاً فكان يقرأ في العشرة الأولى صباحاً ومساء للرجال وعصراً للنساء وفي اليوم العاشر تلا مصرع الإمام الحسين (عليه السلام) ورفض أن يأخذ ما قدمته جمعية البر والإحسان وطالب بالأكثر فترك مدينة صور وغادر لبنان وعاد إلى العراق من دون أن يأخذ شيئاً فبعث له الإمام ما كان يطلب .

ولكن الإمام بدأ بالتفكير في تعليم وتربية خطيب حسيني يسكن بشكل دائم مدينة صور ويلبّي المناسبات الحسينية التي تقام أيام السنة في صور ومنطقتها .

وبعد الدراسة والتشاور اختار سماحته العلامة الشيخ علي طحيني من بلدة عيتيت الذي كان طالباً في معهد الدراسات الإسلامية في صور وبعثه إلى النجف الأشرف مزوداً برسالة منه إلى أستاذنا المفكر الكبير آية الله العظمى الإمام السيد محمد باقر الصدر متمنياً على سماحته الاهتمام بهذا الطالب الذي سيكون خطيباً حسينياً لمدينة صور ومنطقتها .

فجاء إلى النجف واستقبلته بكل حفاوة وتعرَّف على

سيدنا الأستاذ الشهيد الصدر والتحق بالحوزة وتعلم العلوم الإسلامية مع كيفية الخطابة والقراءة لمصرع أبي عبدالله الحسين عليه السلام وبعد عدة أعوام وبلوغ شيخنا الكريم لمرحلة متقدمة في العلم والخطابة عاد إلى لبنان واستقر في عيتيت بلده الأصلي وبدأ يرقى المنبر الحسيني ويقرأ مجالس عزاء أبي عبدالله الحسين عليه السلام لسنين متتالية في مدينة صور وخارجها وبعد مدة فرضت عليه المسؤولية الدينية الذهاب إلى إفريقيا سيراليون لمواصلة الدعوة إلى الإسلام ولا يزال في تلك البلاد المحتاجة إلى دعوة الحق والهداية .

* * *

كنت منفعلاً من قضية حصلت حينها وكان رد الفعل من جهتي أن اتخذت قراراً مرتجلاً وأبلغت الإمام بذلك فقال سماحته القرار الذي يتخذ حال الانفعال لا يكون صائباً ورشيداً وذكر لي قصة ما جرى عليه في مدينة قم المقدسة وقال كنت في قم المقدسة واختلفت ذات مرة في البيت مع إخوتي فقررت أن أبتعد من بيتي وبلدي وأسافر إلى مدينة شيراز عند صديقي الشيخ الجليل المحلاتي فذهبت وعانيت في ذهابي وعند مكثي في مدينة شيراز فرجعت إلى بلدي وبيتي في قم المقدسة وآليت على نفسي أن لا أستعجل في اتخاذ القرار وخاصة حين الغضب والانفعال .

* * *

كان السائق السيد محمد علي زيدان يقود السيارة وفيها الإمام فخالف قانون السير حيث سبق في مكان لا يجوز السبق فيه فقال للسائق يا سيد زيدان لا ينبغي لسيارتي أن تخالف قانون السير فاعتذر السائق وأبدى عزمه على رعاية قوانين السير دائماً وأبداً.

* * *

توفت والدة المغترب المحسن المسيحي الماروني إلياس شربين فاتصل بي سماحته وقال تحضر جنازة المرحومة والدة شربين وتقدم باسمي التعازي للسيد شربين فامتثلت أمر سماحته وشاركت في مراسم الجنازة وأبدى أهل العزاء الاحترام الكثير حتى أن المرحوم المطران يوسف الخوري كان موجوداً وأبدى التكريم والتبجيل بصفتي ممثل الإمام الصدر، لما كان يتمتع الإمام بكل احترام وتعظيم لدى جميع اللبنانيين على مختلف مذاهبهم.

* * *

كثيراً ما كنت أسمع منه في خطبه يوم الجمعة وهو يقول لا يفيد الإنسان في الآخرة إلا عمله مستشهداً بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لابنته فاطمة عليها السلام يا فاطمة إعملي لآخرتك فإني لا أغني عنك من الله شيئاً.

* * *

كثيراً ما كنت أسمع من الإمام في خطبه يوم الجمعة أن هناك حديثاً شريفاً يقول كل مسجد في الأرض يشيّد ويبني إنما يقوم ويبنى على قطرة دم الحسين السبط عليه السلام . ولعله إشارة إلى أن دم الحسين السبط ساهم مساهمة عظيمة في إحياء الإسلام وبقاء شرع الله تعالى وإقامة بيوت الله وفرائضه في العالم .

* * *

كان كثيراً ما يتألم ويتأسف ويتحرق على حرمان جبل عامل من المدرسة والطرقات الآمنة السالكة والماء والكهرباء والهاتف والأمن .

* * *

قدم إلى مدينة النجف الأشرف في تشرين الأول عام ١٩٦٧ فدعوته مع سيدنا الأستاذ الشيهد الصدر رضوان الله تعالى عليه وتمنيت عليهما بالحضور على مائدة الإفطار صباح يوم الخميس يوم عطلة الدراسة في الحوزة فلبيا الطلب وحضر معهما المقدس الحجة السيد إسماعيل الصدر فأقمت الضيافة الصباحية في غرفة من غرف مدرسة الأخوند الكبرى الخراساني الواقعة في الحويش الصغير نهاية سوق القبلة وحضر بعض وجهاء المدرسة من الفضلاء والمحترمين

وأبدى الإمام الصدر ذكرياته الحلوة عن أيام عزوبته في قم المقدسة وانصرافه الكلي للدراسة العلمية الدينية في حوزتها المباركة .

* * *

بعد مضي حدود سبعة أشهر في لبنان عام ١٩٦٦ وبعد الاستشفاء التام والحمد لله نويت الرجوع إلى النجف وأصر سماحته عليّ البقاء ولكنني لمست الحاجة إلى العودة إلى النجف والحوزة ومتابعة الدراسة وقبل مغادرتي لبنان في اليوم الأحد الأخير كنت في خدمة الإمام بسيارته لزيارة صديق له مصطاف في فالوغا وكنت جالساً على يساره في المقعد الخلفي وكان الوقت قبل غروب الشمس ونحن في طريق العودة إلى صور فرأيت جماعات من الشباب والفتيات يمشون ويلهون ويضحكون فإستغرقت لاشعورياً في هذه المناظر ونسيت حالي أنني بخدمة الإمام وفي سيارته وكنت أفكر بأن هؤلاء الشباب في أي عالم ونحن علماء الدين في أي عالم آخر وإذا بسماحة الإمام انتبه إلى الذهول المهيمن عليّ قال ماذا تنظر؟ وأين شرد ذهنك؟ عدت فوراً إلى نفسي وقلت سيدي نحن في واد وهؤلاء في واد آخر قال نعم ستذهب إلى النجف وتدخل الحوزة وقل للعلماء بأن الفقه والأصول لا يصلح المجتمع وأشرح للعلماء والحوزة

والمراجع بأن الشباب يسيرون في إتجاه والحوزة العلمية تسير في إتجاه آخر، وأضاف سماحته إنني عندما جئت إلى لبنان اصطحبت معي كل ما كتبت من تقرير أساتذتي في الفقه والأصول والفلسفة وكنت أنوي أن أرتب الأبحاث وأخرجها للطباعة ولكنني عندما جئت إلى لبنان وشاهدت ما شاهدت وجدت بأن إصلاح المجتمع أهم من إصلاح ما في الدفاتر وبدأت بالإنخراط في العمل الاجتماعي والسياسي وتركت الدفاتر في صناديقها كما أتيت بها ولم أقترب منها إلى يومنا هذا أبداً.

* * *

في بداية صيف عام ١٩٦٥ كنت في خدمة الإمام في السيارة في مدينة صور ونحن متجهون إلى خارج المدينة وإذا بسماحته يأمر السائق بأن يوقف السيارة فامتثل السائق أمر الإمام وأوقف السيارة ثم نزل منها ودخل بناية ثم عاد بعد نصف ساعة وقال زرت شباباً قدموا من ساحل العاج وهم من بيت صبراوي وينبغي أن تتصادق معهم وهم الحاج عباس[1] والحاج محمد جواد والحاج سليم والحاج يحيى

---

(١) استهدف الحاج عباس صبراوي يوم الاثنين ٦/ ١٢/ ٢٠٠٤ رصاصة الغدر في أبيدجان وانتقل إلى رحمة الله يوم الجمعة ١٠/ ١٢/ ٢٠٠٤ ونقل جثمانه إلى بيروت ثم إلى النجف الأشرف ووري الثرى في وادي السلام في جوار قبر مولينا أمير =

وكافة أفراد هذا البيت من الشباب الطيبين ثم استأنفنا الرحلة ولكنني بعد أيام تصادقت مع هذه الأسرة المؤمنة واستمرت الصداقة معهم إلى يومنا هذا .

* * *

في صبيحة يوم مشمس كنت أمشي مع الإمام الصدر على شاطئ البحر الجنوبي لمدينة صور وكانت السيارات تتردد ذهاباً وإياباً وكنا نتحدث عن السيارات ودورها في حياة إنسان هذا اليوم . ثم أدار بوجهه نحوي وقال أحب كثيراً أن أتعلم قيادة السيارة ولا بد من معرفة الناس جميعاً لقيادة السيارة ، إذ من الجائز أن يحتاج الإنسان في منتصف الليل أو في وقت آخر إلى التنقل بالسيارة ولا يوجد السائق فإذا لم يكن الإنسان على دراية بالقيادة يقع في مشكلة ويواجه بعض الأحيان أزمة صعبة وعسيرة . أما إذا كان قادراً على تشغيل السيادة وقيادتها فستكون مثل هذه المشاكل

= المؤمنين علي عليه السلام ، وهو من المؤمنين المحسنين . إن الإمام الصدر في سفراته الأولى إلى أبيدجان كان ينزل في بيته ويقوم المرحوم الحاج عباس صبراوي بكافة الواجبات وهو مع إخوانه أول من أقام مجلس الحسين عليه السلام في أبيدجان في بيته وهو من المساهمين في معظم مشاريع الإمام الصدر فرحمة الله تعالى عليه .

محلولة . ولكن هيهات أن يسمح لي الوقت بتعلم قيادة السيارة وسياقتها .

* * *

ذات يوم ولدى الدردشة قال الإمام إن السيدة أم صدري تحب كثيراً أن أكون معها بعض الأحيان حين التبضع والشراء من السوق ولكن التقاليد والعادات الحاكمة في مجتمعنا لا تسمح لي أن ألبي رغبة زوجتي وأسير على جنبها في السوق أو الشارع لدى ابتياعها شيئاً من المحل .

* * *

تشرف الإمام الصدر بزيارة الإمام علي عليه السلام في أيار عام ١٩٦٨ وحلّ ضيفاً على ابن عمه الشهيد أستاذنا المعظم السيد محمد باقر الصدر وكان بيته في محلّة العمارة عقد السلام فزرته هناك ودعاني سيدنا الأستاذ لتناول طعام الغداء على شرف ابن عمه الإمام موسى الصدر فذهبت بعد أداء فريضتي الظهر والعصر إلى بيت أستاذنا ووجدت جمعاً كثيراً من الإخوة اللبنانيين وفضلاء الحوزة مدعوّين وحاضرين ورأيت بنتاً صغيرة من بنات سيدنا الأستاذ واقفة لدى باب الغرفة التي فيها الضيوف تبكي وتصرخ فتوجه الإمام الصدر إلى الحاضرين وقال إن من الدلائل والبراهين القوية لإثبات المدعى صراخ الطفل وعويله وهو أقوى دليل وأمضى سلاح

لدى الأطفال ولا بد على الكبار وخاصة الوالدين النزول عند رغبة الطفل وتلبية حاجته فعج المجلس بالضحك والابتسام .

* * *

طلبت من سماحة الإمام الصدر في زيارته إلى العتبات المقدسة في العراق عام ١٩٦٨ أن يشرفني مع سيدنا الأستاذ المقدس الإمام محمد باقر الصدر لتناول طعام الغداء فلبى الدعوة وحضر مع سيدنا الأستاذ إلى بيتي الواقع قرب جبل الحويش بين الشارع الأول والثاني من الجديدة[١] على مائدة الغداء وكان جمع من الإخوة العلماء قد حضروا أيضاً على شرفهما ودار الحديث عن لبنان وإيران والمطر و . . قال الإمام الصدر ثبت علمياً إن الجبال الشاهقة المحيطة بالمدينة التي تمنع وصول السحب الماطرة إلى سماء البلد مثل الجبال الشاهقة في شمال طهران المانعة من سير السحب المرتفعة من بحر قزوين وحركتها نحو العاصمة لنزول المطر وتنظيف الهواء والبلد ، فإذا غرست أشجار على سفح هذه الجبال حتى القمة من الجهة التي توجد الغيوم فيها لسحبت الأشجار الغيوم إلى القمة واجتازت بعد ذلك الغيوم الجبل وملأت سماء البلد وسببت هطول الأمطار الغزيرة ونزول الخير على الناس .

---

(١) الآن ملاصق لمكتبة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لشيخنا الباقر القرشي .

الفترة الثالثة

من ٤ ـ ٦ ـ ١٩٧٥

إلى ٣١ ـ ٨ ـ ١٩٧٩

وصل البعثيون الصداميون في العراق إلى الحكم في الستينات وخططوا للقضاء على الحركات الإسلامية المتنامية النشطة والقوى الدينية التي تدعمها وتساندها الحوزة العلمية في النجف الأشرف والمراجع العظام وخاصة عندما عرفوا أن الشعب العراقي المتمسك بمذهب أهل البيت عليهم السلام تابع لمراجعه وتأكدوا من ذلك حين صدر فتوى المرجعية العظمى المتمثلة بالإمام السيد محسن الحكيم قدس نفسه في وقته ضد الشيوعية من أنها كفر وإلحاد والانتماء إليها انتماء إلى الكفر والإلحاد حيث هبّ الشعب العراقي بشرائحه المختلفة لمعاداة الشيوعية ومحاربتها .

وحين لم تنساق المرجعية مع الحكومة البعثية البكرية لإعلان الجهاد ضد الأكراد المسلمين في الشمال بل نصح المرجع الكبير السيد محسن الحكيم رضوان الله تعالى عليه أزلام البعث بالتفاوض مع الأكراد وإعطاء بعض حقوقهم

ومعالجة المشكلة الكردية بالطرق السلمية . فعندما أدرك البعثيون قوة النجف الأشرف والحوزة العلمية الدينية فيها والمرجعية العظمى للمسلمين الشيعة التابعين لمذهب أهل البيت تآمروا على المرجعية والحوزة الدينية ومن ينصر ويدعم هذا التوجه ، كالوا التهم إلى المجاهد الحجة الشهيد السيد مهدي الحكيم نجل المرجع الكبير السيد محسن الحكيم واتخذوا قراراً بتصفية الحوزة العريقة النجفية وساروا في هذا الاتجاه فسفّروا العلماء بحجة أنهم ليسوا بعراقيين وجندوا العلماء العراقيين وطلبة العلوم الدينية منهم لخدمة العلم واعتقلوا من شاؤوا منهم وقتلوا من شاؤوا منهم وشددوا الحصار على أستاذنا المفدى الشهيد السيد محمد باقر الصدر وألقوا القبض على وكلاء العلماء النشطين في بغداد والطلبة الجامعيين المرتبطين بالسيد الصدر وتلامذته المقربين منه فاعتقلوا في بغداد سماحة العلامة المجاهد الشيخ عارف البصري والسيد نوري طعمة وفي النجف زميلنا الحجة السيد عزالدين القبانجي والسيد عماد الطباطبائي التبريزي وغيرهم وأخذوا يفتشون عني ليلاً ونهاراً فتسلّلت إلى الكوفة ولجأت إلى بيت عديلي المرحوم السيد أحمد حبل المتين واختفيت هناك فترة أسبوعين وانهمكت في متابعة الأوضاع العراقية ودراسة الأمور فوجدت الكثير من إخواننا اعتقلوا وتبين أنهم اعترفوا لدى تحقيق زبانية صدام معهم لتخفيف العذاب

عنهم بأن السيد محمد الغروي هو الرابط والمسؤول عنهم في حزب الدعوة ظناً منهم أنني قد سافرت خارج العراق فبعث سيدنا المفدى قدس نفسه الزكية صديقنا وزميلنا العلامة الشيخ محيي الدين المازندراني وبلّغني رسالة أستاذنا الشهيد بلزوم مغادرة العراق والذهاب إلى لبنان وعدم الجدوى من الاختباء في البيت بعد هذا البحث المتواصل للبعثيين وإصرارهم على اعتقالك فأرسلت جوازي الإيراني ومن حسن الحظ لقبي الغروي المعروف به لدى الأصدقاء يختلف عما هو مسجل في الجواز من بحريني قمشى ودفعوا لضابط الجوازات رشوة لعدم التحقيق في صاحب الجواز وللإسراع في إعطائي سمة المغادرة والسماح بالخروج من العراق ، وفي منتصف الليل تركت الكوفة وقدمت إلى سوريا ولبنان وزرت الإمام موسى الصدر وأخبرته بما يجري في العراق وخاصة في الحوزة العلمية النجفية من التآمر عليها .

وقلت للإمام الصدر إن رغبة سيدنا الأستاذ في أن أذهب إلى البحرين وأكون عالماً ومبلغاً في تلك المنطقة فرحب بالفكرة وزودني برسائل عديدة إلى الوجهاء والعلماء في المنامة ، فذهبت إلى البحرين وأوصلت الرسائل إلى أصحابها ولقيت منهم الاحترام والتكريم ومكثت هناك سبعة أشهر مزاولاً الخطابة والندوات والمحاضرات وإقامة صلاة الجماعة .

وفي يوم من الأيام سمعت من المسافرين القادمين من النجف الأشرف بأن الحكومة البعثية العراقية قد حكمت على المجاهد العلامة الشيخ عارف البصري وزملاءه من العلماء وطلاب الجامعة بالإعدام فسارعت الاتصال بالإمام موسى الصدر واتصلت به منتصف الليل فرفع بنفسه الهاتف وتحدثت معه وأخبرته بما قررت الحكومة البعثية في العراق فقال لي يجب أن تتحرك وتخبر علماء البحرين بالنبأ للإستنكار أو السعي في مظاهرة ضد البعثيين في العراق وأني سأقوم في لبنان بالضغط على الحكومة العراقية وأتصور أن الحكم يؤجل ولا ينفذ وعلينا جميعاً العمل للحيلولة دون التنفيذ .

ولكنه لم تمر أيام قليلة إلاّ وسمعت بأن البعثيين قد أعدموا رمياً بالرصاص الإخوة العلماء الأعزاء المجاهدين الشيخ عارف البصري والسيد عزالدين القبانجي والسيد عماد التبريزي والسيد نوري طعمه وغيرهم بتهم واهية .

وبعد مضي سبعة أشهر من المكوث في البحرين وحصول ما لم يخطر في البال على الساحة العراقية وعدم سماح الحكومة البحرينية بالبقاء أكثر من تلك الفترة انتقلت في بداية شهر ربيع الأول ١٣٩٥هـ إلى دبي عند صديقين عزيزين هما الحجة المجاهد الشهيد السيد مهدي الحكيم قدس

نفسه والحجة المجاهد الشيخ مهدي العطار وارتأيا أن أذهب إلى مدينة أبو ظبي لإقامة صلاة الجماعة وتدريس الدين في جامع المرحوم الحاج عيسى المحفوظ، فذهبت إلى عاصمة الإمارات العربية وعشت حدود شهرين ولم أستطع أن أنسجم مع المناخ الطبيعي والاجتماعي هناك فعدت في العشر الأول من شهر جمادى الأولى من عام ١٣٩٥هـ إلى بيروت وزرت فوراً الإمام الصدر فأمرني أن أذهب إلى مدينة صور قائلاً إن قسماً من أهل البلد التقوا بك سابقاً ويعرفوك فتذهب إلى هناك وتقيم صلاة الجماعة عند غياب سماحة الحجة السيد محمد علي الأمين حفظه الله وتدرّس في معهد الدراسات الإسلامية عندما يغيب أستاذ عن التدريس وشيئاً فشيئاً تتغلغل في وسط المؤمنين وتصبح عالماً معروفاً في مدينة صور وتقوم بتمثيلي في الشؤون الدينية والاجتماعية.

كان الإمام موسى الصدر في هذه الفترة منصرفاً إلى المشاكل السياسية والاجتماعية في لبنان وكانت الفتن المحلية والإقليمية تبدي نواجذها على الساحة اللبنانية فكان تردده على مدينة صور قليلاً وخاصة بعدما أمرني بالذهاب إلى مدينة صور والاستقرار فيها فانقطع عنها شهراً كاملاً متواصلاً وكنت والحمد لله مؤدياً لكل الواجبات الدينية والاجتماعية وكانت الأخبار عن نشاطي وعملي تصله بين يوم وآخر

حتى سمحت له الفرصة بالمجيء بعد هذا الانقطاع الطويل إلى صور يوم الجمعة فأقام صلاة الظهر جماعة وخطب في الناس وتحدث إليهم وبعد الانتهاء من الخطبة جلس قليلاً للاستراحة وللانتهاء من أذان العصر وإذا بأحد المؤمنين في المسجد وهو الحاج إسماعيل درمسيس تقدم نحوي وطلب مني أن أرجو سماحته إعلام المؤمنين في المسجد بأنني أتمتع بالثقة الشرعية لديه فقلت له إنني أخجل أن أطلب ذلك لنفسي فقام هذا العبد الصالح وذهب إلى المحراب وجلس بين يدي الإمام وعرض على سماحته دعمه وتأييده فرأيت بأن الإمام قد هز رأسه مبدياً الموافقة على ذلك .

وعندما أقام المؤذن لصلاة العصر طلب مني سماحته أن أتقدم في المحراب وأصلي صلاة العصر إماماً ويصلي هو مع المؤمنين من خلفي فذهلت على طلبه ورفضته بشدّة ولكنه دنا مني وقال بصوت خافت المصلحة الإسلامية تقتضي ذلك فدنوت من المحراب وتقدمت على سماحته وأقمت صلاة العصر جماعة وغدا لي الشرف الكبير في وضع ثقته واعتماده في أحد تلامذته وبعد الفراغ من صلاة العصر جماعة قمت وخطبت وشكرته كثيراً على هذا الوسام الغالي الثمين الذي منحنيه وأصبح فخراً وشرفاً أعتز به ما دمت حياً .

* * *

أمرني الإمام الصدر بإحياء جمعية شباب البر والإحسان المنبثقة من جمعية البر والإحسان في صور للاهتمام بالشباب في هذا البلد ومنطقتها وجمعهم في نوادي ثقافية ورياضية والتزود من طاقاتهم في القضايا الاجتماعية، فخصّصنا جناحاً في معهد الدراسات الإسلامية الكائنة على جهة القبلة من المدينة المطلة على البحر وعقدنا بالتعاون مع جمع من تلاميذ الإمام ندوات ومحاضرات ثقافية وصحية ووجهنا الدعوة لجمع من الأطباء والأساتذة للتحدث والتوجيه أسبوعياً في الشباب وقمت بإصدار مؤلفات صغيرة ثلاثة هي: إسلامنا، التشيع مذهب أهل البيت عليهم السلام، هل أن الدين أفيون الشعوب؟ تحت عنوان شباب البر والإحسان وطبعتها وأصدرتها إلى الأسواق ولكن الفتنة الدامية اللبنانية حالت دون استمرارها فالحرب الأهلية قد أدمت العيون والقلب وأشغلت العقول والأفكار ومنعت من مواصلة الأعمال الثقافية.

* * *

بعد مرور فترة قصيرة على الاستقرار والتوطن في مدينة صور جاءني في مساء يوم جمعة المرحوم جميل بيطار وقال لي إن الإمام الصدر يدعوك للاجتماع به فذهبت معه إلى بستان المرحوم سليمان عرب الواقع على الطريق العام

لجهة الناقورة من مفرق الشعيتية فترجّلت من السيارة وصعدت الدرج ووصلت السطيحة ورأيت الإمام جالساً مع الأستاذ حسين بيطار يتحدثان في شؤون لبنان ومدينة صور وبعد مغادرة الأستاذ بيطار دعاني للجلوس على مقربة منه وكان وجهنا نحو البحر والأراضي المحتلة الفلسطينية وسألني أولاً عن رأيي في مدينة صور والنشاط الديني والاجتماعي في هذا البلد؟ فأجبت بالشكر على ثقة الأستاذ في تلميذه وأن المدينة التي يرعاها إمام مثل موسى الصدر لا يكون إلا طيباً ومثمراً.

ثم بلّغته ما كنت أسمع من بعض أصدقاءه ومحبيه بأن الإمام الصدر لا يعرف الأحزاب الفلسطينية ومنظماتهم ومناوراتهم السياسية وألاعيب السياسيين ونخشى أن تتغلب عاطفة الإمام وتتجاوز به الحدود.

وعندما سمع هذه الرسالة قال أبلغ الإخوة والأصدقاء عني بأن اللازم التفريق بين القضية الفلسطينية والمنظمات التي تحمل السلاح وتدعي الدفاع عن هذه القضية فإن دعمنا للقضية الفلسطينية من أجل أنها قضية مقدسة ومباركة وأننا ندافع عنها ونحارب إسرائيل حتى إذا تخلّت كافة المنظمات المسلحة والحركات الفلسطينية عن فلسطين.

ثم أشار بإصبعه إلى جهة إسرائيل الغاصبة المحتلة

لأراضي فلسطين قائلاً : إن كل مشاكلنا منها فانتشار الدعارة والمخدرات والفساد والفتن والحروب والاقتتال وكساد الزراعة والتجارة والتخلف من هناك ، مشيراً إلى جهة الأراضي المحتلة ، وأضاف سماحته قائلاً : إن إسرائيل تسعى لكي تسلخنا من تاريخنا ومن ثقافتنا ومن حضارتنا ومن هويتنا ومن كل مقومات حياتنا وتلتجأ في سبيل ذلك إلى كل الأساليب للقضاء علينا فلا بد من محاربتها ومعاداتها والتحالف مع كل من يحمل السلاح لقتال إسرائيل فنحن لا نحارب إسرائيل لسواد عيون الفلسطينيين ولأجل مجرد التحالف مع المنظمات الفلسطينية ، بل لأجل أن القضية تستحق كل ما نقدم ونضحّي من أجلها .

* * *

كان الإمام يكرر أمام أصدقاءه وإخوانه ويقول بأن الأحزاب السياسية والطوائف الدينية تتدرب على السلاح وتهيأ نفسها للحرب وأنهم تحت العناوين البراقة والشعارات الخلابة يحاربون من أجل مصالحهم الطائفية فللموارنة حزبان سياسيان حزب الكتائب للدفاع عن موارنة الجبل وحزب الوطنيين الأحرار للدفاع عن موارنة الشوف وجنوب لبنان وللدروز حزب التقدمي الاشتراكي وللسنة الأحزاب القومية و . . . وكل حزب اتخذ لنفسه ذراع مسلح لخوض المعركة

والحرب والشيعة مع الأسف انخدعوا بهذه الشعارات البراقة والتحق بعض منهم إلى هذا الحزب اليميني أو ذاك وبعضهم تحالف مع هذا الحزب اليساري أو ذاك من الأحزاب اللبنانية أو المنظمات الفلسطينية فأصبح المسلم الشيعي تحت كل علم يحارب أخاه الشيعي المتواجد تحت العلم المقابل للآخر فهم وقود نار الحرب وهم صرعى الاقتتال .

فلا بد من السعي لسحب شبابنا وأولادنا من هذه الأحزاب والمنظمات وتثقيفهم بالحقيقة التي تتحرك من وراء الستار وتدريبهم على السلاح لكي يكونوا درعاً منيعاً وذراعاً قوياً للدفاع عن مصالح طائفة المسلمين الشيعة وفي طليعتها أرض جبل عامل المتاخمة لإسرائيل المجرمة هذه البقعة المهملة من قبل الدولة اللبنانية عبر العقود والقرون من الزمان المعرضة لكل الاحتمالات على صعيد الحلول النهائية لقضية الشرق الأوسط .

من هذا المنطلق أسس الإمام الصدر حركة المحرومين الاجتماعية ثم أنشأ الذراع المسلح للحركة وأسماها بأفواج المقاومة اللبنانية (أ.م.ل) .

وهذا هو السبب الجوهري لمعاداة الأحزاب اللبنانية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار للإمام الصدر وحركته المباركة حركة أمل وذراعها المسلح أفواج المقاومة اللبنانية (أمل)

حيث أن الإمام الصدر قد كشف حقيقة الأحزاب السياسية على صعيد لبنان وسحب الشباب الواعي التابع لمذهب أهل البيت من كان متخذاً وقوداً لمعاركهم في لبنان .

* * *

وضع الدكتور مصطفى شمران روزنامة عام وعلى لوحتها التي كانت بمثابة الغلاف صورة الإمام الصدر وعلى طرفيه قائمة من تهم اليمين في الجانب الأيمن من الصورة وتحت كل تهمةسهم مسدد نحو الإمام . وقائمة أخرى من تهم اليسار في الجانب الأيسر منها وتحت كل منها سهم مصوب نحو الإمام وكانت هذه التهم والافتراءات المتناقضة من الأحزاب اليمينية واليسارية المتضررة من وجود الإمام الصدر موجهة نحو هذا الرجل الصادق المخلص الواعي العظيم وهي :

يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم واللّه مُتِمُّ نورِه ولو كَرِهَ الكافِرون



... لأنَّ وجوده، يجسّد القيم والنموذج الحق للانسان المسؤول، ويمثل النضال الشريف ضد طغيان المادة والفساد، وصنع الثورة على الظلم والانحراف.. تألب عليه كلهم. واستنفروا كل الطاقات، لإبادته وتحطيمه.

لأنَّهُ

- رمز وحدة الوطن
- تجسيد التراث الاسلامي
- قائد مسيرة المحرومين
- عنوان الطائفة ووجهها الصحيح
- صاحب رؤية دينية واضحة
- لا شرقي ولا غربي
- يمثل انسانية الانسان

حاول التقسيميون، من اليمين واليسار، تحطيمه.
تصدى له دعاة الغرب وانصاره.
سعى اصحاب الامتيازات والمستأثرون للقضاء عليه.
تداعى اكلة القصعة، في الطائفة، والادعياء والحاسدون للتشويش عليه واتهامه.
خالفه المزورون والسطحيون من ابناء هذا الدين.
توافقت على محاربته القوتان الكبريان في الشرق والغرب
حاربه الوصوليون والمكيافيليون وعادوه.

قال الإمام الصدر : إن الرئيس حافظ الأسد يتمنى إجراء حوار هادف في سوريا بين المذاهب الإسلامية بعيداً عن الحقد والتعصب المذهبي حتى يعرف أبناء كل مذهب منطلقات ومعتقدات المذهب الآخر .

كما يحب الرئيس نشر تعاليم الدين وأحكام القرآن لدى العلويين في سوريا لكي يزداد الإلتزام والتمسك بشرع الله سبحانه في أوساطهم ويخرجوا من التقاليد والعادات التي لم ينزل الله بها من سلطان .

وعليه بعث الإمام الصدر رسالة شفهية عام ١٩٧٢ إلى صهره وابن عمه أستاذنا الشهيد السيد محمد باقر الصدر مبدياً رغبته في أن يرسل أستاذنا من حوزة النجف الأشرف عالماً فقيهاً مثقفاً حسن المنطق والفكر والأخلاق إلى دمشق لكي يقوم بهذه المهمة من اللقاء بالفقهاء والعلماء المسلمين وأساتذة الجامعة وخاصة كلية الشريعة ويدعوهم إلى اللقاء والحوار بكل هدوء ورزانة ويقوم بتقريب بعضهم من الآخر ويزيل الشبهات والشكوك من أوساط المسلمين .

* * *

سمعت منه كثيراً في مناسبات مختلفة بأن الرئيس حافظ الأسد يقدِّره كثيراً ويجعله من أهل داره وعائلته وأنهما يسهران معاً طويلاً في جلسات أخوية ودية يتبادلون

أطراف الأحاديث السياسية والاجتماعية والتاريخية وفي ليلة ساهرة أشار الإمام الصدر في حديثه إلى ما عاشه الشيعة في الشام من الاضطهاد المرير على يد السلفية التكفيرية قبل فترة طويلة وأيام الأتراك المتحجرين فهربوا إلى الجبال والتجأوا إليها ولم يعرفوا من مذهب أهل البيت عليهم السلام إلا علي عليه السلام .

ثم أخذوا يعرِّفونه ويغالون فيه حتى وصلوا به إلى مستوى الربوبية والعياذ بالله . فيجب علينا أن نرشدهم إلى الصواب ونرجعهم إلى أصول دينهم ومعتقدات آبائهم وأجدادهم بكل هدوء حتى لا تثار حساسية الإخوة المسلمين السنّة .

وكان يقول الإمام إن السلطة العليا في دمشق لا تخشى من شيء بمثل ما تتوجس خيفة من النعرات الطائفية والمذهبية في سوريا أو العالم العربي .

* * *

تحدثت مع الإمام الصدر حول عزمي على القيام بدور الوسيط بينه وبين شخصية سياسية في مدينة صور لكي تطيب الأجواء بينه وبين الإمام ويكون الهدف الوحيد من وراء هذا المسعى هو الصلح بين شخصين مسلمين أخوين

في الله .

فقال الإمام إن معظم اللبنانيين يفسّرون ويحلّلون الأمور على أساس السياسة ويدخلونها في كل شيء وينظرون إلى كل حادثة صغيرة وكبيرة من خلال السياسة، حتى أن قطة - من باب المثال - لو خرجت من دار ودخلت داراً ثانية لقام الناس بتفسير هذا الخروج والدخول على أساس السياسة والمصالح الخاصة الشخصية ولا يفسرون الأمور من منطلق ديني وأجر أخروي والتقرب إلى الله سبحانه .

* * *

كان الإمام عضواً في الهيئة المشرفة من المحسنين على توسيع وتحديث مقام السيدة رقية(١) في الشام وكانت عملية شراء البيوت والمحلات تسير ببطء شديد فقيل له يا سماحة الإمام تكلم مع المسؤولين السوريين لكي يتعاونوا ويسرعوا في مساعدة عملية شراء البيوت والمحلات والهدم والبناء فأجاب بأن فخامة الرئيس حافظ الأسد يحب أن يتوسع المقام ويتحول إلى مركز يشع منه نور أهل البيت عليهم السلام ولكن بشرط أن لا تتحرك عصبية المسلمين السنّة والنزعة المذهبية فإن الرئيس لا يخاف على استقرار البلاد من أيّ شيء بمثل ما يخاف من النزاع الطائفي والتعصب

الديني .

* * *

كنا نحيي ليلة من ليالي القدر الثلاثة[1] من شهر رمضان عام ١٣٩٥هـ في نادي الإمام الصادق عليه السلام في مدينة صور، مفترشين الأرض ومستقبلين الكعبة وبادئين بقراءة دعاء الجوشن الكبير[2] فبدأ سماحته بقراءة بعض الفصول من الدعاء وأمرني أن أقرأ من حيث ما انتهى إليه، فقرأت الدعاء وأكثرت من قراءة الفصول فهمس في أذني وقال لا تقرأ الدعاء لوحدك وافسح المجال لقراءة غيرك فأعطيت كتاب الدعاء لأخينا الدكتور إسماعيل حاجو الذي كان جالساً على مقربة مني لقراءة فصول أخرى من الدعاء ثم ناولت الكتاب لشخص آخر وهكذا حتى فرغنا من الدعاء، كل ذلك تحقيقاً لرغبة الإمام موسى الصدر من مشاركة قسم أكبر من المؤمنين في قراءة دعاء الجوشن والتبرك به . .

* * *

أمر الإمام الصدر القادة العسكريين في المقاومة اللبنانية

---

(١) ليلة التاسع عشر والواحد والعشرين والثالث والعشرين .

(٢) دعاء يشتمل على ذكر ألف اسم من أسماء الله سبحانه أو أوصافه في مئة فصل وكل فصل يحتوي على عشرة اسم ووصف لله سبحانه .

(أمل) أن يكونوا على ارتباط كامل وتعاون تام مع بعض المجموعات الفلسطينية المؤمنة التابعة لفتح فكان تنسيق في التدريب والعتاد والعدة مع هؤلاء من قبل المقاومة اللبنانية (أمل) وكان إيذاء وإزعاج من قبل الفئات الفلسطينية الثانية التي لا تروق لهم هذا التنسيق مع المجموعات المؤمنة العاقلة .

كما أن الإمام أمر القيادات العسكرية في حركة أمل أن يكونوا على ارتباط وثيق مع المجموعات العسكرية السورية وممثليهم أو المتعاطفين معهم لإيمان الإمام الصدر بأن سوريا لا تريد إلا خير لبنان وتفشيل المؤامرات التي تخطط ضده على يد العملاء أو الجهلة الذين لا يفقهون في السياسة شيئاً .

* * *

أعطاني الحاج عباس صبراوي صكاً من العملة الإفريقية بقيمة ٣٦٠٠٠ ألف ليرة لبنانية للإمام الصدر فأخذتها إلى الإمام وأخبرته أن المبلغ من الحاج عباس صبراوي وإخوته فوقّع الصك وأرجعه لي وقال اقبض المبلغ وحوله إلى الليرة اللبنانية وائتني به وكان كذلك ولكن تأخرت قليلاً في زيارتي للإمام ودفع المبلغ له وعندما زرته قدمت له المال قال ما هذا؟ قلت لسماحته حوالة الحاج عباس صبراوي فتذكر وقال جئتني به في وقته الذي أحتاج

إلى المال .

* * *

تأسست جمعية (اتحاد اللبناني للطلبة المسلمين) من الشباب الموالين لمذهب أهل البيت عليهم السلام الجامعيين المثقفين وأرادوا أن يحصلوا على الترخيص لإصدار مجلة شهرية رسالية دينية ثقافية فراجعوا الإمام موسى الصدر لكي يطلب من الدولة الإسراع في الموافقة .

قال الإمام الصدر في حديث خاص بيننا : بذلت الجهد وسعيت الكثير وطلبت من الأصدقاء في الدولة الإسراع في إصدار الإجازة والترخيص لهؤلاء الشباب الجامعيين الشيعة حتى يبدأوا بإصدار المجلة باسم (المنطلق) واستطعت بفضل الله أن أنتزع الرخصة من الدولة وأسهل أمر الشباب وقضاء حاجتهم .

وأضاف سماحته . . ولكن بعض هؤلاء الشباب في الجمعية المنتمين لحزب الدعوة الإسلامية فرع لبنان الموجه من بعض العلماء اللبنانيين قد اتهموني بتهم وطعنوني في الظهر بدل التشكر والدعم .

* * *

طلب مني (المؤلف) الشهيد الدكتور مصطفى شمران

المسؤول الأول في حركة أمل بعد الإمام الصدر ، الذهاب إلى بيت المرحوم الحاج أحمد جابر وطلب الموافقة منه على زواجه من ابنته الحاجة غادة فذهبت قبل كل شيء إلى بيروت والتقيت في الحازمية بالإمام وأخبرته برغبة الدكتور شمران فقال الإمام اذهب واخطب فرجعت وذهبت إلى بيت المرحوم الحاج أحمد جابر وخطبت ابنته لأخينا الشهيد الدكتور شمران فوافق المرحوم مبدئياً ورفضت زوجته الحاجة أم خليل لكون الدكتور أجنبياً فقد يأخذ ابنتها إلى خارج لبنان إلى أوروبا أو أميركا وتعيش حالة الفراق مع ابنتها غادة . وبعد تكرري لزيارتها وبيان المناقب والحسنات في هذا الزواج وتدخل المؤمنين وافقت السيدة أم خليل على تزويج ابنتها غادة من الدكتور شمران ولكنه حصل خلاف في قدر المهر حيث طلبت والدة العروس أن يكون بقدر مهر أختها المتزوجة قبلها فأخبرت الدكتور مصطفى بذلك فقال إنني لا أريد أن أشتري الفتاة من هذا البيت الكريم كما يشتري الإنسان سلعة من السوق ، بل أريد أن تكون شريكة حياتي ولا أوافق إذا كان المهر أكثر من إهداء نسخة من المصحف الكريم .

فذهبت إلى بيروت وزرت الإمام في الحازمية وأخبرته بما انتهينا إليه فأجاب الإمام اذهب إلى صور وحاول أن تقنع الدكتور مصطفى بتنفيذ رغبة الحاجة أم خليل وإن عجزت

وأعلم أنك ستعجز عن ذلك فاذهب إلى الحاجة أم خليل وابذل الجهد لإقناعها .

عدت إلى مدينة صور وتحدثت مع الدكتور مصطفى شمران كثيراً ولكنني فشلت في إقناعه بتغيير موقفه من المهر ، فذهبت إلى والدة العروس وتكلمت معها وبلغناها عواطف الإمام الصدر ورغبته في تحقيق هذا العقد المبارك فوافقت بعد جهد كبير على إجراء عقد الزواج بمثل ما يرغب الزوجان فتم العقد والحمد لله على خير وسلام ووئام وأخبرت الإمام فبارك الزواج وتمنّى لهما الرفاه .

وبعد عودة الدكتور مصطفى شمران المرافق للإمام الصدر في زيارته إلى الجزائر للقاء بالرئيس هواري بومدين نقل زوجته إلى شقته الصغيرة في مؤسسة جبل عامل المهنية وبدء حياته الزوجية .

وعند انتصار الثورة المباركة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني نقل الدكتور شمران زوجته إلى إيران وكانت معه في السراء والضراء حتى في مناطق حرب صدام بإرادة دولية ورغبة بعض الدول العربية على إيران الإسلام .

لقد استشهد الدكتور مصطفى في ٢٠/ حزيران/ ١٩٨١ في جبهة خوزستان في الحرب العراقية على الجمهورية الإسلامية الإيرانية وكانت زوجته الحاجة غادة في الخطوط

الخلفية التي تعين المجاهدين بالطعام والسلاح والطبابة .

* * *

يقع مسجد مدينة صور المعروفة باسم مسجد البلد الذي أنشأه الإمام المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين في منطقة أثرية . كما وأن مدفن المسلمين والمسيحيين يقع على أطلال آثار الفينيقيين والرومان وبشكل عام فإن مدينة صور قد شيدت على أنقاض الآثار القديمة جداً .

إن المسؤول الأول والمدير العام في مديرية الآثار اللبنانية السيد موريس شهاب . بعث إلى الإمام الصدر رسالة شفهية يقول فيها إن مديرية الآثار تريد أن تفتش عن الآثار وتنقب عنها فتنوي أن تتفاوض معكم حول المدفن والمسجد لأن السياحة مورد مهم للانتاج والدخل والحركة الاقتصادية .

أجاب الإمام كما قال لي سماحته نعم إننا على استعداد تام لتنفيذ ما ترغبون به شرط تعويض أرض لدفن موتى أهالي صور من المسلمين والمسيحيين وتعويض أرض ومال لبناء مسجد آخر على غرار هذا المسجد في مكان آخر وعليه نمنع من الدفن في المقبرة القديمة ونتركها مهجورة لسنين عديدة حتى تندرس القبور وتتحول الأجساد إلى رميم وبعد ذلك تخلى المنطقة الأثرية من الأتربة وتخرج الآثار من تحت الركام ولا يكون حينذاك من نبش القبور المحرم شرعاً .

كما أنه يشترط هجر المسجد لفترة من الزمن حتى يتصدع وينهدم ويتحول إلى ركام فيزول عنوان المسجد وتزول معه حرمة تخريب المسجد .

وتم الاتفاق المبدئي على ذلك ولكن الحروب التي اندلعت على أرض لبنان بإيعاز من الخارج أجّلت التنفيذ .

* * *

عندما بنى الإمام الصدر بناية معهد الدراسات الإسلامية ذات الطوابق الثلاثة مع قاعة للمحاضرات ومكتبة وقاعة كبيرة للمطالعة على جهة القبلة من البحر قرب الكلية الجعفرية وفي جوار مقام النبي إسماعيل (كما هو المعروف لدى أهالي مدينة صور) لم يبق لديه أموال لإنشاء جامع لأداء الفرائض اليومية من قبل طلاب المعهد وأهالي الحي (حي النبي إسماعيل) .

أخبرني الإمام الصدر كنت أفكر كيف أبني الجامع حتى تكون المؤسسة العلمية والعبادية متكاملة فجاءني محسن من إيران وزارني في بيتي وأخبرته أننا فعلاً بحاجة إلى إنشاء جامع لطلاب المعهد وأهل الحي في مدينة صور ، فقدم لي عشرين ألفاً من الليرة اللبنانية لتنفيذ المشروع وكلفت المهندس علي عقيل بوضع خارطة والبدء بالتشييد فأقيمت القواعد والأعمدة والسقف فوق مقام النبي إسماعيل بانتظار دفع

الإمام الصدر الباقي من المال للشروع في تكميل البناء .

ولكن الفتن الداخلية في لبنان قد حالت دون تنفيذ مشروع إكمال الجامع ثم أعقبت الحروب الداخلية إخفاء الإمام الصدر على يد المجرم القذافي في ليبيا ومضت الأيام حتى عهد دولة الرئيس الأستاذ نبيه بري فأمر بهدم البناء عام ٢٠٠٢ ، والتخطيط لتشييد مجمع كبير يحتوي على قاعات وصفوف ومكتبة ومحل للرياضة وجامع وقد وفقه الله سبحانه على إتمام المجمع وبناء الجامع في نفس المكان الذي أريد له أن يكون مسجداً وبيتاً لله من دون أن يعرف الأستاذ الكريم رغبة الإمام الصدر في بناء الجامع في هذا المكان نهائياً والمأمول أن يكون هذا المجمع فرعاً للجامعة الإسلامية في صور[١] .

* * *

أيام انحسار قوة الأمن والدولة عن الجنوب ابتداء من عام ١٩٧٦ لأعوام معدودة قام المرحوم . . . على الفراغ من البناء من شاطئ البحر من الجهة الجنوبية لمعهد الدراسات الإسلامية بنصب خيمة وإحداث جنينة وتقديم الشاي والقهوة والنارجيلة ثم توسع قليلاً وبنى شيئاً فشيئاً مقهى

(١) انتهى البناء وأقيم الصرح العلمي والإيماني وسيفتح يوم السبت ٧/ ٥/ ٢٠٠٥ للهدف نفسه كما ذكرنا .

ومطعماً فيه الخمور والمسكرات فأخبرت الإمام في بيروت بأن فلان . . . قد حول المكان في غياب الدولة إلى منتزه يقدم فيه الخمور أمام البيوت والسكان وعلى جنب المعهد وفي وسط البلد فرأيته تألم كثيراً حيث احمرَّت عيناه وانقبض وجهه وبدأ يفكر .

فقلت له : سيدي ما رأيك في تفجير المكان بواسطة الشباب وهو من أبسط الأمور؟ أجاب ليس بعمل صحيح فيه ترويع لأهالي الحيّ وإتلاف لبعض الممتلكات حاول عن طريق أصدقائه أن تمنعه عن ذلك .

فرجعت إلى صور وسعيت ولكن المساعي قد باءت بالفشل حتى مرّت السنين وجاءت أيام الدولة ونسف المكان من قبل مجهولين وتحول إلى خراب ودمار .

* * *

أنشأ الإمام في السبعينات جمعية سميت بـ(مشروع الليرة) لإشراك أكبر عدد ممكن من الطائفة في مساعدة المؤسسات الخيرية الاجتماعية بالقدر اليسير من المال حيث أبدى سماحته الرغبة في تعاون كل فرد شهرياً بليرة واحدة للتمكن من استمرارية المؤسسات الخيرية للطائفة وتوسيعها وقرر لذلك لجاناً في الجنوب والوسط والبقاع وبدأ الناس بالتجاوب والمساهمة واستمر المشروع فترة من الوقت ولكنه

لم ينجح بالشكل المطلوب فتوقف في منتصف الطريق .

* * *

قال الإمام الصدر إن الجرائد والمجلات اللبنانية لا تستطيع أن تسدد تكاليف الإدارة والطباعة والموظفين من بيع الجريدة والمجلة وخاصة أن بعضها تصدر في أوراق أنيقة وصور ملونة مكلفة ، بل يكون كل واحد منها مرتبطاً بجهة خارجية تدعم المجلة أو الجريدة وفي المقابل تكتب تلك الجريدة أو المجلة حسب رغبة المنفق الداعم وتكون تابعة لسياسة تلك الدولة .

ومن هذا المنطق نرى التيارات الفكرية الكثيرة والتوجهات السياسية المختلفة والرياح المتلونة المتقلبة تهبُّ من كل الجوانب على صعيد لبنان وساحته الضيقة جغرافياً الكبيرة والواسعة ثقافياً وفكرياً وأصبح هذا البلد مسرحاً للصراع الدولي والإقليمي .

* * *

في خضم الحوادث اللبنانية والحروب الداخلية كانت قيمة الليرة قوية حيث كان الدولار الأميركي يساوي ليرتين وأكثر من نصف الليرة بقليل وفي يوم من الأيام قال الإمام سألت الخبراء والاقتصاديين عن سبب ذلك مع أن عملة

البلد الذي تدور فيه الحرب وتسوده الفوضى واللاأمن تخفّ وتراجع فأجابوا بأن بقاء القوة الشرائية لليرة اللبنانية نتيجة الأموال الكثيرة التي تتدفق من الخارج على الداخل لتمويل الحرب .

* * *

كان يقول سماحته : إن مثل لبنان كمثل الضوء المنير على قمة الجبل . فكما أن الناس جميعاً ومن كل الأطراف يرون الضوء المشعّ على ذَروة الجبل وقمّته فكذلك يرى العالم بأسره ما يحصل ويجري على الساحة اللبنانية من القضايا السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية .

* * *

كان يقول الإمام : إن من خصوصيات لبنان أنه لا يكون شيئاً خافياً على أحد في القضايا السياسية أو الاجتماعية أو غير ذلك ومن باب المثال والظرافة إذا قبّل رجل سياسي بارز زوجته في منتصف الليل المظلم تحت اللحاف لقرأ الناس ذلك في اليوم التالي على الصفحات الأولى من الجرائد والمجلات .

* * *

كان من خُلق الإمام الإجابة على السؤال حتى وإن كان في جلسة عامة يحيط به الناس ، فإذا كان الإمام في المسجد

جالساً عقيب الصلاة أو في نادي الإمام الصادق عليه السلام أو في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى أو في بيت صديق أو . . . وسأله شخص مسألة فقهية أو عقائدية أو فلسفية أو اقتصادية أو استخارة أو وساطة لدى الدولة أو شخص أو . . لما امتنع أبداً ولما استنكف من الإجابة على طلب شخصي رغم أنه يخوض مع الآخرين في قضايا أخرى .

* * *

رغم أن الإمام كان يتمتع بحب الناس له من أعماق قلوبهم ورغم أن جميع شرائح المجتمع تنحني أمام عظمة وجلالة سماحته كانت هناك مجموعات صغيرة جداً في أوساط السياسيين وعلماء الدين يخططون ضده ويبذلون الجهد للمسّ والنيل من كرامته وسمعته فكان سماحته يتابع أخبارهم بدقة ويحب أن يعرف ماذا يعملون؟

قلت للإمام بهذا الشأن إنك كالطود الشامخ لا يستطيع هؤلاء الأشخاص أن يسيئوا إلى مقامكم بل يعود ما يفعلوا ويجترحوا على أنفسهم فقرأ هذا البيت الفارسي :

هربيشه كمان مبركه خاليست

شايدكه پلنك خفته باشد

ومعناه لا تحسب أن كلّ الأدغال خالية من الحيوانات

المفترسة إذ من الممكن أن يكون الضبع راقداً ومتربصاً بك وأنت غير منتبه إليه .

* * *

كان سماحته مهتماً بالشباب ويوصيني بهم كثيراً ويأمرني أن أجمع الشباب في ندوة ثقافية أو عمل اجتماعي إنساني أو صحي أو رياضي . ويشجعني على تفقد أحوالهم عند غيابه والمشاركة في أحزانهم وأفراحهم والتعاون معهم بكل ما يمكن التعاون معه .

* * *

عندما كانت الظروف تسمح للإمام يوم الجمعة في المجيء إلى صور بعد استقراره في بيروت يأتي بعض الأحيان قبل الظهر فيذهب إلى مكتب نادي الإمام الصادق ويجلس هناك فيأتي إليه أصدقاؤه ويستمعون إلى أخباره وما يحمل من السياسة أو يذهب إلى مكتب صديقه الحميم الأستاذ حسين بيطار في البنك اللبناني الإفريقي ويحيط به أحباؤه وقد يتوجه رأساً إلى جامع البلد ويقيم صلاة الظهر والعصر جماعة ويلقي خطاباً وعظة بين الفريضتين ثم يذهب إلى مؤسسة جبل عامل المهنية ويمشي في أرجائها ويتفقد الطلاب والأساتذة والعمال ثم يتوجه مع الدكتور مصطفى شمران إلى قاعة الطعام ويتناول ما يكون موجوداً وفي بعض

الأحيان يجلس على مائدة الطلاب ويشاركهم في الأكل من المجدرة واللبن أو الرز مع اللحم أو ما شابه ذلك ثم يغادر قاعة الطعام ويذهب إلى الإدارة أو غرفة الدكتور شمران ويسأل عن تفاصيل الأمور الراجعة إلى المهنية .

* * *

في ذروة غضبه وانزعاجه وانفعاله وفي يومين متباعدين مختلفين دخلت على سماحة الإمام في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في الحازمية ودار حديث مختصر بيننا فقال لي ليتني لم آت إلى لبنان لأن جهدي وأوقاتي قد تبدد من دون أن أعمل شيئاً ولم أعرف في وقته سبب الغضب والتألم .

* * *

استطاع الإمام أن يكسب بعلمه ووعيه وإخلاصه ودّ المرحوم الرئيس حافظ الأسد وصداقته الحميمة وقد سمعت من سماحته مراراً أنه يسهر مع الرئيس من دون القيود والآداب البروتوكولية إلى شطر متأخر من الليل وكان الإمام يثني ويمدح فهم الرئيس ووعيه وموقفه الصلب تجاه إسرائيل في الصمود والتصدي وتألمه العميق تجاه ما يحصل لدى بعض الدول العربية من الصلح المنفرد والاستسلام المذل

والهرولة اللامعهودة وراء سراب السلام .

* * *

اكتسب سماحة الإمام صداقة الأمير عبدالله بن عبد العزيز آل سعود وحصل على احترامه وتجليله عنه بعدما لمس من الإمام الصدق والإخلاص والوعي العميق الشامل لقضايا الشرق الأوسط والأمة الإسلامية وكان الإمام يتحدث عن الأمير بأنه رجل ذو نخوة عربية وأنه يحب الفلسفة ويحب الانفتاح على الثقافات المختلفة .

* * *

إن علماء النجف الأشرف وقم المقدسة تمنوا على الإمام الصدر أن يتحدث مع السلطات السعودية عندما تسنح له الظروف حول إعادة البناء على قبور الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام وهم : الإمام الحسن بن علي سبط رسول الله عليه السلام والإمام علي بن الحسين زين العابدين والإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق المدفونين في البقيع في المدينة المنورة وذلك احتراماً وتجليلاً لمقامهم وتعلق المسلمين وخاصة الشيعة منهم في أنحاء العالم بهم عليهم السلام .

قال الإمام الصدر تحدثت مع سمو الأمير عبدالله

ورأيت سمو الأمير مهتماً بالأمر ، وطلب منحه بعض الوقت لمعالجة هذه المسألة التي لها علاقة ببعض المعتقدات ، وهو ما يحتاج إلى التداول مع المشائخ والفقهاء الذين يعود لهم تقرير الموقف الإسلامي من هذه القضايا لتسوية الأمور العالقة بيننا وبين إخواننا المسلمين التابعين لمذهب أهل البيت عليهم السلام .

* * *

أعطاني الإمام الصدر ذات يوم قائمة من رجال الفكر والثقافة والسياسة في السعودية وقال أرسل إلى كل واحد من هؤلاء مجموعة من مؤلفات الإمام الشهيد السعيد أستاذنا السيد محمد باقر الصدر مثل كتاب اقتصادنا وفلسفتنا والأسس المنطقية للاستقرار والبنك اللاربوي والمدرسة الإسلامية والفتاوى الواضحة فنفذت رغبة سماحته فوراً .

وبعد مرور ستة أشهر تقريباً التقيت بالأستاذ محمد سعيد الزين صاحب دار (الشركة العالمية للكتاب) في بيروت وأخبرني أن وزير المعارف السعودية اشترى منه خمسمئة نسخة من كتاب اقتصادنا لتوزيعه على المثقفين والأساتذة الجامعيين في المملكة العربية السعودية ، فعرفت أن هذا الشراء نتيجة تلك الكتب المهداة إلى المثقفين السعوديين حيث علموا بأن هذه الكتب مفيدة ومجدية فكرياً وثقافياً لهم .

* * *

مرض الحجة الشيخ موسى عز الدين[1] أحد كبار علمائنا في مدينة صور ولازم بيته الكائن على جنب مدرسة الاتحاد في صور فأخبرت الإمام بأن سماحة الشيخ عز الدين مريض ولا يخرج من البيت وينبغي عيادة هذا الشيخ الجليل . أجاب نعم لا بد من زيارته ونسيان الماضي وتفقد أحوال شيخنا الحجة الشيخ عز الدين .

فبعد أداء الصلاة من يوم الجمعة والخطبة بين الفريضتين ذهبنا إلى بيته وفوجئ سماحة الحجة بقدوم الإمام الصدر واستقبله بكل رحابة وترحاب وبعد دقائق سأل الحجة الإمام الصدر متى تنتهي الحرب الداخلية التي نشبت في لبنان؟

أجاب سماحته إن السيد كيسنجر وزير خارجية أميركا قادم إلى لبنان فإذا استطعنا أن نقنعه بالحلّ والعلاج السياسي الذي نؤمن به ستنتهي الحرب بعد حين وإلا فستستمر .

* * *

كنت جالساً عند الإمام الصدر في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وإذا بشاب من حركة أمل قال سيدي إن العالم الشيخ . . . قد تكلم عليكم وتفوه بكلمات ضدكم لا

---

(١) الذي تحدثنا عنه في الهامش من ص ٩٢ .

تليق بالإنسان المثقف فكيف بعالم دين؟ فقمت وواجهته بكلمات لاذعة وكلت له الصاع صاعين .

أجاب الإمام موبخاً له إنه عالم دين وتحدث علي وليس لأحد الحق في إهانة عالم دين مهما قال أو اتخذ موقفاً ضدي فنحن العلماء نواجه بعضنا الآخر ولا أسمح لأحد أن يتدخل في ذلك .

* * *

كان الإمام يجتمع ليلة واحدة في الأسبوع أو الأسبوعين لتربية كوادر الحركة في بيوت بعض شبابه بشكل دوري وأذكر على سبيل المثال بيت المهندس علي عقيل الذي كانت الاجتماعات تتكرر فيه وكان بيته واقعاً في شارع المدرسة الدينية مقابل بيت المرحوم الحاج عباس قرعوني[١] وأذكر من الحاضرين الدكتور إسماعيل حاجو ، الحاج رضا بدوي ، المرحوم سليمان جهمي (أبو شوقي) الأستاذ أحمد حسين والأستاذ يوسف حسين والأستاذ عادل عون و . . . وكان الإمام يتحدث عن القضايا الراهنة وما يجب أن يعملو في المستقبل كما كان يؤكد على التعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية وخاصة الجناح المتدين العاقل منهم ولا بد من

---

(١) هدم البيت وشيد مكانه بناية ذات طوابق عشرة تحت إشراف المهندس علي خضراء .

تحمل المعاناة حتى نشق طريقنا الشائك إلى الأمام ونتغلب على الصعاب للمحافظة على شعبنا وأرضنا وإفشال المؤامرات والمخططات ضدنا .

* * *

ذهبنا إلى بيت المرحوم الشيخ محمد عقيل(١) لتقديم التعازي بوفاة زوجته الحاجة أم إبراهيم أوائل عام ١٩٧٧ الكائن على ربوة قرب العباسية في منطقة صور وكانت السيارة تضم مضافاً على سماحة الإمام الدكتور مصطفى شمران والسائق والداعي ولدى الرجوع سأل الإمام الدكتور عن عدد الشباب الملتحقين بالحركة فقال حدود ستين شاباً ففوجىء(٢) سماحته بالعدد الضخم وقال كفى وكرر ذلك مرات وأضاف لا بد من هضمهم بالتثقيف والتربية ثم نبدأ من جديد بفتح باب التسجيل .

* * *

(١) الشيخ محمد عقيل من المؤمنين الصالحين وأولاده من المحسنين المحترمين في مدينة صور كانوا جميعاً على جنب المقدس الإمام شرف الدين وبعد رحيله كان مع أهله وأولاده صغاراً وكباراً في خدمة الإمام الصدر وإنتقل إلى جوار ربه في ٨/٦/١٩٩٨ .

(٢) سبب المفاجأة أن الحركة لا تزال في بداية انطلاقها وتمر بظروف صعبة معادية من قبل معظم الأحزاب والمنظمات الفلسطينية .

كان الإمام يعلن في السر والعلن في المجالس الخاصة والعامة مخاطباً الأحزاب والمنظمات الفلسطينية : أن كل سلاح يصوّب نحو إسرائيل فذاك تصويب صحيح وكل سلاح يصوّب عكس ذلك وتنحرف فوهة البندقية إلى غير إسرائيل فهو خطأ وغلط .

* * *

سمعت من سماحته قائلاً : إن بعض الغلاة من المسيحيين الموارنة يفكرون عنصرياً بمثل تفكير الإسرائيليين ويعتبرون أنفسهم الأفضل والأحسن والأكمل من كافة اللبنانيين الآخرين وكان شاكراً لله سبحانه على أن شخصية دينية يحمل تلك الأفكار المقيتة لم ينجح في تبوأ مقعد شامخ ومؤثر في مؤسسة مهمة مارونية .

* * *

تدهورت العلاقات بين الإمام الصدر والحكومة الإيرانية الشاهنشاهية في بداية السبعينات وحصلت القطيعة الكاملة عندما تحدث سماحته في دولة من دول الخليج ناعتاً الخليج بالعربي فطار صواب الشاه وقرر مع حكومته إلحاق الأذى بالإمام ولكن الإمام لم يأبه بموقفه لأنه كان على حذر من النظام الإيراني العميل آنذاك .

* * *

أصبح الإمام في السنين الأخيرة قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران محوراً ومحطة من محطات الثورة الإسلامية خارج إيران حيث يستقبل المجاهدين من إيران وأوروبا والعراق ويتشاورون لديه وكثيراً ما كان الشهيد العلامة الشيخ محمد منتظري نجل آية الله الشيخ منتظري يأتي إلى الحازمية بزيّ عادي ويجلس في زاوية مع الإمام الصدر ويتحادثان ثم يقوم سماحة الشيخ ويذهب.

كما أن الشباب الثوريين يأتون من أوروبا وأميركا ويأتي العلماء المجاهدون الإيرانيون من إيران والعراق ويتدربون على السلاح في صفوف أمل ويذهبون إلى الخطوط الأولى من جبهة القتال مع إسرائيل وكذلك يلتقون مع بعض المنظمات الفلسطينية ثم يعودوا إلى محل سكناهم.

* * *

استأذن الإمام الصدر الإمام الخميني في صرف الحقوق الشرعية التي يستلمها من مقلديه على حركة أمل وشباب المقاومة ولكن الإمام الخميني لم يسمح له بصرف المبلغ كله في ذلك بل أذن له بصرف بعضه.

فرأيت الإمام يوم استلامه للرسالة من الإمام الخميني ممتعضاً جداً وقال: إن الإمام الخميني أجاز لمقلديه بصرف كل حقوقهم الشرعية على منظمة فتح الفلسطينية ولم يسمح لي إلاّ بصرف جزء منه وذلك للتقارير التي يرفعها فلان

و . . . من المجموعات الإيرانية المناوئة زوراً وبهتاناً لسماحته المتعاملة مع المنظمات الفلسطينية[1] .

* * *

جاء المرحوم العلامة السيد أحمد الخميني نجل الإمام الخميني قبل انتصار الثورة بأعوام قليلة إلى بيروت وحلّ ضيفاً على الإمام موسى الصدر لأنه ابن القائد المرجع الإمام الخميني وصهره من جهة أنه زوج بنت أخته حرم المرحوم السيد السلطاني الطباطبائي فرحب به الإمام وبعثه إلى المؤسسة المهنية لجبل عامل ثم أخذه الشباب من الحركة على الحدود والثغور ليشاهد بأم عينه شباب الإمام الصدر وقتاله لإسرائيل وبقي أكثر من يوم أو يومين متفقداً لإنجازات الإمام الصدر ومقارناً لما يسمع عنه من قبل المناوئين والحاسدين .

* * *

كان يقول مراراً إن أكذب الأحزاب شعاراً وكلاماً وادعاءً هم الشيوعيون حيث يرفعون مبادئ الشيوعية الماركسية ويرفضون مبدأ الملكية ويعلنون محاربة الإمبريالية ومعاداة الاستعمار في حين أنهم أثرياء الحرب وعملاء الاستعمار الشرقي أو الغربي .

* * *

---

(١) رحم الله المستشهد منهم وفرّج السجين منهم وهدى الله الباقين .

إن شباب الحركة والمسلحين من أفواج المقاومة اللبنانية أمل كانوا يترددون على المهنية العاملية في البرج الشمالي وينامون في باحات المدرسة ويستمعون إلى المحاضرات السياسية والدينية في قاعاتها وصفوفها ويتناولون الطعام في مطعمها وتحولت المهنية فترة من الوقت إلى محطة رئيسية للقاء التجمعات السياسية منهم والانطلاق إلى جبهات القتال مع إسرائيل للشباب المقاتلين من حركة أمل .

ففي يوم من الأيام التقى بي بعض المسؤولين في جمعية البر والإحسان المشرفين على المهنية العاملية معرباً مضايقة أعضاء الجمعية من هذا التواجد الكثيف للحركيين والمسلحين في المهنية ومشاركتهم للطلاب في طعامهم وشرابهم والخدمات الأخرى التي تكون للمهنية وطلبوا مني إيصال هذا التبرم والانزعاج إلى الإمام الصدر لأنهم يخجلون من التحدث مع سماحته حول ذلك .

وعندما التقيت بالإمام أخبرت سماحته بما بعثوه من الرسالة فتألم الإمام وقال إن الكثير من أعضاء جمعية البر والإحسان والمشرفين على المهنية لا يدركون بأن مؤسسة الحركة أهم من المؤسسة المهنية وأن شباب الحركة يقاتلون إسرائيل ويدافعون عن كيان الشيعة وجبل عامل في حين أن فائدة طلاب المؤسسة المهنية التربوية تنعكس على الطائفة أقل

بكثير مما تعود منفعة الحركة على الطائفة .

فبعث بالمال والطعام باسم الحركة إلى المؤسسة لإعلام المشرفين على المؤسسة أن الحركة تساهم في نفقات المؤسسة ولا تستهلك من أموال المؤسسة شيئاً .

* * *

إن سماحة الإمام كان يثني على رئيس الوزراء سليم الحص ويقول عنه إنه ذو كف نظيف وإحساس بالمسؤولية . إنه لا يترك مكتبه حتى وقت متأخر من الليل لإنجاز الأعمال ودراسة الملفات ولا يسمح لنفسه أن يتأخر عمل اليوم إلى الغد إلا لضرورة قصوى .

* * *

تبرَّم سماحة الإمام من بعض الفصائل المسلحة الفلسطينية على تصرفاتها اللامسؤولة في لبنان وخاصة في جبل عامل وزج نفسها في السياسة اللبنانية المتقلبة حيث أن معظم الناس ابتعدوا عن المنظمة وكرهوا القضية الفلسطينية نتيجة تصرفات المسلحين . مع العلم بأن المسؤولين الكبار الفلسطينيين يدركون أن الساسة اللبنانيين لا يفكرون إلا في مصالحهم الخاصة الضيقة .

* * *

استنكر الإمام الصدر في السرّ والعلن في المؤتمرات الصحفية والندوات وكافة المناسبات وتألم جداً من مواقف المرحوم كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي على إشعال نار الفتنة في بيروت والجبل وإضرامها كلما حاول الإمام الصدر إخمادها أو تخفيفها، وكان يقول الإمام إن السيد جنبلاط يستخدم بعض المنظمات الفلسطينية والأحزاب اللبنانية لتحقيق مآربه بواسطة الشباب من طوائف أخرى غير طائفته ويقاتل الآخرين بأموال وأسلحة وعناصر غيره.

* * *

قال الإمام الصدر أخبرني السيد كمال جنبلاط بأنه كان في الإمارات العربية المتحدة والتقي بالشيخ زايد آل نهيان وتحدث حول مشروع الليطاني.

قال الشيخ زايد مستفسراً لمن نعطي المال وتكلفة المشروع حتى نضمن أن الأموال تنفق على المشروع ولا تذهب سدىً؟

أجابه كمال جنبلاط إن خير أمين على المال والصرف هو الإمام موسى الصدر فلدى عودته إلى لبنان أخبر الإمام بذلك وطلب منه متابعة الموضوع.

* * *

سمعت الإمام الصدر يقول في شباب كشافة الرسالة الإسلامية إنني مهتم كثيراً بتربيتهم وسلوكهم لأنهم رجال الغد للطائفة لدى الدولة ولدى مؤسساتنا ولدى الحركة ولدى أفواج المقاومة اللبنانية أمل .

* * *

وجدت الإمام في ظهيرة يوم مسروراً جداً وكان سبب فرحه كما تبين بعد ذلك أن مشروعه المقاوم والجهادي يشتمل على اسم وعنوان للذراع العسكري لحركة المحرومين ويكون اختزاله شفاف يوحي بالمستقبل الواعد وهو (أمل) فإن هذه الكلمة المختزلة تتكون من ثلاثة أحرف وكل حرف هو بداية الكلمات الثلاثة للإسم (أفواج المقاومة اللبنانية) فالحرف الأول من مختزل من كلمة (أفواج) والثاني من (المقاومة) والثالث (اللبنانية) بالإضافة إلى أن (أمل) الكلمة المختزلة ذات مدلول يوحي إلى المستقبل الأفضل المأمول المرجو لدى جميع الناس .

في حين أن كلمة فتح اختصار لـ«حركة التحرير الفلسطينية» بعد قلب ترتيب محل الأحرف الأولى من كل كلمة ، حيث أن مقتضى ترتيب الحرف الأول من الكلمات الثلاثة هو (ح .ت .ف) وبالقلب بأن نجعل ما في الأخير من الأحرف أولاً والأول أخيراً يتحول ويصير (فتح) .

* * *

أخبرت الإمام بأن القوات الدولية عندما دخلت إلى جنوب لبنان للفصل بين الجيش اللبناني والسوري والمنظمات الفلسطينية المسلحة من جهة وبين إسرائيل عام ١٩٧٧ إستغل بعض ضعاف الإيمان الوضع الراهن وأتوا بخمور لبيعها على القوات الدولية والربح المالي منهم .

فرأيت الإمام وقد تغير لون وجهه وتألم قائلاً إن طهر تاريخ جبل عامل لا يتناسب مع عرض المنكرات والمحرمات على أرضه للبيع والشراء وسأتحدث مع المسؤولين في القوات الدولية والحكومة اللبنانية لمنع هذه الظاهرة التي لا تنسجم مع تاريخ وثقافة أهل جبل عامل .

* * *

قبل شهر رمضان عام ١٩٧٨ عندما كان الجيش الإيراني الشاهنشاهي مشاركاً في القوات الدولية مررت مع الوجيه المؤمن الحاج عباس قصير على حاجز للقوات الدولية ورأيت الجندي الإيراني يراقب السيارات الداخلة والخارجة من المناطق المتاخمة لإسرائيل وعندما عرف بأنني أتقن اللغة الفارسية قال لي إن شهر رمضان على الأبواب وأن مجموعة من الجنود الإيرانيين يصومون ويصلون في هذا الشهر الكريم وأن اللحوم التي تطبخ وتقدم لنا تستورد من إسرائيل فلا ندري ماذا نفعل؟ وطلب مني أن لا أخبر القيادة على طلبه .

فذهبت في اليوم التالي إلى بيروت وأخبرت الإمام الصدر بالنبأ فتألم جداً وتغير لون وجهه واحمرت عيناه نتيجة استهتار المسؤول الإيراني بالأحكام الشرعية تجاه المؤمنين فقال سماحته اذهب وتحدث مع رئيس المجموعة العسكرية الإيرانية فإن هيأوا اللحوم من لبنان فستنحلّ المشكلة وإن رفض فإن وافق المسؤول الإيراني أن يهيّأ المجلس الإسلامي الشيعي من لبنان اللحوم لخصوص من يصوم من الجنود في شهر رمضان فأمر حسن وإن لم يوافق فقد أدينا الواجب ولا نستطيع أن نفعل أكثر من ذلك .

عدت إلى الجنوب وذهبت في اليوم التالي إلى المجموعة العسكرية الإيرانية ودخلت على الرئيس والمسؤول وشرحت له أن اللحوم المستوردة من إسرائيل غير شرعية واللحوم التي تشترى من لبنان محللة وشرعية ولا يجوز إطعام الصائم في السحور والإفطار الطعام الحرام .

أجاب المسؤول الأول في المجموعة العسكرية الإيرانية من أين عرفت ذلك؟ ومن قال لك بأن اللحوم تستورد من إسرائيل؟ إلى آخر الأسئلة الأمنية والسياسية وعندما وصل الأمر إلى هذا الحد اختصرت الكلام وانسحبت من المجلس وأخبرت الإمام بكل ما جرى .

* * *

جاء الإمام الصدر كعادته يوم الجمعة إلى صور لأداء الصلاة مع الإخوة المؤمنين ولزيارة بلده وأصدقاءه ولتفقده المهنية العاملية وشباب الحركة، وبعد أداء الفريضتين الظهر والعصر والخطبة بينهما ذهبنا إلى المهنية وجلسنا في غرفة استقبال الدكتور مصطفى شمران وقال قبل ليلتين عشت مع أولادي وزوجتي تحت القصف الشديد فانتقلنا من الغرفة إلى تحت الدرج لأنه المكان الآمن في البيت ولم نجد شيئاً نأكله فأتينا بالخبز اليابس واكتفينا به في العشاء فإذا أمكن هيأ لنا يا دكتور شمران قدراً من الطحين لكي آخذه إلى البيت ولدى الحاجة تعمل لنا السيدة أم صدري منه خبزاً لسدّ الجوع والتقوّت به. فإنني لا أعرف إلى أين تأخذنا الحرب المستعرة في بيروت؟

* * *

ذهب عبد السلام جلود رئيس وزراء ليبيا إلى مصر في طريقه إلى لبنان لتفقد أسباب الحرب الدائرة في لبنان وإلتقى بأنور السادات رئيس الجمهورية في مصر العربية وإستفسر عن الدوافع والأسباب للفتنة القائمة في لبنان فأجاب أنور السادات إذا أردت أن تعرف الحقيقة فعليك بالإمام الصدر والتحدث معه فإنه الصادق المخلص الأمين.

قال الإمام الصدر إن المصريين أبلغوني بما جرى بين

جلود والسيد أنور السادات حتى أكون على أهبة الاستعداد للتحدث مع الليبيين بصورة منفصلة ودقيقة .

جاء جلود إلى لبنان ومكث فترة طويلة والتقى بالأطراف جميعاً ولم يطلب من سماحته الموعد للقاء به وأنهى زيارته للبنان وعاد إلى ليبيا من دون زيارة للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ومقابلة الإمام الصدر .

* * *

أمر سماحته الدكتور مصطفى شمران بتنظيم محاضرات سياسية ودينية لشباب الحركة في مؤسسة جبل عامل المهنية أسبوعياً لتثقيفهم ورفع مستواهم الديني والسياسي والاجتماعي فكانت المحاضرات الدينية في العقائد والفقه والتفسير من نصيبي وحصتي غالباً وأما المحاضرات السياسية فكانت على الدكتور مصطفى شمران أو الأستاذ علي عكوش أو الإمام الصدر أو شخص آخر وأما المحاضرات الأمنية والعسكرية فكانت على الأستاذ عادل عون أو الأستاذ يوسف حسين .

* * *

كان سماحة الإمام يتألم من أعماق قلبه لما أصاب جبل عامل من حالة اللاأمن والفوضى وعدم الاستقرار ومن

الاستهانة بالحرمات والكرامات أو الاعتداء عليها ومن السلاح اللامنضبط من قبل بعض الحركات الوطنية وبعض المنظمات الفلسطينية كما كانت تعيش هذه المنطقة من قبل الحكومة الإهمال والحرمان والفقر والتخلف حيث لا ماء ولا كهرباء ولا مدرسة ولا طرقات ولا هاتف بل قصف ودمار وأطماع من قبل العدو الإسرائيلي من دون أن توجد قوة لبنانية للتصدّي ودفع الظلم والحيلولة دون مواصلة التمدد والاحتلال الصهيوني على جبل عامل .

وهذا الفلتان والحرمان أديا إلى هجرة الجنوبي من بلده وحقله وأرضه وبيته إلى حزام البؤس في بيروت وإلى الجريمة والفساد والإنحراف[1] .

* * *

عشت أيام ١٩٧٧ و١٩٧٨ في صور والإمام الصدر

---

(١) سيدي ، كان جبل عامل يعيش بمثل ما عرفت وتألمت أكثر مما تألم الجنوبيون لأنك المسؤول الصادق الواعي الأمين على العباد والبلاد . ولكن هذا اليوم يعيش العامليون في عز وشرف وأمان ومجد بفضل التحرير والمقاومة الإسلامية بقيادة العلامة المجاهد السيد حسن نصرالله . كما تعيش المنطقة حالة النهضة العمرانية من الطرقات والمدارس والماء والكهربا ء والهاتف في ظل اهتمامات صديقك وأخيك دولة الرئيس نبيه بري رئيس حركة أمل .

في بيروت وبعض الحركات الوطنية والمنظمات الفلسطينية يرقون منبر الإمام الصدر في نادي الإمام الصادق عليه السلام ويتحدثون زوراً وبهتاناً ويكيلون التهم والافتراء على هذا الإنسان العظيم في حين أن جميع أصدقاء الإمام وأبنائه ومحبيه يعيشون حالة الفزع والخوف من القوى المهيمنة الحاكمة على صور وجبل عامل.

وكنت أعيش وحدي كممثل للإمام الصدر في مدينة صور وفي قرارة نفسي الخوف من الأجواء المعادية للإمام الصدر ونهجه وسياسته وكنت مرتبكاً ومحتاراً لا أعرف ماذا أفعل؟ وماذا أعمل؟

حتى أنه خطر لي في يوم من أيام الشدّة أن أتفاءل بالقرآن الكريم ـ رغم أن التفاؤل بالمصحف الشريف مكروه شرعاً ـ لكي أعرف ماذا يحصل؟ وكيف يكون المصير؟ ففتحت القرآن بعد الوضوء والطهارة والتوجه إلى القبلة وإذا بالآية الكريمة في أول الصفحة المباركة ﴿**وكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤمنِين**﴾ فهيمن علي الفرح والابتهاج وقلت في نفسي إذا كنا مؤمنين فسننتصر ونكون من الناجين والمفلحين وإن كنا على خطأ وباطل فسنستحق هذه المضايقات والشدة والخوف لأننا نتظاهر بالإيمان ولسنا من أهله.

ولم تنصرم إلا أيام قليلة وإذا بالإمام الصدر وسياسته

وخطه وشبابه وحركته وأمله يعودون إلى المسرح السياسي والاجتماعي ويلمعون على صعيد لبنان وساسته وحكومته .

* * *

كنت مع الإمام موسى الصدر وابن أخته السيد صادق الطباطبائي في سيارة الإمام عائدين إلى صور من مناسبة في أقصى بلاد الجنوب فمرت السيارة في طريق عام على طرفيه أشجار طويلة وكثيفة تلقى بظلالها على الشارع والمارة فقال الإمام ما أجمل هذا الطريق؟ وما أشبهه ببعض الطرق في ألمانيا؟

وفي أثناء الطريق تحدث الإمام عن مصطلح الديموقراطية والطبقة العمالية و . . فقلت للإمام لماذا لم نستبدل هذه المصطلحات الغربية بمصطلحات إسلامية مثل العدالة والحرية المسؤولة و . . فاستمر السيد صادق في الحديث غير آبه بما تحدثت مع الإمام فتوجه الإمام الصدر نحو ابن أخته طالباً منه السكوت والإصغاء مضيفاً أن ما يقوله السيد الغروي هو ما سمعه من ابن عمي السيد محمد باقر الصدر . فأمرني بمتابعة الحديث

وقلت للإمام إن رأي سيدنا الأستاذ هو أن الإسلام يملك مصطلحات مثل العدالة والمساواة والكرامة والحرية المسؤولة والتضامن الاجتماعي والتكافل الإجتماعي و . . فلا

نحتاج إلى استعمال المصطلحات الغربية المستوردة .

* * *

عندما ذهبت لأول مرة إلى الحج عن طريق البر من النجف الأشرف عام ١٩٧٢ حمّلني أستاذي المفدى الشهيد الصدر رسالة شفهية إلى ابن عمه الإمام الصدر الذي حج هو في نفس العام يطلب فيه التحدث مع السلطات السعودية لإعلام الحجاج في الطائرة عندما تقترب من الميقات لكي يحرم الحاج في الطائرة من النقطة المحاذية للميقات .

وعندما وصلت المدينة فتشت عن سماحة الإمام الصدر وبلغته الرسالة فاستحسنها وبلغها إلى المسؤولين .

وفي اليوم الثاني التقيت بالإمام الصدر فقال لي دعيت من قبل السلطات السعودية لزيارة الحرم المدني الشريف آخر الليل عندما يريدون أن يقفلوا أبواب المسجد النبوي الشريف فإن من عادتهم دعوة الضيوف الرسميين لزيارة الحرم النبوي الشريف لدى إقفال الحرم حتى يتمكن الضيوف من الزيارة والصلاة والدعاء بكل راحة ومن دون ازدحام .

فذهبت في الوقت المقرر مع الإمام الصدر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله فلم أجد في المسجد إلا القليل

جداً من الحجاج المدعوين من قبل السلطات الرسمية وعندما دخلنا على الحرم المنور اقترب مني الإمام وقال لي بصوت خافت تقترب من القبر الشريف وتدعو وتصلي ولكن لا تقبّل الضريح المبارك ولا تقترب منه كثيراً لأن الوهابيين يعتبرون التقبيل حرام والتوسل حرام ولا داعي لاستفزازهم وأخذ صورة مشوهة عنّا .

ورأيت في الحرم النبوي الشريف رجلاً مصرياً متبتلاً كان ضيفاً على السلطات السعودية اقترب من الإمام الصدر بعد أن فرغ من صلاته ودعاءه وتبتله وتعانق معه واحتفى به سماحته وبعد التوديع قال لي الإمام إنه فنان وممثل معروف مصري قد تاب وعاد إلى الرشد والصواب وجاء لأداء فريضة الحج .

وفي الظهر من يوم الجمعة أخذني الإمام معه لأداء صلاة الجمعة في الحرم النبوي الشريف بعد توجيه دعوة خاصة من المملكة للضيوف الرسميين مع شخص سعودي مرافق للإمام من قبل السلطات السعودية وكان من الخدمات التي تقدمها السلطة السعودية للضيوف الرسميين الكبار إرسال مرافق خاص للضيف طالما هو في المملكة وحجز مكان له في الصفوف الأولى من صلاة الجمعة في الحرم النبوي الشريف . فرافقت الإمام إلى الجامع النبوي بناءً على

رغبته وطلبه وبعد أداء الفريضة ضاع أو سرق حذاء الإمام فذهب المرافق فوراً وأتى بحذاء جديد للإمام مع اعتذار السلطات السعودية لما حصل وحدث .

* * *

عندما انتقل إلى رحمة الله الدكتور المجاهد علي شريعتي عام ١٩٧٧ في لندن جيء بجثمانه إلى سوريا لدفنه في المقبرة القريبة من السيدة زينب عليها السلام فذهب الإمام من بيروت إلى سوريا وشارك في التشييع وبعد مضي أربعين يوماً أراد السيد إقامة مهرجان كبير باسم أكثر من خمسة عشر حزباً سياسياً تحررياً في العالم في قاعة الأونيسكو في بيروت ولكن الرئيس شمعون كان ذلك اليوم وزيراً للثقافة وحال دون إقامة المهرجان في هذه القاعة التابعة للدولة وذلك بطلب من شاه إيران فنقل الإمام الاحتفال إلى قاعة المرحوم رشيد بيضون في الكلية العاملية في رأس النبع من بيروت وحضر حشد كبير لم يسبق له مثيل وفيهم السيد ياسر عرفات .

وبعد أن أتى دور الإمام لإلقاء كلمته في الحشد المهيب وقف على المنبر وقال مرتجلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير

خلقه، وخاتم رسله محمد، وعلى أنبياء الله المرسلين. وسلام الله على آل بيته وصحبه الطاهرين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إخواني العلماء، أخي إحسان، السيدة الجليلة حرم فقيدنا الكبير، أيها الإخوة والأخوات، السلام عليكم ورحمة الله.

لماذا نحتفل؟ لماذا نجتمع، فنقيم احتفالاً يضم رجالاً ونساءً، مناضلين ومناضلات، يضم رجال دين يضم رجال فكر وها أنا أرى أمامي، عميد كلية الحقوق، الدكتور محمد فرحات، والأخ الدكتور منير شفيق، وقادة الفكر الملتزم؟

لماذا نجتمع فنحتفل؟ ما لنا وللدكتور شريعتي؟ وماله ومالنا؟ في الواقع، إن إنساننا الطامح، عندما ينظر في الأفق، فيرى أن وضعه وحياته ومجتمعه لا يرضي طموحه، يتطلع إلى الأفق ويعزم على التغيير. هذا الإنسان الذي يقول عنه الحديث الشريف: «أكثر الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل». تعبيراً عن معاناة الذين يريدون أن يغيروا مجتمعهم، ولا يكفيهم ما هم فيه من الوضع المهترئ. فيعانون من المستفيدين في المجتمع أكثر وأكثر بنسبة طموحهم، وبعد تطلعهم.

نحن هنا ننظر إلى الأفق لكي نرى وضعنا اليوم، في لبنان، وفي المنطقة، وفي العالم، فلا نجد في هذا اليوم،

كما لم نجد أمس، ما يرضينا، ما يرضي طموحنا، ما يقنعنا. وهنا يختلف الناس فئات :

فئة تستسلم للوضع الحاضر، تذوب فيه، تسايره، تجامله، تفلسفه، تتعاون معه. هؤلاء الضعاف لسنا منهم، ولا يشرفنا أن نلتقي معهم.

فئة أخرى، تفوق الفئة الأولى، لا تقبل بما يجري في المجتمع. ولكنها تتهرب من المواجهة، تهاجر، تسافر، تختار مجتمعاً آخراً، تختار أميركا، أوروبا، آسيا، هنا وهناك. تفتش هذه الفئة عن الملجأ، عن المهجر. هؤلاء أقوى من الفئة الأولى ولكننا لا نقبل سيرتهم، ولا نكتفي بموقفهم.

أما الفئة الثالثة هم أقوى من الفئة الأولى المستسلمة.

أما نحن لم نكن لنقبل أن نكون من الفئة التي تستسلم للوضع الحاضر. ولا من الفئة التي تهرب ولا تواجه. والدليل على ذلك ما أنتم فيه، فقد وجدتم أنفسكم في مأساة، فُقد قائد فكري كبير، غريب، يعتصركم الحزن والألم، فإذا بكم يتحول لقاؤكم إلى مهرجان فرح وسرور. كما يحضر قائد الثورة ورمز الشعلة المتقدة الأخ أبو عمار.

وهكذا ترفضون أن يتغلب الموت عليكم، ويخيم الحزن على قلوبكم، ترفضون الاستسلام، وتفتشون لتحويل

هذا الحزن إلى البشائر . والخسارة إلى الربح ، والوجوم إلى التصفيق .

إذاً لسنا من الفئة المستسلمة للوضع الحاضر ، ولا من الفئة التي تغيب فلا تواجه الوضع الحاضر .

هناك فئة ثالثة ، ترى أجواء بلدتها ، ومنطقتها ، وبيتها لا ترضيها ، فتفتش عن التغيير . وهناك فئة من هؤلاء الراغبين في التغيير ، من الساعين إلى التغيير ، من الذين لا يستسلمون إلى الوضع الحاضر ، فئة منهم تواجه فتغير . ولكنها تستعمل سلاح الغير . تختار سلاح الأحزاب ، بعض الأحزاب التي لا علاقة لها بأرضنا . هذه غير الفئة الأولى والثانية . فالذي يسعى في سبيل التغيير ، ولكن يختار خطاً غير النهج المتفق عليه ، يكون كما يقول الإمام علي (ع) «ليس الذي طلب الحق فأخطأه ، كمن طلب الباطل فأصاب» .

نحن لسنا معهم ، وإن كنا نحترم شأنهم ، ونعتبرهم شباناً طامحين ، أرادوا التغيير فأخطأوا في الوسيلة .

نحن هنا ، وجدنا أن أفقنا لا يرضينا ، مجتمعنا الداخلي ، عالمنا العربي ، موقعنا في العالم الثالث لا يرضي طموحنا ، لا ينسجم مع إيماننا ، لا يتفق مع مبادئنا . وأول مظاهر إيماننا ، الإيمان بالله اللامتناهي . فطموحنا لا متناه ،

وإيماننا بالحق والعدل لامتناه إذاً مهما عظمت المصاعب في الداخل والخارج ، لا يمكننا أن نقبل . نحن نشاهد عالمنا العربي ، ويعز علي أن أقول ، إن عالمنا العربي ، وما نشاهد في الأجواء ، أمر لا يشرفنا . فنحن نشعر بالذل والهوان عندما تتحكم فئة إرهابية في حياتنا ، وفي حياة منطقتنا . عندما يريد أن يتحكم إرهابي فيحول إرهابه إلى قضية ، ويحول القضية المقدسة إلى الإرهاب ، ويجد في العالم مسامع تسمع ، وقلوباً تقتنع ، نحن نشعر بالألم . نحن عندما نحاسب ونحتسب ، ونفكر في عالمنا العربي فنرى أن وزير خارجية أميركا يأتي ويذهب ، ويقابل ويلاقي ، ويفشل . ثم يحاول ويطلب المزيد من التنازلات ، أي تنازلات يمكن أن يقدمها العالم العربي اليوم ، أكثر مما حصل؟ ومع ذلك كله ، ومع إبراز النية الحسنة أمام العالم ، ومع إبراز الموقع الإيجابي اقتصادياً ، وبترولياً وسياسياً ، وحربياً ، مع ذلك تشعر بأن العدو ، المتبختر ، المتكبر ، يستعلي علينا ، ويستعلي على قادتنا ، وزعمائنا ، ورجالنا ، وممثلينا .

نشعر بالألم ، فنرفض هذا الواقع بكل قوة . ولا يمكن أن نقبل بهذا الواقع ، حالاً ومستقبلاً ، إن تمكنا من التغيير فوراً ، أو لم نتمكن ، المهم أن نضع الخطوة الأولى في سبيل الألف ميل ، وفي طريق الألف ميل للتغيير . إذاً الجو العربي ، لا يرضينا ، ولا ينسجم مع طموحاتنا ، وتضحياتنا ،

وتاريخنا ، فنريد التغيير .

جونا الداخلي ، مرت علينا ، هذه الفترة الطويلة ، بعد التذابح والتقاتل ، بعد الحرب القذرة ، التي لا انتصار فيها لأحد ، بعد المعركة التي فرضت علينا دون سبب ، ودون نتيجة ودون نجاح ، ولا تزال تجد فئات هنا وهناك ، تحاول الاستسلام أو تحاول الاستمرار في التشنج ، وكأن التجربة المريرة المزعجة لا تكفيهم . جونا الداخلي نشعر بأنه لا يرضينا ، ولا يقنعنا ولا يشرفنا القبول به .

جونا العالمي ، في نفس المستوى ، في كل منطقة ، في بيوتنا ، في مناطقنا ، في حركاتنا ، في نشاطاتنا ، في تجمعنا ، نجد النقص هنا وهناك . فهل نستسلم؟ كلا ! هل نهاجر؟ كلا ! هل نختار إيديولوجية الآخرين؟ هل نعترف بإفلاسنا؟ كلا . .

لذلك نفتش في الأفق ، لكي نجد ثورة من طبيعة أرضنا وسمائنا ، ثورة فكرية ترتبط بقلوبنا ، وتراثنا وإيماننا . فإذا اخترنا واحترمنا علي شريعتي ، فلأنه يفلسف ، ويبرر ، ويشرح ، ويلقي أضواء على السلاح الفكري الذي امتشقته هذه الأمة في تاريخها المجيد ، بقوة وحزم ، وتمكنت أن تغير به جاهليتها بالنور ، وكفرها بالإيمان ، وتشتتها بالتوحيد ، وذلها بالقوة ، وشقاءها بالرحمة ، وتخلفها بالسعي لتقدم

الآخرين . هذه التجربة الناجحة ، التي تبرز من خلال كلمات علي شريعتي ورفاقه ، ثروة فكرية كبرى نحترمها . كما نحترم «فتح» وثورة فتح . لماذا؟ لا لمجرد أنها ثورة حق . ولا لمجرد أنها تسعى في سبيل تحرير الأرض المقدسة فحسب ، بل أكثر من ذلك ، نحن نحترم فتح لأنها ثورة أصيلة ، ليست مستوردة ولا مقتبسة ولا محاكاة . ثورة من صميم هذه الأرض ، ومن وحي هذه السماء ، من هذه المنطقة المباركة . ثورة هي في الصراط المستقيم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين . هذا ما نقر ونعتز ، ولذلك بها نتمسك .

ولذلك نقف ، ونعتز ونحترم هذه المناسبة الكريمة ، التي يكرم فيها علي شريعتي ، ومن خلال علي شريعتي يكرم الفكر الأصيل المؤمن ، الفكر الذي يتمكن من استقطاب العالم ، كل العالم ، ومن تحريك الطاقات المجمدة ، الموجودة في المعابد والمحلات والبيوت . تلك الطاقات الهائلة ، المكدسة ، المهملة ، التي يمكن أن تعمل فعلها في تغيير مجتمعنا ، عندما تتحول إلى حركة مؤمنة ، مناضلة لتغيير المجتمع .

نحن نعتز ، ونعترف . وها نحن نجتمع لنكرم هذا الفكر الأصيل . لنكرم الفئة الرابعة غير المستسلمة ، ولا المهاجرة ، ولا المقتبسة ، بل أصحاب الثورة الأصيلة ، الذين

يريدون أن يغيروا مجتمعهم . أخذنا من علي شريعتي في حياته ، وها نحن نأخذ من علي شريعتي في وفاته . وفاته هي التي تجمعنا .

الثورات المؤمنة ، المناضلة ، الأصيلة ، من فلسطين إلى لبنان ، إلى أقطار آسيا وإفريقيا إلى إريتريا ، إلى زنجبار ، إلى زيمبابوي ، إلى الفيليبين ، إلى إيران . . . إلى كل مكان ، هذه الثورات الأصيلة التي تشكل الفئة الرابعة ، أو فلنسمه العالم الرابع . كانوا يسموننا العالم الثالث ، ونحن بموقعنا الطبيعي من العالم الثالث ، لأننا لا نخضع للجبارين ، ولا نقر بتقسيم العالم بين القوتين الأعظم ، فكنا في تصنيف جغرافي مع العالم الثالث . فلنقل العالم الثالث فئتان : فئة تعترف بالإفلاس فتقتبس فكرة وأيديولوجية من هنا وهناك ، وفئة ترفض أن تعترف بالإفلاس وتعتمد الفكر الأصيل ، والإيديولوجية الأصيلة ، من أرضها وسمائها وتتقدم فيها .

إذن ! أخذنا من الدكتور شريعتي ، في وفاته ، لقاء هذه الحركات المناضلة المؤمنة ، فشعرنا بقوتنا في عصر الغربة . وشعرنا بقوتنا في وقت الضعف . وها نحن نلتف حول بعض ، كرموز تمثل عالماً واسعاً ، مرتبطاً بالجغرافيا ، وبالتاريخ الناجح . بل مرتبطاً بالسماء والأرض ، بقلب ملتق مع الإيمان بالله ، الذي هو ينبوع الفكر ، وينبوع النضال . نشعر بقوة بعد جرح ، وبعد محنة ، وبعد ضعف . نشعر بقوة وأصالة

عندما نلتقي في هذا اللقاء المبارك . إذن ! لشريعتي فضله في حياته وله فضله في وفاته أيضاً .

أيها الإخوة الأعزاء

نحن في مجتمعنا ، نستعرض الوضع العام ، نجد أن المؤمنين بالله ، نجد أن الأبطال المناضلين ، يجب أن يلتقوا ، ويتعاونوا ، ويخلصوا ، ويعملوا ، ويختاروا ، وإلا فإنهم محاربون في عقر دارهم . وها نحن نشاهد في لبنان ، بعد المحنة الكبرى ، التي عانيناها خلال السنتين الماضيتين ، والتي وقفنا فيها موقف الدفاع عن الوطن ، عن وحدة الوطن ، عن عروبة الوطن ، عن قضية الوطن . عن قضية فلسطين في هذا الوطن .

عندما وقفنا هذا الموقف ، دون أن نريد علواً في الأرض ولا فساداً ، مددنا يدنا للتعاون ، ولا نزال نمد اليد للتعاون . ومع ذلك ، نشاهد أن العالم يستضعفنا ، وينقل خلافاته إلينا ، ويحاول أن يشتت شملنا ويفرق جمعنا ، ويضعف قوتنا ، ويدق الإسفين بين صفوفنا .

أيها الإخوة الأعزاء

أكثر ما يمكن أن يضعف به الإنسان والمؤسسة والحركة ، أن تشعر بالتشتت ، والتمزق . وحدة صفنا ، تكوين

جبهتنا، لقائنا، أتصور أن لا بديل عنه في موقعنا. ألا يكفينا ما وصلنا إليه في هذه الفترة؟ أما سمعتم أيها الإخوة الأكارم، أن رئيس وزراء إسرائيل يقول أرجو الانتباه أن السلاح الإسرائيلي هو الذي حمى المسيحيين في جنوب لبنان، ومنع إبادتهم. هل نقبل نحن، في لبنان مسلمين ومسيحيين، بهذا الطرح؟ هل هذا صحيح؟ نحن خلال ألف سنة، أو أكثر، نتعايش، نتآخى، نتعاون، نتداول، ننام ونأكل في بيوت بعضنا البعض، وفي قرى بعض، مشتركين متعاونين. أين كانت إسرائيل قبل قرن أو أكثر؟ نحن كنا إخوة. سلاح إسرائيل هو الذي فرقنا وليس هو الذي دافع عنا، أو دافع عن المسيحيين. بالعكس كانوا يراقبون الأحداث حتى إذا هدأت، يبعثون عصابات وأسلحة لإعادة التفجير في بلادنا.

إذا كانت ذاكرة بعض الناس ضعيفة، فهناك من يذكر. اسألوا صاحب الغبطة، البطريرك خريش، الرجل الطاهر الصادق الأمين. عندما كان قساً في يافا وعكا وحيفا، سيطرت إسرائيل وتأسست دولة العصابات هناك، في البداية، فرقت بين المسلمين والمسيحيين، وقالوا للمسيحيين لا علاقة لنا بكم ولا ضير من قبلنا عليكم. نحن نخاصم المسلمين حتى طردوا المسلمين. وبعد ذلك جاؤوا إلى المسيحيين، ففرقوا بين الموارنة والكاثوليك والروم،

ثم فرقوا بين فئاتهم ثم سبوا جميعاً وأخرجوا جميعاً . هذا الذي سمعته مرة ومرتين وثلاث من البطريرك .

على من يضحك عدونا رئيس وزراء إسرائيل؟ من الذي خلق المشكلة الطائفية في لبنان؟ نحن كنا نتعايش . نحن كنا منذ ثلاث سنوات ، بالضبط في وقت يشبه هذا الوقت ، كنت أنا ألقي عظة الصيام في كنيسة الكبوشيين . وكاد أن يلقي خطبة الجمعة رجل دين مسيحي في بعض المؤسسات . من الذي وصل في تعايشه وتعاونه إلى ما وصل إليه اللبنانيون ولا يزالون؟ من الذي خلق الطائفية غير العدو الإسرائيلي؟ هل نحن نقبل؟ وهل نلبي؟ هل نسكت؟ كلا! علينا أن نرد على هذه المزاعم . فنضع أيدينا بعضاً ببعض ، لبنانيين ، وفلسطينيين ، وسوريين ، والعرب . نقف لمواجهة هذه المرحلة الخطرة ، التي تعادل في سمومها تاريخ اليهود المظلم . وتفوق في خطورتها جهنم ، التي تعيش في قلب «بيغن» ورفاق «بيغن» في إسرائيل . إلى أين وصلنا؟ هل لا تزال فئات منا ، ولأسباب خاصة ولمصالح سياسية ، تحاول أن تعتدي؟ وأن تعض على الأصابع؟ وأن تأخذ من هنا وهناك؟ كلا! لقد آن الأوان لأن نتفق ، لأن نلتقي ، ولأن نؤجل خلافاتنا ، ولأن نعالجها بالحوار المطلوب حتى نتجاوز ونتخطى هذه المرحلة الخطرة .

ماذا يريد بعض أشقائنا منا؟ عندما تتجاوزهم مشاكلهم

فـينقلون هذه المشـاكل إلى جنوبنا ، إلى مناطق أخـرى ، فـيتصـرفـون ، ويخلقـون الصـعـوبات والمشـاكل للمقـاومـة الفلسطينية وللبنان . وقد وصلنا أكثر من كل ذلك . . . إلى أن بعض الدول الشرقية أيضاً استضعفتنا وبدأت تلعب في أمعائنا . ففي كل يوم نسمع إماماً ومؤسسة . وفي كل يوم نرى أن هناك زعـماً في التعـاون والمساعـدة . وفي كل يوم نسمع أنـهم يريدون خيراً لـلشيعة ، لو أرادوا خيراً للشيعة لما اعتقلوا الطالقاني . ولو أرادوا خيراً لـلشيعة لما اعتقلوا كبار قادة الفكر في إيران . إن المخابرات الإيرانية هي التي تضطهد الشـيعـة ، وتمزق الشـيعـة وتفـرق صفـوفهـا ، وتخلق منهم مـسـجـونين . إنهـا تمدّ يدها الخطرة هنا ، لكي تمزق جسـد الشيعة وتخلق منا ما لا نقبله . نحن لا نقبل بهذا الشيء . هل نحن نسكت ونقبل بما يمزقنا ويمزق أحشـاءنا؟ كلا! لا نقبل بذلك . صحيح أننا نتعرض للصعوبات ، والاعتداءات وللمشـاكل ، ولكننا أيضـاً لا نزال نملك دمـاً يدافع ، وهمـة ترفض ، وقـولاً يقول : لا . كـيف كـان تاريخنا؟ كـيف كـان قادتنا؟ كيف كـان رجالنا؟ أولئك الذين كـانوا وحدهم في التاريخ؟ وكانوا يقولون لإمبراطوريات العالم : لا! لا!

نحن لا نقـبـل هذا الشيء . نحن نشـاهد كـل يوم ، وأنتم تشـاهدون . القـضـيـة لا تحـتـاج إلى السكوت وإلى البـحث . تشـاهدون فئات هنا وهناك . مشـايخ هنا ، وإماماً

هناك . جبهة هنا ، وتنظيمات هناك ، تتحول وتشجع ، وتضع كل ثقلها وهمها ، لتمزيق صف الشيعة . ماذا يريدون منا؟ نحن أخذنا طريقنا : طريق النضال . طريق علي والحسين . طريق الحق . طريق الاستقرار . طريق رفض الطغيان ، طريق قوله : لا .

بلد الوعي والنضال ، بلد النموذج الرسالي في العالم ، بلد الوحدة الوطنية ، بلد الصراع في سبيل الأفضل ، بلد الهجرة المناضلة ، بلد المنطلق لأقدس ثورة . . ثورة فلسطين . لا يمكن أن نقبل أن رجالاً صغاراً ، لا يملكون إلا ثمن البترول ، ولا يملكون إلا اللؤم والدس والفتنة ، يدخلون إلى بيوتنا ، وفي صفوفنا لكي يمزقونا ، ويخلقوا منا محاور وفئات هنا وهناك . شعبنا مطلع على ذلك ، وطائفتنا مطلعة على ذلك . وطائفتنا شاهدت أياماً كانوا يتهمون علياً بالغيبة ، ويوماً كانوا يتهمون علياً بالمرح ، ويوماً كانوا يتهمون الحسين بالخروج على إمام زمانه ، ويوماً كانوا يضللون هنا وهناك .

لو لم يكن من أية ميزة ! ميزة النضال تقترب إلى ميزة الإدراك . ألسنا قوم الاجتهاد نحن؟ يعني إدراك الوضع الحاضر ، واكتشاف الوضع الحاضر والعمل ! هذا هو الأساس .

لا! لا يمكن أن يؤثر فينا سهمهم، وأن تمر فينا مؤامراتهم. نحن لهم بالمرصاد، فليذهب العملاء والمأجورون، ولو لبسوا لفات. فليذهب العملاء والمأجورون ولو سموا أنفسهم أئمة. فليذهب الصغار والأقزام إلى جهنم. جهنم المال، جهنم الفساد، جهنم الميوعة. فليعلم الناس هذا! أصحاب علي والحسين، أنهم لو كانوا يهتمون بالشيعة والتشيع، لو كانوا يهتمون برجال الدين والعلماء، لو كانوا يهتمون بالعلم والفقه والفضيلة، لما أدخلوا مئات الألوف في سجونهم. نحن نرفض هذا. وهذا رفض جديد أمامنا.

أخواني الأعزاء!

نكرم بأشرف صورة فقيدنا الكبير الدكتور شريعتي. ولا شك أننا، في هذا المكان، عندما نلتقي بالشعلة المتقدة، كما قلنا، نشعر أن في هذا عزاءً لأهله، وعزاءً للشبيبة المؤمنة التي شعرت بالحرقة الكبرى في وفاة فقيدنا الراحل. كما أن ذلك عطاء آخر منه في يومنا العصيب. فلنلتق! أيها الذين يرفضون الوضع الحاضر ولا يهاجرون، والذين لا يقتبسون سلاماً من الآخرين. فلنقف، ونلتقي، ونغير حاضرنا اللبناني والعربي، والعالمي، بالحكمة والوعي، وعدم السماح للأيادي الخبيثة أن تلعب في أمعائنا، ولنضع

كلبنانيين أيدينا بعضاً مع بعض . ولنضع كعرب ، يدنا في أيدي بعضنا ، حتى نضع حداً للكبرياء الذي نعانيه والذي نحس به ، والذي نقرف منه ، ونشعر بأنه لا يتناسب مع كرامتنا ، وكرامة تاريخنا . فيداً بيد ! ووجهاً إلى جانب وجه ! وعقلاً إلى جانب عقل ! وقلباً إلى جانب قلب ، متصلاً بواسطة الإيمان إلى ينبوع العقل والفكر والعلم ، إلى الله سبحانه وتعالى ، فإلى الله(١) .

والسلام عليكم

* * *

رأيت الإمام الصدر قبل الظهر من يوم الجمعة ٢٨/ ٥/ ١٩٧٦ مبتهجاً ومسروراً عند جامع البلد لأداء فريضتي الظهر والعصر وقال لي جئت هذا اليوم إلى صور للحضور في المؤتمر الأول لحركة المحرومين المنعقد في المهنية العاملية وكان فرحاً على هذا الإنجاز العظيم من تأسيس المشروع السياسي والثقافي والاجتماعي للطائفة وقد حصل بعض الالتباس فلم أتمكن من الحضور .

وسمعت أنه حصلت مشادة كلامية بين المرحوم القاضي العلامة السيد فيصل الأمين وسماحة الإمام الصدر

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ج٨ ص٣٥٤ و٣٦٣ .

حيث تحدث الإمام عن أن الحركة قائمة على أسس الإسلام فقال السيد فيصل أي إسلام هذا أجاب الإمام الإسلام الذي يفهمه ويراه الصدر أي الإسلام الذي يفهمه العالم الواعي الرشيد المستند على الأصالة والحداثة والثقافات الواسعة .

* * *

كان سماحته يهتم بالوحدة الوطنية والتعايش السني ـ الشيعي والإسلامي ـ المسيحي كما كان يهتم كثيراً بالتعايش الشيعي الفلسطيني حيث أن عدداً كبيراً من مخيم اللاجئين الفلسطينيين تكون في الوسط الشيعي ولكن الجهل والتخلف والعملاء قد يسببوا مشكلة مستعصية بين الفلسطينيين والمسلمين الشيعة فكان سماحته يقول وبصوت مرتفع وعلى المنابر ورؤوس الأشهاد أيها الشيعي إذا ضربك الفلسطيني على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر وكان يقول لا أسمح للتاريخ أبداً أن يكتب ويسجل أن الشيعة أساؤوا إلى الفلسطينيين .

* * *

زرت الإمام الصدر في بيت المرحوم المحامي أحمد القبيسي في شارع فردان من بيروت بعد أن منعته بعض الحركات الوطنية وبعض المنظمات الفلسطينية من زيارة بلده

صور وأبنائه وإخوانه وأهله في جبل عامل وبعد إقامته لمهرجان كبير حاشد بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الدكتور علي شريعتي وخطبته الواعية الداعمة للثورة الفلسطينية وبعد أن كتبت الجرائد على صفحاتها الأولى أن الإمام الصدر قال إما في مؤتمر صحفي أو في محاضرة بجبّتي وعمامتي أدافع عن القدس والثورة الفلسطينية قلت له أيها الإمام إن أصدقاءك ومحبيك يقولون إن عمامتك وجبتك ليست لشخصك وإنما هي للطائفة وهم لا يوافقون على ذلك وانظر كيف يكافؤك هؤلاء الذين تدافع عنهم ليلاً ونهاراً في المؤتمرات المحلية والمحافل الدولية .

استمع إلى حديثي ولم يجب أو يعقب عليه أبداً .

* * *

من شدة القتال والحرب والقصف المتبادل في بيروت ومنع بعض الحركات الوطنية والمنظمات الفلسطينية من مجيء الإمام الصدر إلى مدينة صور التجأ سماحته إلى فندق آلويت قرب مدينة بعلبك واستقر هناك لبعض الأيام فقصدته مع الحاج إسماعيل بحسون وزوجته زينب بنت الحاج إبراهيم عقيل عن طريق جزين وبتنا ليلة واحدة في الطريق ثم وصلنا في الصباح الباكر إلى الفندق وتشرفت بزيارته وقدمت له تقريراً عن مدينة صور وجوارها ورأيت

الإمام في حالة امتعاض وغضب لما وصلت إليه الحالة العامة في بيروت والجنوب ولموقف الجماعات التي دافع الإمام طيلة حياته عنهم وضحى في سبيل قضيتهم المقدسة .

قال لي الإمام إبحث عن الدكتور مصطفى شمران وأخبره بأنني أريد أن أكلفه بعمل فذهبت إلى الغرف باحثاً عنه ولم أجده فعدت إلى الإمام وأخبرته بعدم وجوده فقال سماحته اذهب وفتش عنه في القاعات العامة فإنه ينام ويستريح على الكراسي والمقاعد دون الغرف والأسرة فذهبت ووجدته نائماً من التعب والإرهاق الشديد على كرسي طويل فأيقظته وأتيت به إلى الإمام الصدر ، وكلفه بخطة مفصلة لمساعدة أهل الجنوب والعمل المستقبلي لشبابه في حركة أمل وتوليت بعض الجوانب وودعت الإمام وعدت إلى مدينة صور .

* * *

قال الإمام الصدر أخبرني بعض المسؤولين الكبار في منظمة التحرير الفلسطينية (فتح) بأننا وجدنا شباب الشيعة يقتحمون القتال وساحة المعركة بكل بسالة وشجاعة ومن دون خوف وفزع فتناولنا هذه الظاهرة ودرسناها بعناية فائقة وانتهينا إلى أن شباب الشيعة يسمعون تضحية إمامهم الحسين السبط سيد الشهداء عليه السلام في كل أسبوع في مناسبات

التأبين وفي أيام عاشوراء والمجالس الحسينية التي تقام هنا وهناك وعاشوا على هذه السيرة الفدائية من يوم عاشوراء الحسين عليه السلام إلى يومنا هذا طيلة أربعة عشر قرناً . فحصلوا على الشجاعة والإقدام والتضحية في حين أن غيره لا يمتلك هذه العقيدة والمُثل فتكون جرأتهم ومعنوياتهم القتالية مشوبة بالخوف والفزع .

* * *

بعد تهجير بعض المنظمات المسلّحة المسيحية للشيعة في النبعة عام ١٩٧٦ وإخراجهم من بيوتهم ومحلاتهم وانعكاس هذا النبأ في العالم بواسطة الإذاعات والجرائد بعثت رسالة مفصلة إلى أستاذي آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر وتحدثت عن أوضاع المسلمين الشيعة في النبعة والدكوانة السيئة جداً من الناحية الاقتصادية فبعث أستاذنا المفدى خمس وعشرين ألف دينار وقال تعطي لكل من الإمام الصدر والسيد هاشم معروف والشيخ محمد مهدي شمس الدين و . . . و . . . خمسة آلاف دينار للتوزيع على الفقراء المهجرين من بيوتهم فذهبت إلى كل واحد من العلماء المذكورين وقدمت المبلغ باسم سيدي الأستاذ ومعتذراً على قلته .

وعندما جئت إلى الإمام الصدر وقدمت له المبلغ

المذكور وأخبرته بمساعدته للعلماء الآخرين بنفس المبلغ صار مبتهجاً ومسروراً لما كان يكنّ لسيدنا الأستاذ الاحترام الفائق ويحب له التفاعل مع أحداث العالم الإسلامي .

* * *

كان سماحة الإمام في خطبه في المساجد يكثر من تنبيه المؤمنين بأن السلاح زينة الرجال كما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿خُذُوا زِينَتَكُم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وكان يقول : أيها الجنوبيون بيعوا مَا عندكمَ من الأثاث الَكمالية واقتنوا بها سلاحاً .

وكان يقول : كان في بيوت أجدادنا السابقين سيفاً معلّقاً على الجدار ويعدّون أنفسهم للالتحاق بالإمام المهدي المنتظر للجهاد معه وتطهير الأرض من الأشرار والفساق .

وفي هذا اليوم في لبنان نحتاج إلى السلاح للدفاع عن كرامتنا وهويتنا وشرفنا وتاريخنا وحضارتنا وثقافتنا وأرضنا وعرضنا وأموالنا تجاه إسرائيل التي تطمع في بلادنا وأرضنا ومائنا وتريد أن تسلخنا عن هويتنا .

* * *

قاد الإمام الصدر السياسيين المسلمين الشيعة فكان ينطلق في مسيرته السياسية ويتخذ القرارات ويتقدم

والسياسيون الموالون أو المعارضون يمشون من خلفه أو يتموضعون في مواقف انفعالية فكانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الطليعة والآخرون يسيرون من ورائها .

في حين أن عدداً كبيراً من علمائنا في لبنان رحمهم الله إما عاشوا على جهة ثانية من السياسيين ومعارضين لهم ولم يقوموا بعمل اجتماعي كبير أو اتبعوا وانقادوا السياسيين وسكتوا على أعمالهم وصدقوهم على انحرافهم وفسادهم .

* * *

زار الإمام عام ١٩٧٢ بعد الانتهاء من مناسك الحج الإمارات العربية المتحدة والتقى بالشيخ زايد في العاصمة أبو ظبي ثم تمنى المرحوم الشيخ شخبوط شقيق الأمير الشيخ زايد على الإمام الصدر اللقاء به في مدينة العين الواقعة على مقربة من الحدود البرية لسلطنة عُمان فقام الإمام بزيارة لمنطقة العين والتقى بالشيخ شخبوط وفي نهاية الزيارة مدّ الشيخ شخبوط يده إلى جيبه وأخرج كمية من النقود وقدم لسماحة الإمام وقال هذا ثمن الغداء الذي أحب أن تتغدوا به على حسابي .

يقول الإمام استغربت هذا التصرف ولكن الأصدقاء من أهل أبو ظبي قالوا هذه هي عادة الشيخ شخبوط وهذه

طريقته في تكريم الضيوف وحسن ضيافته لهم .

* * *

كان الإمام يكرر في خطبه ومحاضراته وجلساته أن الساكت عن الحق شيطان أخرس .

* * *

كان الإمام الصدر في محاضراته وخطبه يقول إن الإسلام جعل الشارع والسوق والمكتب والمدرسة والمطالبة بالعدل والدفاع عن المحروم ومحاربة الظلم والتعاون مع المظلوم والعمل السياسي لخير الناس وحمل السلاح لصون الأرض وكرامة الأوطان و . . من أفضل العبادة والطاعة لله سبحانه وأفضل مكان لمحاربة الشيطان وأكرم زمان لمقاتلته فكل مكان وزمان فيه دعوة إلى الخير ومحاربة للظلم والفساد فهو مسجد ومحراب وطاعة لله عز وجل .

* * *

كان يفسّر قوله سبحانه ﴿**يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمٰوات وَمَا فِي الأرض**﴾ بأن هذا هو تسبيح تكويني طبيعي حيث تدل الإتقان في الخلق من الدقة في النظم والحكمة والمنفعة على التسبيح وتنزه الله سبحانه الخالق من الجهل والعجز

والبخل والصفات التي لا تليق بساحته عز وجل .

* * *

اتخذ جمع من العلماء في لبنان ـ مع الأسف ـ موقفاً معادياً للإمام الصدر . واتخذ جمع آخر موقفاً حذراً ومتحفظاً من سماحته ولكن الإمام الصدر كان يحترم الجميع ويقدرهم ويستقبلهم بالأحضان ولم يسمح لأحد من أصدقاءه أو شبابه أن يواجهو هؤلاء العلماء الإساءة لهم أو التقليل من إحترامهم .

قيل[1] دخل الإمام في ليلة من ليالي العشر الأول من المحرم على حسينية حارة صيدا القديمة ووجد المقدس الحجة الشيخ محمد جواد مغنية يتحدث للناس على المنبر وكان قسم من كلامه مناقشة أعمال الإمام الصدر وتصرفاته وإبداء الملاحظات عليه .

ولدى دخول الإمام على الاحتفال إستمر الشيخ الجليل في الموضوع نفسه أمام الإمام الصدر من الإنتقاد ثم أنهى كلامه وعندما نزل المقدس الشيخ مغنية من المنبر وأراد الجلوس على المقعد تقدم الإمام الصدر وتلقاه بالأحضان

---

(١) هذه القضية الوحيدة التي لم أكن حاضراً لديها وذكرتها في الكتاب لما شاهدت من الإمام نظيراتها كثيراً .

بكل رحابة وحفاوة أمام أعين الناس .

نقل عن المقدس الشيخ مغنية بأن موسى الصدر قد قتلني في تلك الليلة بترحابه وأخلاقه الواسع العظيم أمام الناس بعدما سمع مني الكلمات اللاذعة على رؤوس الأشهاد .

* * *

الطابع العام لمحاضرات الإمام الصدر وخطبه وندواته في العقد الأول من حياته في لبنان (١٩٥٩ ـ ١٩٧٠) المفاهيم الدينية والقضايا الثقافية والاجتماعية والحضارية وحرمان الطائفة الموالين لمذهب أهل البيت عليهم السلام (المسلمون الشيعة) من حقوقهم ووظائفهم ومالهم وما عليهم في النظام الطائفي اللبناني ولم يتحدث كثيراً في القضايا السياسية .

في حين تطرق سماحته في العقد الثاني (١٩٧٠ - ١٩٧٩) من حياته واستقراره ونشاطه في لبنان إلى القضايا السياسية فخطبه وأحاديثه ومؤتمراته الصحفية ومحاضراته في المسجد والحسينيات وكافة المناسبات يعتمد على السياسة والدفاع عن جنوب لبنان والقضية الفلسطينية والانتقاد لممارسات بعض الأحزاب الوطنية وبعض المنظمات الفلسطينية .

لقد عثرت على هذه الخطب القليلة التالية التي

حضرتها وإستمعتها من الإمام الصدر، وأما الخطب والمحاضرات والندوات التي شاركت فيها وسمعتها مباشرة من سماحته فغير مسجل ومدون وذهبت مع الأسف الشديد أدراج الرياح أو أنها مطبوعة في الكتب فلا حاجة لإعادة طبعها هنا.

في ٢٧/ ١٠/ ١٩٧٥ احتفلت جمعية البر والإحسان في صور في ذكرى وفاة الإمام جعفر الصادق عليه السلام في نادي الإمام الصادق عليه السلام وحضر الحفل جمع غفير قدر بستة آلاف شخص وتحدث الإمام الصدر في المناسبة وانطلق منها إلى التحدث عما يجري في الساحة اللبنانية على صعيد السياسة فقال:

«مهما حاولت أن أعبر عما في نفسي من انطباع أمام الأحداث المؤلمة التي تعصف في وطننا فإن اجتماعكم وحشدكم الكبير وجلوسكم متآخين وتحملكم المشاق، أبلغ تعبيراً، ففي الساعة التي يقاتل المواطن أخاه من دون أن يعرف ويدرك أبعاد المحنة، أنتم تجلسون في مكان واحد إخوة متعاطفين متألمين تفتشون عن مخرج للبنان الوطن والمجد والماضي والحاضر والمستقبل، إن هذه المعاني الشريفة التي في نفوسكم وفي فهم وطنكم لا يفهمها تجار السياسة عندنا لأن الوطن لهم كرسي وشهرة ومجد وتجارة وعلو في الأرض

وفساد، لذلك فهم عندما يشعرون بأن مجد الوطن لا يؤمن لهم مجداً وأن مسؤولية حماية الوطن تتعبهم، يتخلون عنه، منهم من يهرب إلى العواصم الأوروبية وغيرها ومنهم من يفتش عن التخلي عن المسؤوليات ومنهم من يتحدث عن التقسيم؟ وما أدراكم ما التقسيم؟ ماذا لهم في وحدة هذا الوطن حتى يتحدثوا عن التقسيم؟ إنهم لا يعرفون ماذا يعني التقسيم. بل ما يعرفون عن لبنان الوطن الذي يرتبط بآلاف السنين من التاريخ؟ والذي يشكل في حدّ ذاته عالماً صغيراً، وواحة نموذجية للعلاقات الإنسانية في العالم. هذا الوطن واحة لنجاح تجربة التعايش بين المسلمين والمسيحيين وإذا فشلت تجربة التعايش فغداً ماذا يعمل الأوروبي مع العرب؟ وماذا يعمل الغرب مع الشرق؟ إن هذه التجربة الإنسانية هي أعظم من رجالنا السياسيين الحقيرين وأكبر بكثير من سياسيينا الأقزام الذين لا يفهمون معنى الوطن، وكأنه شركة تجارية من شركاتهم التي تنبع كل يوم فقراً.

وخاطب الإمام «تجار السياسة» قائلاً: «ماذا تعرفون أيها المتعطشون إلى الدماء، يا مصاصي أموال الناس وحرماتهم؟ ماذا تعرفون عن الوطن الإنسان والحضارة والتاريخ؟ أنتم تعرفون أن الجنوب وجبل عامل، عظام علمائهما من مقابر كسروان وكتب المتن وجبل لبنان تدرس في الجنوب، يد من الجنوب ويد من الشمال تتصافحان، وتكوّنان جسم الوطن.

ماذا تعرفون أيها المجرمون يا من ابتلى بكم لبنان في هذه الفترة العصيبة، عندما كنا نريد أن نجعل لبنان سنداً لإدانة إسرائيل ودليلاً ساطعاً على عدالة القضية الفلسطينية؟ فبعدما تلاحمت صور وجبيل خلال آلاف السنين، أنت أيها السياسي الحقير، أصغر من أن تتمكن من الفصل بين صور وجبيل.

إن الوطن متمسك بكم أيها الشعب على رغم حرمانكم وعلى رغم تجاهل المسؤولين لكم وعلى رغم احتكار المصالح والمنافع للمحظوظين الإقطاعيين وأزلامهم على رغم كل ذلك، ساعة المحنة تجتمعون إخوة لتقولوا لمن يتقاتلون في بيروت وزحلة وطرابلس: إن لبنان للمسيحيين والمسلمين. وأنتم أيها السياسيون آفة لبنان وبلاؤه وانحرافه ومرضه وكل مصيبة. إنكم الأزمة ارحلوا عن لبنان. ليس بين المسلم والمسيحي، إلا التآخي والتكاتف والمساواة حتى في الحرمان»[1].

* * *

قام الإمام الصدر بتحرك واسع وكثيف لدى أمراء

---

(١) مسيرة الإمام الصدر ج٦ ع٢ ص ٧٢ ـ ٧٣، مع الأسف لم تدون أحاديث الإمام الدينية وسجلت أحاديثه السياسية فقط في المحاضرة.

الحرب في لبنان من اللبنانيين والفلسطينيين لوقف الاقتتال والعنف والنزيف الدموي ففي ١٩٧٥/٦/٢٧ وفي مسجد الصفا في الكلية العاملية اعتصم سماحته ووجه إلى المواطنين عند بدأ اعتصامه البيان التالي :

أولاً : بيان الإمام

أيها المواطنون الكرام ،

يقول علي عليه السلام «إذا ظهرت البدعة فعلى العالم أن يظهر علمه ، وإلا فعليه لعان الله» . والقول المأثور : «الساكت عن الحق شيطان أخرس» يؤكد هذا المبدأ .

والامتناع عن أداء الشهادة ذنب عظيم .

واليوم ، والفتن تغشى الوطن والمواطنين ، بل تهدد المنطقة بأسرها .

واليوم ، والحق يضطهد ، والشهادة مصلوبة أمام محكمة التاريخ ، أمام الله ، أمام الوطن .

وبعد أن مارست حتى الإرهاق مسؤوليات المواطنية ، بل الواجبات الوطنية خلال الأزمة الدامية الراهنة فعشت عن كثب أبعاد الأزمة وتفاصيلها ، ونتائجها ، أرى من واجب الأمانة أيضاً أن أضع شهادتي ومشاهداتي أمامكم ، وأن أبلغ

رأيي ورؤيتي للأحداث إلى مسامعكم متحملاً مسؤولية ما أقول، طالباً إلى الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا جميعاً من العثرات والزلات والانفعالات.

أولاً: إن هذه المحنة الكبرى، رغم أنها أخطر الأزمات التي عصفت بوطننا العزيز، ليست ناتجة عن الخلافات في المبادئ العامة بين المواطنين، ولا بينهم وبين الفلسطينيين على الإطلاق.

فسيادة لبنان وأمنه واستقراره، وواجب الاحتفاظ بالثورة الفلسطينية والإيمان والتعايش حتى الاندماج بين أبناء الوطن الواحد، رغم تفاوت طوائفهم وضرورة العدل الاجتماعي والمساواة بين المواطنين جميعاً، والأخطار الناجمة عن وجود الحرمان سياسياً واجتماعياً ومعنوياً، وعن التصنيف والتمايز بين فئات الشعب. إن هذه المبادئ هي الأسس التي يبنى عليها الوطن، وتنبع من صميم قناعات اللبنانيين وقناعاتهم عبر التاريخ.

والجميع يعرفون أن لبنان بتركيبه البشري الحالي ضرورة حضارية للعالم ودليل الانفتاح والتسامح لدى المسلمين ورمز الحوار العربي الأوروبي، لذلك فلا يفرط أحد به، وبهذه الثروة الإنسانية الكبرى.

والجميع يؤكدون أيضاً أن بقاء الوطن أي وطن ، وبخاصة لبنان المنفتح الحر ، مرتبط بالنظام العام ، وأن الفوضى والخروج على النظام خطر على الحرية ، وقضاء على ثروات لبنان وأمجاده ، وتصغير لدوره الحضاري الكبير .

وأخيراً ولا آخراً ، يعرف الجميع أن جنوب لبنان أعز نقطة في الوطن معرَّض اليوم للمطامع والاعتداءات الإسرائيلية وأن الدفاع عنه واجبنا الوطني الأول ، وأن التخلي عنه يعرض كيان الوطن كله للخطر . والساحة اللبنانية تحمل أكثر من شهادة على ذلك .

ثانياً : إذن ما الخلاف ، وما أسباب الأزمة المستعصية وما السبب في استمرارها الخطر على كل شيء؟

والجواب أقوله بكل أسف ، إن السياسة في لبنان أصبحت هدفاً لا وسيلة ، يعيش بها ومن ورائها أفراد وجماعات ، زعامات وأحزاب ومفاتيح .

إن السياسات هذه هي السبب في كل ما يجري أمام أعيننا والذي تجاوز كل حد ، وجعل الإنسان يتساءل ويتألم : هل هذا هو لبنان؟

إن السياسة في لبنان كانت السبب في الحرمان وعدم مواجهة الحقائق وتأجيل الحلول ، وفي خلق الأرضية المناسبة

للأزمات . وهي مع الأسف لم تزل تناور وتساوم من دون رحمة ولا مبالاة ، لتسقط الضحايا البريئة ولتهدم أحياء أخرى ، ولتتعطل الحياة العامة ، المهم أن تنجح المناورات وأن تربح المساومات .

ثالثاً : من الغريب أن بعض رجال السياسة خلال الحوار اعترفوا بخطورة الموقف وأن الانفجار سيتجاوز نطاق لبنان ، وأن أيادي السوء تخطط لمؤامرات دولية تهدف إلى القضاء على لبنان والثورة الفلسطينية معاً . بل إنها ترمي إلى تغيير المعادلات في المنطقة لمصلحة إسرائيل .

ورغم هذ الاعتراف ، ورغم إدراكهم الواضح بأنهم عاجزون عن ترويض الأزمة ومنع التفجر . . رغم ذلك فإنهم مستمرون في التأزيم والتصعيد وفي خلق المناخات التي لا تساعد على علاج المحنة .

وأخطر من ذلك ، إنهم قطعوا كل حوار ، ودمروا الجسور وجعلوا أنفسهم والآخرين في مواقف أصعب مما هي بين الأعداء الذين يجتمعون أحياناً لأجل القضايا الإنسانية المحضة بمعزل عن الاتجاهات السياسية ، وبذلك منعوا تطويق التدخل من قبل الطرف الثالث .

رابعاً : ومنذ بداية الأزمة ، وبعد إدراك الأبعاد الخطيرة ،

حاولت وحاول الكثيرون بكل ما نملك من طاقة، علاج المشكلة، اتصلنا بالجميع، وبحثنا في كل شيء وناقشنا الحلول وتمنينا، من دون جدوى.

لقد كان الدم ينزف من قلوبنا، والاعتداءات تقصدنا بوجه خاص، والمناطق المحرومة التي لا تملك لقمة العيش، فكيف بلقمة السلاح. كانت هذه المناطق تتحطم والضحايا تتساقط. لقد كان ذلك وكان الإدراك بخطورة الموقف، فكنا نعضّ على الجراح، ونحاول إنقاذ الوطن والتخفيف من آلام المواطنين، اشتدَّت المناورات من هنا وهناك، وزادت الأزمة تعقيداً وكل يطلب صيْداً، ولكل فرد سند غير الوطن وأبنائه الحقيقيين المحرومين الذينَ لا سند لهم. وبعد الوصول إلى المأزق، وبعد تفاقم الوضع في الشياح، وبعد أن شاهدنا ليالي مظلمة من النور اشتركت فيها فئات تعدّ من المواطنين، وآليات توفرت بأموال الشعب لكي تكون حكماً لا خصماً، وبعد أن شاهدنا أجواء لا حدّ لها حتى في الحروب الطاحنة، وبعد أن كان من المقرر الاعتصام لمصلحة المحرومين، ثم أصبح الوطن هو المحروم الأول، بعد ذلك، رأيت أن الحوار لا ينفع، وأن الآذان لا تسمع، وأن الضمائر تحتاج إلى ضمائر تهزها، وإلى مناشدة تؤنبها، ورأيت أن الوطن بحاجة إلى شيء أقوى من السلاح، وأشد صرامة من الكلمة، وجدت نفسي في طريق المسجد للاعتكاف.

إنهم دنسوا أرض الوطن فلجأت إلى بيت الله مستمداً منه القوة والعون ، وسأبقى في حالة الاعتكاف إلى أن تتجاوز البلاد الأزمة وإلى أن تخرس أصوات المدافع .

أيها الإخوة المواطنون ، إنني لا أملك إلا نفسي ، ولذلك وضعتها في الميدان ، أقدمها قرباناً للوطن ولحياة المواطنين ، ولقضية الوطن الكبرى ، وأعتقد أن استمرار الاعتصام وشموله للمواطنين من جميع الطوائف والمناطق وبقاءه سلمياً غير مسلح ، شرط أساسي لنجاحه حيث أن التظاهرات المسلحة ، والمناورات السياسية ، وكافة مظاهر العنف اجتاحت البلاد فزادت آلام الناس وتعقيدات الأزمة وبقي الإنسان برمته ، بخيراته ، بوجوده ، بطاقاته ، بروحه ، بصحته ، وبحياته الشخصية ، بعلاقاته الإنسانية ، وبما أنعم الله على كل فرد من طاقات وعلاقات ، أقول بقي الإنسان وحده ، وهو ثروة الإنسان وحده ، بقي لكي يدخل الساح .

وها هو الإنسان ، فرد متواضع منه ، بعيداً عن كل سلاح متجاوزاً كل عنف وكل ضغط يلتجئ إلى بيت الله يطلب منه النجاة . أما المطلوب الآن فهو :

١ ـ إيقاف النزيف البشري وكافة الأعمال المسلحة في جميع المناطق اللبنانية ، وبصورة خاصة منطقة الشياح ، عين الرمانة ، تلك المناطق التي نزح إليها المواطن من الجنوب

مرة ، ثم نزح إلى الجنوب مرة ثانية .

٢ ـ الخروج من الأزمة الوزارية التي تهدد البلاد بأسرع وقت ممكن .

٣ ـ تشكيل وزارة غير حزبية تعيد البلاد إلى الحالة العادية خلال وقت سريع .

٤ ـ تشكيل هيئات ثلاث إلى جانب الوزارة العتيدة تهتم إحداها بإجراء تحقيق شامل بالحوادث التي حصلت لكشف أسبابها ، وتفاصيلها ، ومعرفة المسؤولين ؛ أما الثانية فمن أجل وضع مشاريع تنمية للمناطق المحرومة موضع التنفيذ ؛ والثالثة لإجراء المصالحة الوطنية الشاملة .

أيها الإخوة ، بعيداً عن كل مطمح وانحياز ، بانتظار مواقفكم وتجاوبكم ولا أعتقد أن في تعرُّض صحتي للتدهور ما يدعو للاهتمام العاجل أكثر من شعوركم بأن صحة وطنكم في تدهور خطير . إنني والوطن وكافة المخلصين بانتظار مواقفكم ونبلغكم مناشدة الحسين ليلة مقتله «ألا ومن كان منكم باذلاً مهجته متشوقاً أو متلهفاً إلى لقاء الله ، فليرحل معنا»(١) .

* * *

عندما أدرك الإمام الصدر بالمؤامرة الأميركية الصهيونية

---

(١) مسيرة الإمام الصدر ج٦ع٢ ص١٠٩ و١١٠ و١١١ و١١٢ .

المحدقة بلبنان وأن أيادي داخلية تشعر أو لا تشعر تتعاون مع الخارج لتنفيذ التقسيم والتوطين وتصفية المقاومة الفلسطينية والتهجير كثّف مساعيه في الداخل والخارج لإفشال هذا المخطط الجهنمي الرهيب وبدأ بالتوجه إلى السعودية ومصر وسوريا ورحّب بقوات الردع العربية عام ١٩٧٦ ودعم الجيش العربي السوري وكان المؤيد الرئيسي لتدخل حافظ الأسد في لبنان حتى يضع حداً أمام التصرفات المشبوهة التي تقوم بها بعض المنظمات الفلسطينية والأحزاب اللبنانية وأراد من شباب حركة المحرومين التعاون والتنسيق في هذه الفترة مع حزب البعث والصاعقة والجيش السوري حتى يستتب الأمن في لبنان ويبتعد شبح المخاطر السيئة التي تحدق بلبنان ومن ثم تتطاير شررها إلى البلدان الإقليمية والتي تضعف الدول العربية وتضاعف من قوة إسرائيل . كان يصرح الإمام بهذه الأمور في مجالسه العلنية والمغلقة ولدى اجتماعه بكوادر الحركة .

* * *

خطب الإمام الصدر في احتفال أقيم في نادي الإمام الصادق عليه السلام بمناسبة يوم الغدير ٢١/ ١٢/ ١٩٧٥ وإثر أحداث السبت الأسود الذي قتل فيه أكثر من مئة شخص شيعي بريء وكذلك أحداث تدمير حارة الغوارنة وسبنيه ورويسات الجديدة وعين بياقوت والزلقا على أيدي بعض

المجرمين المسيحيين، وقال مرتجلاً:

لا أعتقد أن في تاريخ لبنان منذ وجوده، أزمة أو محنة تعادل هذه المحنة القائمة. وفي لبنان لا أعتقد أن محنة أحد أو أي مجموعة تساوي محنتنا. لكن هذه الظروف العصيبة والأخطار لا تثني عزمنا ولا تبعد عنا الأمل والسعي والجهد ما دمنا في لواء الغدير نلجأ إلى هذا المنبر العَلَويّ.

إن علينا أن نتحمل أمانتنا. وما هي أمانتنا اليوم؟ ونحن نشاهد أن وطننا معرض لأخطار ثلاثة.

الخطر الأول، خطر التقسيم وقد برزت ملامحه عندما اعتدت أيد أثيمة مجرمة على حارة الغوارنة، وعندما اعتدت على سبنيه. وأنتم تعرفون أن الحارة في رأس المتن، وأنهم طردوا أبناءها وأبناء المناطق المجاورة لها مثل رويسات الجديدة، عين بياقوت، الزلقا، فهذه المناطق امتداداً إلى الفنار والدكوانة وتل الزعتر والنبعة وبرج حمود، ستجرد عند التقسيم من أبنائنا المقيمين فيها...

إذن ملامح التقسيم برزت... من المسؤول؟ لا يهمني من يكون؟ قدر ما يهمني أن أقول إن المؤامرة بدأت تنفذ. وإنني ملتزم، بمقتضى إيماني بوطني وإيماني بديني ومذهبي، أن أمنع التقسيم بقوة السلاح وأن لا أسكت عن ذلك حتى لو استدعى حياتي وحياة غيري.

إن التقسيم خطر كبير على أمتي ووطني ، وهو بمثابة إقامة إسرائيل أخرى في قلب هذا الوطن وفي وسط هذه الأمة ، بعد أن أدينت إسرائيل في كيانها واعتبرت الصهيونية نوعاً من أنواع العنصرية المرفوضة وبدأت تنهار وتعيش بداية نهايتها ، وهي الآن تحاول أن تخلق عنصرية صليبية في هذه المنطقة لتكون لها امتدادات لا لسبعة عشر مليون يهودي ، بل لأكثر من ذلك من البشر . ولكن خسئوا ، فهذه المؤامرة لا يمكن أن تتحقق إلا عبر أشلائنا ، ولن ندعها تتحقق أياً كان الثمن .

هذا هو الخطر الأول ، وهو يقارن بخطر الاعتداء الإسرائيلي على الجنوب الذي يجب علينا وجوباً شرعياً وتاريخياً ووطنياً أن ندافع عنه بكل ما نملك من قوة وهذا هو الخطر الثاني .

إن إسرائيل شرٌّ مطلق وخطر على العرب ، مسلمين ومسيحيين وعلى الحرية والكرامة . نحن نعرف أن الصهيونية تصنف البشر قسمين : إنساناً يهودياً ، والآخرين «غوييم» (فئة ثانية) . وكل رسالات الأنبياء تحارب هذه الفكرة . هذا الشر المطلق من يتصدى له؟ من يقف في وجهه؟ الدول العربية؟ إنها مشغولة بصيانة أراضيها . إذن فهذه مهمة الثورة الفلسطينية مباشرة . فالشعار الذي حملته هو مكافحة

إسـرائيل . وهذا المنطق يجـعل من الثـورة الفلسطينيـة خيـراً مطلقاً ودعـمها واجب مطلق ، ونحن مسؤولون عن حمايتـها مهما كان الثمن .

أما الخطر الثالث ، فهو تصفية المقاومة الفلسطينية .

هذه الأخطار الثلاثة علينا أن نقف في وجـهـها . أمّـا بقـية الأمـور : المطالب الاجتـمـاعية ، المطالب الإصلاحـيّة ، المطالب السـياسـية ، يجب النضـال لأجلها ، ولكن في هذه الأوقات علينا ألا نعرض وطننا لأحد الأخطار الثلاثة .

إن بوادر التقسيم ظهرت في الأفق ، وعلينا أن نتصدى لها . هذا خطر على كل العرب ، على كل اللبنانيين ، على المسيحيين في العالم العربي قبل المسلمين .

وهنا يأتي معنى الولاية ، وباعتباري شيعياً ، فيجب أن أكـون في الصف الأول ، أنا تابع لعلي لا أفكر أن أكـتسب المكاسب لنفـسي ، أو أن أدافع عن الأشـيـاء لأجلي ، لا ، معنى الولاية أنني أكون في طليعة هذه الأمة ، أكافح وأناضل حـتى آخـر الشـوط . نقلع الشـوك بأيدينا . . . هـذا مـعنى الولاية .

ولكن حـذار . هناك أناس عندمـا تتـعـرض قـرى في بعض المناطق ، يحـاولون في شكل عـفـوي أن يتـعـرضـوا

للأبرياء من المسيحيين . هذا مرفوض في منطقنا ومفهومنا ورسالتنا . إنه مخالف لسلوك عليّ ، فعليّ كان يحمي الناس الذين يعيشون في ظله . نحن في هذه المنطقة ، الكلمة لنا . ومن في هذه المنطقة من الناس ، خصوصاً الأقليات ، هم أمانة الله في أيدينا ، وعلينا حمايتهم ، لأننا نعيش من دون سلطة رسمية . إنها سائبة . إن من يعتدي على بريء ، يعتدي على الله ورسله . لسنا للانتقام أيها المجروحون ، وأنا واحد منكم ، عندي ألف قتيل من أبنائي ، في استطاعتي أن أثأر لكل واحد منهم ، ولكن ما معنى ذلك؟ أن أضيف جريمة إلى الجرائم وأنتقم من الأبرياء . ونحن لسنا مجرمين .

يا أبناء علي . إنكم أمام ظروف استثنائية ، أمام معركة شديدة ، أمام فترة حاسمة من تاريخكم ، ما واجهها آباؤكم ولا أجدادكم ولا أي عناصر أخرى في تاريخكم . . شاء الله أن تعيشوا هذه الفترة ، فكونوا عند حسن ظن إمامكم ونبيكم وربكم . وتحملوا الأمانة بكل إخلاص وصدق . تهيأوا ، تجهزوا ، رحمكم الله ، فقد نودي فيكم بالرحيل . يقول ذلك الإمام عليه السلام . استعدوا . لا تقولوا أعطونا السلاح . إذا ملكنا شيئاً فهو لكم ، ولكن من دون انتظار من ذلك ومن الآخرين ، ودون انتظار المساعدات من هنا وهناك . اعتمدوا على أنفسكم في البداية ، تهيأوا ، تدربوا ، تسلحوا . فالتدريب واجب ، وحمل السلاح واجب كحمل

القرآن . هذه العبارة قلتها منذ ٩ أو ١٠ سنوات في الغازية .

بكل صراحة ، لا يبقى شيء خافياً على أحد ، بلادنا في خطر ، وطننا في خطر ، كرامتنا في خطر . فكل شيء في خطر . والأساس بقاء الوطن بقاء الأمة . الأساس وحدة لبنان الأساس عدم تصفية المقاومة ، لا تنخدعوا بالشعارات وكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً[١] .

* * *

شاركتُ في الوفد القادم من صور وقرى جبل عامل لدعم وتأييد الإمام الصدر المعتصم في مسجد الصفا واستمعت إلى كلمته القيمة التي ألقاها فينا مرتجلاً يوم ٣٠/ ٦/ ١٩٧٥ التالية :

إخواني ، ليس غريباً ، ليس غريباً على الجنوب البطل الصامد ، المحروم ، أن يكون أول وفد جماهيري كبير ومتحمس يقصد هذا المسجد ، للمشاركة في اعتصامنا . فقد كان لمدينة صور ، وللجنوب بشكل عام ، أكثر من موقف خلال السنوات العشر ، التي كنت بينهم ، وخلال سنوات المحنة ، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، كل سنواتنا السابقة ، سنوات محنة ، كان لهم أكثر من موقف ،

(١) مسيرة الإمام الصدر ج٦ ع٢ ص ٢٩١ و٢٩٢ و٢٩٣ .

رغم بلائهم، وصعوباتهم معنا. لم أزل أتذكر المحنة المؤلمة التي عشناها سنة سبعة وستين، وقبل الحوادث في أوائل سبعة وستين، ووقفة الجنوب البطلة. وأتذكر مواقف ومواقف، خلال هذه السنوات الماضية. وكأنهم وهم الأساس، في محنة لبنان، يريدون أن يؤكدوا أنهم رغم بلائهم يتحملون القسط الأول من دعم كل حركة مخلصة.

كانوا خلال السنوات الماضية، أهل الجنوب، يتحملون الضربات الإسرائيلية المؤلمة. يتحملونها بصبر وأناة، ويعتبرونها أداء القسط الواجب في معركتنا مع إسرائيل.

عندما انتقلت المعارك من الجنوب إلى بيروت، وإلى المناطق الأخرى، ضاقوا ذرعاً، وتبين أن تلك المنطقة، الجنوب، جبل عامل، تستحق أن تكون المنطقة الطليعية، في الجهاد، في النضال في الوطن.

أما الآن وأمام الأحداث التي تفاعلت ووصلت إلى ما وصلت إليه، فلا أستغرب أنكم تقصدون المسجد هذا، وتقطعون الحواجز، والأخطار التي واجهتكم كل ساعة، وكل لحظة، مع كل خطوة ولن تأتوا إلى هذا المسجد، تأكيداً لبقائكم، وتأكيداً لمواقفكم. لكم من الله الشكر، ولكم من التاريخ الذكر، ولكم من القلوب المخلصة، الدعاء والتقدير، والابتهال.

أما قضيتنا وقضية اعتصامنا ، فرغم أنني لا أتمكن من البحث الطويل في هذا اليوم ، لكن بشكل موجز .

كما تعلمون الأزمة الوزارية امتدت واستمرت ، والبلاد تحترق ولا من مغيث . إذاً ، لو ترك الأمر لأطراف الدعوى للمناورين ، لبعض السياسيين ، الذين أحرقوا البلاد ، وأوصلوا الوطن إلى هذا الوضع السيئ ، لو ترك الأمر لهم ، يذكّروننا بـ«نيرون» وغيره الذين كانوا يشعلون البلاد لكي يكوّنوا لأنفسهم ناراً للدخان ، أو للتمتع ، أو للتفرج .

إذن ، يجب أن يكون هناك ضغط شعبي كبير يفرض على المسؤولين ، تشكيل الوزارة . هذا أولاً .

ثانياً : ما هو هذا الضغط؟ هل القوة المسلحة؟ لا ، لماذا لا؟ وأنا الذي قلت : «السلاح زينة الرجال»؟ ولو كنا تسلحنا وتهيأنا في الوقت اللازم ـ وقد ذهب ذلك الوقت ـ لكانت الأيادي الخيرة في هذا اليوم ، هي اليد التي تحمل السلاح وتوقف النزيف ، وتعيد الأمور إلى نصابها . ولكن الأيادي اللئيمة الشرسة ، والقلوب الخبيثة ، التي لا رحمة فيها هي التي حملت السلاح ، وكانت تقصف المناطق الآمنة في الشياح ، وفي غير الشياح . كانت تقصف تلك المناطق بالقنابل التي لا يقذف بها الآمنون . في الحروب لا يستعملون القذائف التي استعملت في هذه الليالي . هاون

١٢٠مم . قنابل تهدم أحياء بكاملها ، قنبلة واحدة تطلق على الآمنين ، وعلى الأطفال الذين جاؤوا إلى بيروت وراء عمل شريف . الذين نزحوا من البقاع أو من عكار أو من الجنوب إلى الشياح ، حتى يعملوا ، حتى يساهموا في عمران بلادهم ، ووطنهم .

إذن ، السلاح أصبح مُداناً اليوم ، لأن السلاح هنا برز كأشرس ما في هذا الوطن . السلاح برز في هذه المعارك بيد أثيمة . السلاح برز في هذه الأيام كقوة هدامة . السلاح أدين في هذه الفترة . مزق الوطن . خلق جواً من الانقسامات وأرجو أن لا نصل إلى الانقسامات الطائفية ، وهي تبدو في الأفق . إذا وصلنا إلى الانقسامات الطائفية واستعمال السلاح فيها رجعنا أكثر من ألف سنة ، لأن ديننا لم يسمح لنا بذلك . حتى المسيحية لا تسمح لنا بذلك . ورجعنا ألفين سنة إلى الخلف . فقدنا كل شيء السلاح مُدان ، لأن المناقبية ذهبت في لبنان في بيروت ، خلال الأيام الماضية .

استعمل السلاح بطريقة لم يستعمل بمثلها في الحروب الطاحنة الكبرى . في الحرب الكونية الثانية في الليل يتوقف أحياناً القتال ، وفي مطلق الأحوال ، يمتنعون عن إطلاق القذائف الكبيرة على الآمنين . ولكن في بيروت حصلت .

إذن ، أناس عملوا ما لا يعمل وأناس تفرجوا على

ذلك ، واستثمروا هذه الأحداث ، حتى يكونوا وزراء أو غير وزراء . إذن ، السلاح في لبنان ، وفي هذه الفترة أدين لأنه كان عنصر الشر والخراب ، والتفرقة ، وتدهور السلوك الإنساني في هذا الوطن .

لم يبق لنا إلا السلاح السلمي الجماهيري ، إلا إبراز ما يهز ضمائر البشر ، ضمائر الطيبين ، أتذكر الحسين (ع) ونحن نقول دائماً : «يا ليتنا كنا معه» . أقول : في أيامه السلاح كان بيد بني أمية ، والقوة كانت بيد بني أمية ، الحسين كان له سلاح واحد ، أن يموت وحده وموته كان سلاحاً هزّ الأمة ، وهزّ الجميع . لذلك نعتصم هنا لكي نوقف النزيف الدائم ، البربري ، الوحشي ، وعلى الشرفاء ، وعلى الأمناء ، وعلى البشر المواطن الصالح في بيروت ، لكي نوقف هذا النزيف ، ولكي لا نترك بعض السياسيين يناورون ، ويحرقون البلد ، لكي يشعلوا ليلهم ، وينيروا سهراتهم ، عليهم بالاعتصام .ما المطلوب؟ الخروج من الأزمة الوزارية . بأي شكل؟

نقولها صراحة : لا نقبل الحزبيين في الوزارة ، لأن أياديهم ملطخة ، لأنهم متّهمون ، لأننا لا نسكت على قتل ألف شخص ، وهدم مئات من البيوت ، وتجميد اقتصاد البلد وحياة البلد ، وزراعة البلد ، ومرافق البلد . ثلاثة ، أربعة

أشهر، لأجل الأنس، والمجد، والكسب في القواعد. لا نقبل ذلك. نحن نطالب بمحاكمة المسؤولين. أي إنسان كان؟ أي مستوى كان؟ أي شكل كان؟ نلاحق المحاكمة، والتحقيق للنهاية. ويجب أن يعرف اللبناني مَن الذي شوَّه سمعته؟ ويجب أن يعرف اللبناني مَن الذي قتل جاره؟ ويجب أن يعرف الجيل القادم مَن الذي قتل أباه وأمه؟ «لازم» يعرفوا.

ولكي يعرفوا، يجب أن تكون وزارة محايدة بعيدة عن الانحيازات حتى تعمل تحقيقاً وتشرف على التحقيق، وتكشف للناس، وتحاكم كل إنسان ارتكب هذه الجرائم. حتى نبرئ ساحة اللبنانيين نبرئ الوطن من الاتهام، وطننا متهم اليوم، المواطنون متهمون «لازم» نبرئهم، «لازم» نكشف المجرم. «لازم» ألاّ نحتضن المجرم. إذن، يجب أن تكون الوزارة غير حزبية، ويجب أن تمارس التحقيق، فيما جرى.

والوزارة يجب أن تبدأ بالتنمية، وتمارس المصالحة. أي مصالحة «المباوسة؟» لا!! «مباوسة» لا تعمل شيئاً. المصالحة، يعني المصالحة بين الشعب وبين الحكام. المصالحة بين الفئات الشعبية التي استثمرت. الفئات الشعبية التي استعملت في سبيل الحرب الأهلية. المصالحة هي كشف حاجاتهم، رغباتهم، مواقفهم بصدق. ووضع ميثاق تعايش وطني بين

اللبنانيين . وضع اتفاقية ، أسس مقتنعين فيها جميعاً .

إذن ، أولاً إيقاف النزيف ، وإزالة آثاره . ثانياً ، تشكيل وزارة غير حزبية ، تمارس إلى جانب إدارة البلاد بواسطة الهيئات : المصارحة ، والمصالحة بين الشعب ، بين الخصوم ، بين الفئات الشعبية لوضع أسس جديدة للتعايش في لبنان . قضايا التنمية وقضية التحقيق . قضايا التنمية للمحرومين .

أمس كنا نقول : كان «عندنا» محرومون زاد المحرومون واحداً وهو لبنان . أكثر الناس حرماناً وأكبر الأشياء حرماناً وطننا . الذي أعطى لنا كل شيء ، فكنا أولاداً عاقين . ما أعطيناه شيئاً ، شوّهنا سمعته ، هدمناه ، هددناه ، جعلنا وكأنه يُمحى من التاريخ .

لأجل هذه الأمور أنا معتصم ، معتصم لأني لا آكل ، أشرب ولكن لا آكل . وحتى الآن صحتي جيدة ، بطبيعة الحال ، الآن أنا وبعض الرفاق يكفي أن نكون معتصمين إلى أن يكون عندي طاقة ، ربما نحتاج بكرة نطلب من الشباب أن يأتوا فيعتصموا معنا . يبقون هنا من دون سلاح . نبقى هنا ، نعتصم في المسجد ، خارج المسجد ، في الشوارع . وإخوان لنا مسيحيون سيعتصمون أيضاً ، إما هنا ، أو في كنائسهم . نحتل الشوارع ، نرد على السلاح بأجسادنا بوجودنا . نرد على الباطل بحقنا ، نرد على جرائمهم ،

ومعاصيهم بصيامنا ، هذا الذي نملكه ، وأعتقد أنه أقوى سلاح .

إذن ، لكم أيها الإخوة الأعزاء ، تحية وشكر من الله ، من الوطن ، من التاريخ ، وبصورة خاصة يا أبناء البابلية ، الغسانية ، عبّا ، مالكية الساحل ، ميس الجبل ، الخرايب ، عدلون ، السكسكية ، البيسارية ، الصرفند ، حومين الفوقا ، عين بوسوار ، كفرملكي ، كفرحتى ، عنقون ، جباع ، المروانية ، دير الزهراني ، قناريت ، الغازية ، وفي قرية هنا ما أقدر أقرأ ، اركي ، أهل ياطر «كمان» موجودون أهلاً وسهلاً بياطر كل ياطر والجبين ، والجبين «كمان» موجودون أنا «أشوف» بعض الإخوان الأعزاء . وأهل صور اسمحوا لي أن أسميكم آخر شيء ، لأنكم من الأهل وكلكم أهل .

نحن مجتمعون في بيت الله بعد الصلاة نتحدث ونسمع القنابل . لكن بإذن الله ، سلمنا أقوى من حربهم ، وصلاتنا أقوى ، صلاتنا أقوى من جرائمهم ، ومن مآسيهم . أيها الإخوة لكم هذا الشكر ، ولكم الدعاء . وانتظروا أنا معكم من المنتظرين تلبية للسؤال الذي يقوله الإخوان إنه إذا ما استجابوا؟ بطبيعة الحال ، نحن نستمر في مسيرتنا التي هي أقوى من كل شيء ومن كل سلاح . الآن أنتم مع التحية ترجعون ، وعندما نحتاج ، وربما يكون غداً أو بعد غد ، باستمرار الاعتصام نطلب منكم حتى «تشرفوا»

وتعتصموا معنا ، تضربوا معنا ، تبقوا معنا ، عندما نحتاج إلى تصعيد الاعتصام من الأفراد إلى الجماعات . . . يبدو أن قراركم أقوى وأكثر تضحية من طلبي ورجائي . قراركم أن تستمروا مدة ساعتين هنا ، حوالى الساعة الرابعة معتصمون بشكل رمزي في هذا اليوم ، ولكم الفضل ، وبعد ذلك ترجعون ، ولدى الحاجة نبعث لكم خبراً ونستنجد بكم من جديد فـ«تشرفون» وتعتصمون معنا للنهاية وعند ذلك ندرس معاً هنا ماذا نعمل إذا استمروا في غيِّهم وطغيانهم ، وتجاهلهم؟

وأبلغكم الآن تحية مخلصة ، تحية أخوية ، تحية نضالية من إخوانكم في بعلبك ، وفي الهرمل ، وفي طرابلس ، وفي عكار ، وفي البقاع الغربي ، ومن بقية المناطق اللبنانية تحياتهم إليكم ، أيتها الطليعة هم معكم وإلى جانبكم وسيكونون إلى جانبكم دائماً في هذه المسيرة . وأبلغكم أيضاً شكر أهالي الشياح المناضلين ، المظلومين ، لا الظالمين ، ما استسلموا للظلم ، ولكن ظُلموا ، أبلغكم شكرهم وتحياتهم ودعاءهم . واسمحوا لي أن أترككم[1] .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ـ ج٦ ـ ع٢ ـ ص١٣١ و١٣٢ و١٣٣ و١٣٤ .

في عيد الأضحى المبارك في يوم ١٢/ ١٢/ ١٩٧٥ في جامع مدينة صور ألقى سماحته خطبة صلاة العيد وقال :

أيها اللبنانيون .

من أعماق طوفان الفتنة الهوجاء التي تعصف بالأبصار والبصائر ، من لبنان ، حيث بدأت ألسنة اللهب تحول بقية الإنسان فيه إلى الفحم والرماد أو إلى الشرارة ، وتقلع أمواج الدماء البريئة جور الإيمان والقيم من النفوس ومن البلاد ، ارتفعت ستائر الدخان والأحقاد حتى غطت جبين القمر ووجه الشمس ، فإذا بمهبط الرسالات معراج العقول ، منطلق الإنسانية وملتقى القيم الحضارية ، غابة من دون أفياء ، تتحرك فيها وحوش كاسرة لتقضي على الأخضر واليابس ثم تنظر إليها أعين الآخرين مندهشة محرقة تحس أن الوحش يتسرب إليها أو يهربون من الساحة مفضلين اللامبالاة كما القطيع يقدم بعضه إلى المذبح والبقية ترتع .

في هذا الليل المدلهم يرسل الأضحى والميلاد ، ثم الغدير ، خيوطاً من نور الأمل ، أمام عيون بلادي المرهقة تتلمس جروحها البالغة بأصابعها الممتدة الرقيقة .

نوافذ كالفجر يطل من خلالها التاريخ والسماء ، وينفتح أمامنا أفق آخر يختطف من ساعاتنا السوداء لحظات قصيرة .

الأضحى يتقدم ويبشر بالميلاد المجيد يعقبه الغدير، يبارك السعي ويخلق الأمل ويضمن النجاح، وكل يقدم وقائع وفلسفة ومثالاً.

ها هو إبراهيم أبو الأنبياء، وسيد الموحدين، وقد بلغ به الكبر واشتعل الرأس شيباً، يمشي منحنياً يأخذ يد ولده الوحيد لكي يقدمه قرباناً لأمر الله، يقدمه برضاه ووعيه لنجاة أمته، على رغم جروحه العميقة منهم ومن أصنامهم، وعلى رغم ظلم ذوي القربى، يمشي ويتقدم ويتخطى كل سمو، فيصل إلى الخلود يوم المتقين ويواكبه المليارات من البشر يحمل كل منهم في عنقه وفي نفسه دينه.

كل منهم يقصد أرضه حتى يعيش المناخ الإبراهيم، ويلتحق بموكبه ولأجل ذلك نراهم يأتونه رجالاً وعلى كل ضامر يأتونه من كل فج عميق، تاركين وراءهم بلادهم وراحتهم وأهلهم وملابسهم وعاداتهم وأموالهم.

إنها قافلة الموحدين، أولئك الذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر فيتمردون على آلهة الأرض ولا يرتضون عبادة الذات.

إنهم بناة الحضارة وخدام الإنسانية وحملة العلم والرسالة، يدفعون عجلة التاريخ نحو الأمام ويملؤون العالم

نوراً وخيراً وسعادة .

إبراهيم يمشي ، يواكبه أولئك العارفون الذين يملؤون وادي منى ويرافقهم جميع الذين يعيشون التحرك بقلوبهم وإرادتهم منذ أيامه حتى أبد الدهر ونهاية التاريخ .

القافلة الإبراهيمية تسير حاملة كل ما ملك من مال أو جهد أو روح ، واضعة إياها في خدمة الإنسان ، كل إنسان ، إنها القافلة الكبرى في التاريخ ترحل من أرض الإثبات والتفرق والخلافات إلى سماء التضحيات ، إلى عبادة الله ، إلى خدمة الناس ، رحلة دائمة لا تنقطع حول قلب هو أول بيت وضع للناس .

ويأتي ـ هذه السنة ـ الميلاد المجيد على الأثر بذكراه المدهشة حياة تعدم في نشأتها أحلام الطغاة ومطامع المستأثرين وتخلد ي نهايتها انتصار المؤمنين والمستضعفين ، ولادة لأجل الفداء ووجود للعناء في الآخرين ، شعاع الخلود في عالم الزوال ، سلام يرفض الاستسلام لسدنة الهيكل وحماة الظالمين ويقترن بالحرب الأبدية لخدمة المظلومين .

كلمة الله تتجسد وتجسد في ولادتها الرفض ، لزمت المجتمع في عقائده وعاداته ومفاهيمه وتحمل في استمرارها مقاييس جديدة تتغلب على لتغلب وتحبب المنبوذية وتبارك

في نهايتها المذنبين والخاطئين وتفتح باب العودة للبائسين والمنحرفين .

ومع كل ميلاد ، تشرق في قلوب المليارات من البشرر نجمة البشارة والأمل بمجد الله ، وتبعث السعادة على الأرض والمسرة إلى القلوب .

ثم نشاهد في الأفق ، الغدير يجر أذيال المجد ، يحمل رسالة التفاني في خدمة الأمة ، مستنكراً أن يقول أحد لأمير المؤمنين وهو لا يشاركهم في مكاره الدهر قائلاً : «لئن أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلد شعيرة لما فعلت» .

والآن أيها اللبنانيون ،

يا أبناء هذه القافلة الإنسانية الخالدة . .

يا طليعة الموكب الذي درست من تاريخها وفي مواقفها وفي تعايشها أسس السير حتى أصبحت هذه القواعد ، وحدها تميز حضارتهم وسبب وجودهم ورسالة وطنهم .

والآن ، يا أيها اللبنانيون . . إلى أين نذهب؟ إلى أبشع النهايات . . لماذا؟ نجيب حتماً أولاً وثانياً وثالثاً . . وعاشراً ،

الحقيقة أن الغضب يجيب عنا . . فلنرجع لكي نسأل من جديد إلى أين نذهب؟

إن التجربة الحاضرة تجيب عنا في وضوح .

لقد قطعنا قسماً من الطرق وأصبح في إمكاننا أن نعرف النهاية بالمقارنة مع هذا القسم الذي قطعناه لقد تراجعنا في وضوح . سلكنا خلال هذه الفترة مسافة بعيدة في اتجاه معاكس مئة في المئة .

ماذا عملنا بأنفسنا وبوطننا وبأمجادنا التاريخية وسمعتنا أمام العالم؟

ماذا عملنا بمستقبل أولادنا؟

بل ماذا عملنا بحاضر أولادنا وهم يشهدون جرائمنا البشعة؟ ماذا يقول أولادنا غداً عندما يذكرون الأحداث ويقرأون التاريخ؟ ماذا نقول للعالم ، لرفاقنا في الخارج ، لأصدقائنا ، كيف ينظر إلينا العالم وكيف يعاملنا غداً في المجالات الديبلوماسية والثقافة والاقتصاد؟ بل كيف نشترك في المؤتمرات ونتعاون في سبيل الإنسان؟ من الرابح حتى الآن؟

هل الذين حكمنا عليهم ونفذنا أحكامنا الجائرة من دون محاكمة كانوا يستحقون هذه المجازاة؟

وفوق كل هذا ، هل يليق بنا وبوطننا هذا السلوك؟

لقد كنا رجال الكلمة ، حملة الحرف ، بناة الحضارات ، معمري البلاد ، بلد الجامعات ، وطن التعايش ، مختبر الثقافات ، بوابة الشرق ، مدخل الغرب ، محور القارات الثلاث ، كنا نقف مع كل حق في العالم ، كنا نرفض التصنيف بين الناس ، كنا نرفض الانحياز وسياسة المحاور .

أين وصلنا؟

مهما قلنا في الجواب لا يرضي ضمائرنا فكيف بالآخرين !

هل كان خطف واحد من أهلنا يبيح خطف عشرة أو أكثر من أبرياء لا ذنب له إلا هوياتهم التي فرضتها عليهم مصادفات الخلق وقوانين البلاد؟

لقد جرى ما جرى وسكتنا . لم نستنكر . أخفينا المجرمين . . حتى أولئك الذين أباحوا حرمة المقدسات . . وعدنا بتسليمهم فأخلفنا . . وتصاعدت ردود الفعل وعظمت الجرائم وبقي السكوت وعدم الاستنكار والإخفاء والتمييع» .

كل الذي جرى ويجري نستمر في العناد . نتصرف كأن شيئاً لم يكن . . نحافظ على عاداتنا ، على عقليتنا ،

على أسلوب حكمنا . نتهم الآخرين ونحمل مسؤولية الأحداث في كل شيء وكل شخص وكل دولة . . ونتبرأ نحن من مسؤولياتنا . . بعض الدول العربية هي المسؤولة!!! الشعب مسؤول!!! الدول الكبرى هي التي تتصارع على أرضنا!!! الفلسطينيون هم السبب! اليسار الدولي يفتك بنا!!! أما نحن فإنّنا أطهر من الطاهر!!

وبعد كل الذي جرى ويجري ، نعتبر أي تعديل في المجتمع تخريباً وأي تصحيح للأوضاع هو انتصار لفئة وهزيمة لفئة ، حتى لو كان لمصلحة الوطن!!!

وبعد كل الذي جرى ويجري نرفض النصيحة ونستمر في الغباوة والعناد ونستمر في الأساليب البالية لكل عمل ، عدا القتل الذي نطوره ونعتمد آخر الأساليب الحديثة .

أيها اللبنانيون . .

إن الصديق ، أي صديق في العالم لا يتمكن من إنقاذنا إلا بمساعدتنا . كما لا تتمكن أية قوة في العالم أن تطعننا إلا بمساعدتنا .

إذاً ، فلنتوجه إلى أنفسنا أولاً من أجل الخروج من الأزمة . ثانياً وهذا هو الأهم أن القادة قد ثبت عجزهم من إنقاذنا إلا بمساعدة الشعب لهم . والواقع الأليم أثبت ذلك

ويؤكد كل يوم فتعالوا ننتقل خلال أيامنا المباركة إلى مواقعنا في الموكب الإنساني الخالد لإصلاح أنفسنا وباستلهام المناسبات . تعالوا نرحم البلد وأطفاله ، نرحم الأبرياء والمستقبل ، نضمن مصير الخائفين ونمسح جروح المصابين ونتطلع إلى . . الأفق البعيد[1] .

* * *

---

(١) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ـ ج٦ ـ ع٢ ـ ص٢٨١ و٢٨٢ و٢٨٣ و٢٨٤ .

الخاتمة

هذا كل ما استطعت أن أتذكره أيام رفقتي للإمام الصدر ومع الأسف الشديد لم أتمكن من العثور على الخطب والمحاضرات الكثيرة التي إستمعت إليها ولم تطبع بعد في كتاب آخر .

نعم توجد محاضرات وخطب مدونة ومطبوعة في الأجزاء الأخيرة من كتاب مسيرة الإمام السيد موسى الصدر وقد شاركت مع الآخرين في الاستماع إليها ولم أجد فائدة كثيرة لطباعتها هنا مرة أخرى .

نعم ذكرت بعض الخطب والمحاضرات في هذا الكتاب لما وجدتها تتطابق مع حياتنا السياسية في لبنان بعد مرور ربع قرن تقريباً فأوردتها وذكرتها .

وفي نهاية المطاف أحب أن أقول صراحة وبكل وضوح وشفافية حتى لا نصاب بالتأويل والتفسير من قبل البعض حول زمان الإخراج أو كتابة الحادثة والمفردة ، أني توخيت من سرد هذه المذكرات وطباعتها ونشرها الأمور التالية :

أولاً : الوفاء لبعض ما للإمام الصدر عليّ خاصة من اللطف والحنان والحق .

ولا زلت أشعر بأن آثار رفقته وبركات الإرتباط به مستمرة وجارية وغامرة وجودي وحياتي كلها حتى يومنا الحاضر .

ثانياً : تعريف شبابنا الأعزاء في كل مكان وخاصة اللبنانيين منهم على هذا الإمام القائد ، على أفكاره وطموحاته وآلامه وآماله وجهاده ونشاطه وإخلاصه وأخلاقه وسلوكه وتواضعه من خلال عرض بعض المفردات التي شاهدتها في الإمام الصدر ، لكي يعرفوا بأن العظمة والشهرة والمحبوبية وقيادة الأمة لا تأتي من الفراغ أو من دعم جهة داخلية أو خارجية أو من مال أو ثراء أو . . بل هناك مؤهلات ذاتية نفسية مع تزكية داخلية وتعلق شديد بالإلـه القادر العالم تترشح هذه الصفات وتتجلى على سلوك الإنسان وسيرته وأقواله وأعماله ، فيقوم لوحده بإنجازات هائلة وأعمال خارقة يندهش الناس أمامها ويحبون صاحبها من كل قلوبهم ولا ينسونه مهما طال الزمان والإبتعاد عنه .

ثالثاً : عدم نسيان إنجازات الإمام الصدر التي بدأت عند البعض بالتلاشي والنسيان ولدى البعض الآخر بربطها بأشخاص آخرين ليس لهم دور في بدايتها وتأسيسها وإن

كان لهم شأن في ذلك بعد اختطاف الإمام الصدر .

وعلى أن هذه المذكرات كما قلت في أول الكتاب هي مجموعة ما تذكرت من مفردات سلوك وأخلاق ونشاط هذا الإنسان العظيم ، الإمام الصدر .

ومع الأسف لم أستطع أن أسردها حسب ترتيبها الزمني التفصيلي ولكنني حاولت أن أضع ما تذكرته في كل فترة في باقة واحدة من دون جدولة التقدم والتأخر لتلك المفردة حسب أيام وأشهر تلك الفترة .

وأستميح العذر :

من الذين ذكرت أسمائهم في الكتاب عند عرض الحادثة ولم أستشرهم على ذلك .

ومن القارئ العزيز على ما يجد من التقصير والهفوات في هذا الكتاب .

ومن الإمام الصدر الذي لم أتمكن من الوفاء بجزء يسير من حقوقه وخدماته وأسأل الله سبحانه أن ينفعنا بما منّ علينا من الرجال والقادة ويوفقنا لكل خير وصلاح إنه نعم المولى ونعم الوكيل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

السيد محمد الغروي

١٧ـ ع١ ـ ١٤٢٦/ ٢٦ـ ٤ ـ ٢٠٠٥

صور ـ جبل عامل ـ لبنان